أرنالدور أندريداسون

ARNALDUR INDRIÐASON

مكتبة حيّ الظلال

THE SHADOW DISTRICT

بيعت 14 مليون نسخة من رواياته وترجمت إلى 40 لغة عالمية

رواية

الدار العربية للعلوم ناشرون
Arab Scientific Publishers, Inc.

حيّ الظلال

THE SHADOW DISTRICT

يتضمن هذا الكتاب ترجمة النسخة الإنكليزية **The Shadow District**
عن الأصل الأيسلندي **Skuggasund**
حقوق الترجمة العربية مرخّص بها قانونيًا من الناشر
Forlagid Publishing, Reykjavik, Iceland
بمقتضى الاتفاق الخطي الموقّع بينه وبين ثقافة للنشر والتوزيع ذ.م.م.
Copyright © Arnaldur Indriðason, 2013
Title of the original Icelandic edition Skuggasund
Published by agreement with Forlagid Publishing, www.forlagid.is
All rights reserved
Arabic Copyright © 2021 by Arab Scientific Publishers, Inc. S.A.L
تم ترجمة هذا الكتاب بدعم مالي من:
This Book has been translated with a financial support from
ICELANDIC LITERATURE CENTER

الطبعة الأولى: آب/أغسطس 2021 م - 1443 هـ

ردمك 978-614-01-3328-0

جميع الحقوق محفوظة للناشر

الدار العربية للعلوم ناشرون ش.م.ل
Arab Scientific Publishers, Inc. S.A.L

facebook.com/ASPArabic
twitter.com/ASPArabic
www.aspbooks.com
asparabic

عين التينة، شارع المفتي توفيق خالد، بناية الريم
هاتف: 786233 - 785108 - 785107 (1-961+)
ص.ب: 13-5574 شوران - بيروت 2050-1102 - لبنان
فاكس: 786230 (1-961+) - البريد الإلكتروني: asp@asp.com.lb
الموقع على شبكة الإنترنت: http://www.asp.com.lb

telegram @soramnqraa
16 3 2023

إن الآراء الواردة في هذا الكتاب لا تعبر بالضرورة عن رأي الدار العربية للعلوم ناشرون

تصميم الغلاف: **علي القهوجي**

أرنالدور أندريداسون
ARNALDUR INDRIÐASON

حيّ الظلال
THE SHADOW DISTRICT

رواية

مكتبة | سُر مَن قرأ
t.me/soramnqraa

ترجمة
أوليغ عوكي

مراجعة وتحرير
مركز التعريب والبرمجة

الدار العربية للعلوم ناشرون ش.م.ل
Arab Scientific Publishers, Inc. S.A.L

1

قرَّر الشرطيان اقتحام الشقة، لكنهما اتصلا بخبير أقفال بدلاً من تحطيم الباب معتبرَين أن بضع دقائق إضافية لن تُحدِث فرقاً على الأرجح.

فقد أبلغت جارةٌ عن وجود خطر محتمل، وليس عبر اتصالها برقم طوارئ الشرطة بل عبر اتصالها بسنترال الهاتف الرئيسي وإبلاغها الضابط الذي ردَّ عليها أنها قلِقة قليلاً لأنها لم تر جارها في الشقة المجاورة لشقتها منذ عدة أيام.

"من عادته أن يزورني قبل أن يذهب للتسوّق"، قالت. "وأسمعه عادة عند خروجه ودخوله، أو ألمحه من نافذتي يسير إلى المتجر، لكنني لم أره أو أسمعه أبداً في الأيام القليلة الماضية".

"هل يمكن أن يكون قد خرَج من البلدة؟".

"من البلدة؟ إنه لا يغادر البلدة أبداً".

"أو ذهب لزيارة بعض الأصدقاء أو الأنسباء؟".

"لا أعتقد أن لديه الكثير من الأصدقاء، ولم يذكر أي أنسباء أبداً".

"كم عمره؟".

"حوالي التسعين، لكن لياقته البدنية جيدة فهو يعتني بنفسه، ويُنجز كل أعماله دون مساعدة من أحد".

"هل يمكن أن يكون في المستشفى؟".

"لا... وإلا لكنتُ قد لاحَظتُ، فأنا أعيش بجواره مباشرة".

"أو ربما ذهب للعيش في دار للمسنّين؟ لا يبدو أنه تأخر على فعل ذلك".

"أنا... يا للهول، أسئلتك كثيرة جداً ولا يمكنني الإجابة عليها كلها. لكن لعِلمك، لا يريد الجميع الذهاب إلى دار للمسنّين، وصحته جيدة جداً".

"حسناً، شكراً لاتصالك يا سيدتي. من الأفضل أن نرسل شخصاً ليطمئن عليه".

والآن هناك شرطيان ينتظران أمام باب العجوز حتى ينتهي خبير الأقفال من

عمله، والجارة التي تدعى بيرغيتا تقف معهم أيضاً. لأحد الشرطيين كرش ضخم، أما الآخر فأصغر سناً بكثير ونحيل جداً لدرجة أن زيّه الرسمي يتهدَّل عليه. كان شكلهما مضحكاً تقريباً وهما يقفان هناك يدردشان على منبسط الدرج، وبدا أن الرجل البدين والأكبر سناً أكثر خبرةً من الشرطي الآخر، فهذه ليست أول مرة يضطر فيها إلى اقتحام منزل شخص مسنّ يعيش لوحده، والشرطة تتلقى طلبات عديدة في السنة للتحقّق من أشخاص وقعوا ضحية الثغرات في نظام الرعاية. كان أومار خبير الأقفال أحد أنسبائه ويمكنه أن يفشّ قفلاً في ثوانٍ.

وصل أومار إلى منبسط الدرج وتبادَلا التحيات، وكل ما احتاج إليه هو العبث بالقفل قليلاً ففُتح الباب بكل سهولة.

"مرحباً!"، نادى الشرطي البدين إلى داخل الشقة.

لم يأته أي ردّ، فطلب من نسيبه والمرأة من الشقة المجاورة أن ينتظرا في الخارج، وأومأ لشريكه أن يتبعه.

"مرحباً!"، نادى مرة أخرى، ولم يأته أي ردّ أيضاً.

شقَّ الشرطيان طريقهما بحذر إلى داخل الشقة، وشمَّ الشرطي البدين الهواء، وبدت الرائحة التي استقبلتهما كريهةً جداً بحيث وضعا يديهما على أنفيهما. كل الستائر مغلقة، والأضواء مضاءة في الرواق والمطبخ وغرفة الجلوس.

"مرحباً!"، نادى الشرطي النحيل بصوتٍ صارخٍ قليلاً. "هل من أحدٍ في المنزل؟".

لا جواب. بقي خبير الأقفال وبيرغيتا ينتظران في الخارج إطاعةً للأوامر.

بدا المطبخ صغيراً لكن مرتَّباً. هناك طاولة مع كرسيين، وصانعة قهوة مُطفأة على المنضدة قرب المغسلة وإبريقها نصف ممتلئ، وفي المغسلة وعاءٌ وكوبان، كما يوجد برّاد صغير في إحدى زوايا الغرفة، وفرن كهربائي قديم ذو ثلاث عيون. وكشفت نظرةٌ سريعةٌ على غرفة الجلوس وجود أريكة وكراسي مطابقة لها، وطاولة قهوة، ومكتب قرب النافذة المواجهة للجنوب، وكتب على الرفوف، وقليل من الزينة فقط. بدت غرفة الجلوس أنيقة ومرتَّبة مثل المطبخ.

كل أرجاء الشقة مكسوة بالسجاد، باستثناء المرحاض والمطبخ، والبِلى على المسارات بين الغُرف واضحٌ، والسجادة رثّة في أحد الأماكن لدرجة تظهر بها

خيوطها البيضاء الداخلية. بعد ذلك، فتح الشرطيان باب غرفة النوم وعثرا فيها على رجل ممدَّد على السرير الوحيد وعيناه نصف مُغمضتين، وذراعاه محاذيتان لجانبَيه. كان يرتدي قميصاً وسروالاً وجاربَين، وبدا للعالم كله كما لو أنه قرَّر أن يأخذ قيلولة عند الظهيرة ولم ينهض منها أبداً. لم يبدُ في التسعين من عمره أبداً وهو ممدَّد بهذه الطريقة على ظهره. اقترب الشرطي الأكبر سناً من السرير، ودسَّ النبض في عنقه ومِعصَمه، وأول فكرة خطَرت بباله هي أن المرء بالكاد يستطيع أن يتخيّل ميتةً محترمةً أكثر من هذه.

"هل هو ميت؟"، سأل الشرطي النحيل.

"يبدو ذلك"، قال شريكه.

بيرغيتا غير القادرة على ضبط نفسها أكثر من ذلك دخلت على رؤوس أصابعها، وراحت تحدِّق بغرفة النوم حيث يستلقي جارها بعزلة هادئة.

"هل هو... ميت؟".

"أعتقد أنه يمكننا قول ذلك بكل ثقة"، قال الشرطي الأكبر سناً.

"يا للمسكين، لا شك أنه مسرور لأن يكون في سلام مع العالم"، قالت بهدوء.

نُقلت الجثة إلى مَشرَحة المستشفى الوطني في وقت لاحق من ذلك اليوم حيث استقبلتها الطبيبة الشرعية ودوَّنتها في سجلاتها كما ينبغي، بعد أن كان طبيب المقاطعة قد استُدعي إلى الشقة وفقاً للأصول المتّبعة وأعلن وفاة الرجل هناك. لم يُعتبر موته محل شبهةٍ، ولم تجد الشرطة أنه من الضروري فتح تحقيق في الموضوع إلا إذا أظهَرَ التشريح شيئاً مشؤوماً. لذا أُغلقت الشقة في هذه الأثناء، وسيبقى بابها مغلقاً إلى أن ترفع الطبيبة الشرعية تقريرها.

أجَّلت الطبيبة الشرعية، التي تدعى سڤانهيلدور، التشريح إلى وقت لاحق من الأسبوع، فالمسألة غير عاجلة، ولديها ما يكفيها من مهام قبل أن تسافر لتقضية إجازةٍ تمتدّ لثلاثة أسابيع في ملعب غولف جذّاب في فلوريدا.

أخرجت الجثة من وحدة التبريد بعد يومين، ونقلتها إلى طاولة التشريح وقد تحلّقت حولها مجموعة صغيرة من طلاب الطب لمشاهدتها تعمل، وراحت

تستعرض معهم العملية خطوةً خطوةً. أخبَرتهم عن ظروف الحادثة بالتفصيل: عُثر على الجثة بعد اتصال أحد الجيران بالشرطة، وكل شيء يشير إلى أن الرجل مات لأسباب طبيعية. ومع ذلك فقد نجحت في إثارة اهتمام الطلاب لدرجة أن أحدهم توقف عن الاستماع لجهازه الآيبود لفترة وجيزة بينما كانت تتكلّم.

راحت سڤانهيلدور تعمل مفترضةً أن الوفاة نتجت عن نوبة قلبية، وتبيَّن لها أنها محقّة، لكن المشكلة هي أنها لم تتمكن من رؤية أي سبب للنوبة.

فحَصت عينيه.

نظرت داخل حنجرته.

"آه"، همَست، وانحنى الطلاب فوق الطاولة.

2

أسرعَا في تجاوز كشك الحرّاس المحصَّن بأكياس رمل أمام المسرح الوطني، وحاوَلت ألا يكون واضحاً أنهما معاً، على الأقل ليس أثناء سيرهما في الشوارع الأكثر زحمةً، فقد حنِق والداها عندما علِما بالعلاقة وطالَباها أن تُنهيها فوراً، حتى إن أباها هدَّد بطردها من المنزل في الواقع، وهي تعرف أنه شخص يفي بوعوده دائماً. لم تكن مستعدة لهكذا ردّة فعل عنيفة، لكنها قاوَمت بعناد فكرة إنهاء العلاقة رغم أنها غير راغبة بتحدّي والدَيها، لذا توقّفت عن التكلّم عنه، وتركتهما يعتقدان أن العلاقة انتهت، واستمرت في لقائه سراً.

الأماكن المحتملة قليلة إذا أرادا أن يلتقيا بعيداً عن العيون المتطفّلة. وعندما بدأا يتغازلان في أواخر الخريف، اعتادا الذهاب إلى تلة أوسكجوليد عندما يكون الطقس جيداً، لكن خياراتهما محدودة جداً في أعماق الشتاء الآن، واستئجار غرفة في فندق أمرٌ غير وارد على الإطلاق، وكذلك الحظائر. لجأا ذات مرة إلى الجهة الخلفية للمسرح الوطني بعد هبوط الليل، وقد لاح المبنى بكآبة فوق هفيرفيسغاتا كمنكشفٍ صخريٍ ضخمٍ من البازلت مثلما تم تصميمه لكي يبدو، رغم أنه لم يكن في الواقع أكثر من مجرد صَدفة مجوَّفة. لقد توقّف العمل على المشروع الطَموح منذ عشر سنوات مع بداية الانهيار الاقتصادي، وعندما احتلّ البريطانيون آيسلندا عام 1940، صادروه واستخدموه كمستودع للمؤن، وهو دور حافَظ عليه عندما خلَفَهم الأميركيون عام 1941، والآن أصبح مكاناً شعبياً للقاء الأحباب غير الشرعيين.

"إياكِ مقابلة ذلك الرجل مرة أخرى!"، زأر أبوها بغضب شديد، وكاد يرفع يده عليها للمرة الأولى في حياتها لو لم تتدخَّل أمها.

وعَدته، لكنها نكَثت الوعد فوراً. حبيبها الآتي من إيلينوي يدعى فرانك، وهو شخص نظيف وأنيق دائماً ورائحته عطرة، ولديه أسنان بيضاء جميلة، وأخلاق مهذّبة ونبيلة. تكلَّما عن الانتقال معاً للعيش في أميركا عندما تنتهي الحرب،

وكانت مقتنعةً أن أباها سيوافق عليه فقط لو استطاعت إقناع العجوز أن يلتقي به، عِلماً أنه يتصرَّف كما لو أنها الوحيدة وكما لو أن علاقتهما فريدة من نوعها.

كان عدد سكان ريكيافيك في بداية الحرب حوالي أربعين ألفاً، لكن منذ ذلك الوقت، توافدَ عشرات آلاف الجنود إلى البلدة، ومن المحتوم أن تنشأ علاقات غرامية بين الجنود والنساء الآيسلنديات بعد وصول الجنود البريطانيين، وازدادت أعدادها بسرعة عندما استُبدل الجنود البريطانيون بالجنود الأميركيين الذين جاءوا بأزياء أجمل ومال أكثر وأخلاق أفضل، وبدوا أشبه بنجوم سينمائيين للسكان المحليين. لم تشكِّل اللغة حاجزاً – لأن لغة الحبّ عالمية – لكن الذعر الأخلاقي الذي نتج عن ذلك كان كبيراً لدرجة أنه تم إنشاء لجنة للتعامل مع ذلك الوضع الفضائحي الذي أصبح يسمّى، بكل تجسيداته، «الحالة».

لم تكترث البتّة بشأن اللجان و«الحالة» بينما اندفعت عبر هفيرفيسغاتا مع فرانك الآتي من إيلينوي في ذلك المساء القارس في منتصف فبراير، والرياح تصفر حول الحصن الصخري الذي صُمِّم ليشبه قصور الأقزام في التراث الشعبي الآيسلندي. عند دخول الجماهير مبنى المسرح المَهيب، يُفترَض بهم أن يتخيَّلوا أنهم يدخلون جبلاً، أنهم يُنقَلون إلى القاعات اللامعة لقصةٍ خرافيةٍ، لكن الحرّاس محتشدون حالياً خلف متراس أكياس رملهم، ولم يعيروا انتباههم للشخصين اللذين مرَّا بهم على عجلة واحتميا من أعمدة الإنارة. كانت ترتدي المعطف الدافئ الذي أهداها إياه على احتفال الشتاء، وكان يرتدي معطفه العسكري الكبير فوق زيّه الذي تجده فاتناً جداً. إنه رقيبٌ وهناك رجال تحت إمرته، رغم أنها لم تعرف ما يقتضيه ذلك بالضبط. إلمامها بالإنكليزية لا يتخطى كلمات *نعم* و*لا* و*حبيبي*، وإلمامه بالآيسلندية ليس أفضل حالاً، ومع ذلك تمكّنا من فهم بعضهما البعض جيداً، وتحتاج الآن إلى التكلّم معه عن مسألة تُشغل بالها كثيراً.

لحظة احتمائهما من الرياح، بدأ فرانك يقبّلها بنهم شديد، وشَعَرت بيديه تتلمّسان تحت معطفها، وطارت أفكارها إلى أبيها. لو يراها الآن. سمِعت همسات تودُّد فرانك في أذنها: *آه يا حبيبتي*، وشَعَرت بيديه الجليديتين داخل البلوزة التي اشترتها من متاجر جاكوبسن بعد السنة الجديدة. داعب ثدييها عبر القماش الرقيق، ثم فكّ أزرار بلوزتها، ولمس لحمها العاري. بقيت هامدةً قليلةَ الخبرة بطرق

المضاجعة، رغم استمتاعها بتقبيله عادة، وشَعَرت برعشة حارة تغمر جسمها عندما لمَسها، لكن الطقس بارد جداً الآن وليست في مزاج جيد. لاحَ حنق أبيها فوقها، والشيء الذي تريد أن تقوله لفرانك يفترس ذهنها.

"فرانك، هناك شيء عليَّ أن أُخبرك إياه..."

"حبيبتي".

كان متوقداً جداً لدرجة أنها فقدت توازنها وتعثّرت وكادت تسقط، فالتقَطها وأكمل ما يفعله، لكنها أصرَّت على أن يتوقف. كانا يحتميان في مدخَل صغير ورأت أن ما جعلها تتعثَّر هو صندوق كرتوني كبير ممزَّق وقمامة أخرى افترَضت أنها لا شك آتية من المستودع لم تلاحظها عندما اجتازا المدخَل خلسةً يداً بيد، وأدركت فقط الآن أن هناك رِجلين نحيلتين ناتئتين من الأنقاض.

"*يا للهول*"، تأوه فرانك.

"ما الأمر؟"، سألت. "مَن هذا؟".

راحا يحدِّقان بالرِجلين: بالحذاء ذي الحزام فوق مشط القدم، وبجاربَي الكاحل والبشرة الزرقاء البيضاء العارية فوقهما. ليس هناك أي شيء آخر مرئي. تردَّد فرانك قليلاً، ثم انحنى وشدَّ الكرتون.

"ماذا تفعل؟"، همَست.

سحَب الصندوق الممزَّق إلى خارج المدخَل كاشفاً عن شابةٍ لا يزيد سنّها عن العشرين وممدَّدة على جانبها عند الجدار. اتَّضح لهما فوراً أنها ميتة.

"يا إلهي!"، لهَثت وهي تتمسّك بفرانك الذي لم يستطع أن يرفع عينيه عن الجثة.

"*تبًا!*"، تمتم همساً وهو يقرفص بجانب الفتاة، ثم أمسك مِعصَمها لكنه لم يستطع أن يشعر بنبضاتها، ثم وضع أصابعه على عنقها رغم أنه عرَف أن هذا بلا جدوى. غمرته قشعريرةٌ قويةٌ، فهو لم يكن قد شارك في أي معركة بعد ولم يصبح معتاداً على رؤية الجثث، لكنه استطاع أن يجزم حالاً أنه لا يمكن فعل أي شيء للشابة. بحَث بسرعة عن دلالات عن طريقة موتها، لكنه لم يستطع أن يرى أياً منها فوراً.

"ماذا سنفعل؟".

نهض فرانك، ووضع ذراعه حول فتاته الآيسلندية. إنها تروق له كثيراً، ويفهم جيداً لماذا لم تدعه أبداً إلى منزلها ليتعرَّف على عائلتها، فهناك أبواب كثيرة موصدة بوجه الجنود.

"*هيا نرحل من هذا المكان اللعين*"، قال وهو يحدِّق حولهما ليرى إن كان الطريق خالياً أمامهما.

"ألا يجب أن نبلِّغ الشرطة؟"، سألت. "*الشرطة*".

لم يستطع أن يلمح أي شخص قريب، وعندما ألقى نظرة حول الناصية، رأى أن الحرّاس لا يزالون في كشكهم خلف أكياس الرمل.

"*لا شرطة. لا. هيا بنا!*".

"*نعم شرطة*". قالت وهي تكافح لمقاومته.

شدَّها بذراعها، وأسرعَ بها في اتجاه ليندارغاتا، ثم نحو تلة أرنارهول العشبية. راح يجرّها تقريباً بما أنه أسرع منها، وسيرهما لفَت انتباه عجوزةٍ تسير في ليندارغاتا في طريقها إلى هڤيرفيسغاتا، وقد سلكت درباً سيجعلها تمرّ أمام المسرح الوطني. لم يلاحظاها، لكنها رأتهما يفرّان من مخبأ مظلم خلف المبنى. يا لسلوك الفتيات هذه الأيام، فكَّرت في سرّها، وشَعَرت أنها تعرف هذه الفتاة، فقد درَّستها في فترة من الفترات، ولم تُدرِك *أنها* منخرطة في «الحالة».

عند مرور المرأة أمام المسرح، حدَّقت إلى داخل المدخَل الذي خرج منه الثنائي، ولاحَظت القمامة من المستودع. توقفت للحظةٍ، ثم لمحَت الرِجلين، فاقتربت أكثر ورأت جثة الفتاة التي بدا لها واضحاً أن أحدهم حاوَل إخفاءها بين قصاصات الكرتون القديمة ونفايات أخرى، لكن ما لفتَ انتباهها فوراً هو ملابس الفتاة غير الملائمة تماماً لهذه الفترة من السنة، والتي هي مجرد فستان رقيق.

عصفت الرياح حول المبنى.

الفتاة جميلة حتى في موتها، وهي تحدِّق بالصَرح الكالح الذي فوقها بعينين متجمِّدتين، كما لو أن روحها فارقتها إلى قصر القزم الذي استحضَرته جدران المسرح.

3

راحت خيوطٌ من العرق تسيل على خدَّي مارتا، فقد طلبت الطبق رقم سبعة، كاري اللحم، الموصوف بأنه أكثر طبق حار في القائمة، وكونراد الذي تناول لقمةً من طبقها من باب التجربة لم يستطع أن يشعر بمذاق أي شيء آخر غير الفلفل الحار، وأخذ يشرب الليموناضة بشكل مضطرب ليهدئ اللهيب في فمه وشفتيه. لقد طلبَ طبق دجاج له مذاقٌ في الواقع، بل هو طبقٌ لذيذٌ جداً.

يقع هذا المطعم التايلاندي في منطقة صناعية في ضواحي ريكيافيك، وبدا منفِّراً للوهلة الأولى فواجهته أشبه بمرأب سيارات، وهو من صنف الأماكن التي تحبّها مارتا: رخيص، خدمته سريعة، طعامه جيد، ولا خطر من أن يدخله أي شخص من أصحاب الدخل العالي.

عندما اتصلت مارتا بكونراد من المخفر لتسأله عن رغبته بتناول الطعام معها، وافَق فوراً، فقد مرّ وقت طويل منذ أن تحدَّثا معاً، كما أنه لم يكن لديه شيء أفضل ليفعله بعد أن أصبح متقاعداً الآن. لقد عمِلا بانسجام جيد معاً في الجنائية رغم فارق السنّ، لكن علاقتهما تغيَّرت وفقدت مَوَدّتها المريحة منذ رحيل كونراد، وبدا اللقاء مختلفاً بطريقة أو بأخرى كما لو أنهما لم يعودا في نفس الفريق: انتهت مسيرة كونراد المهنية بشكل نهائي، بينما مارتا لا تزال غارقة في عمل الشرطة، وعدد القضايا المكلَّفة بها أكبر بكثير من أي وقت مضى.

"حار قليلاً بالنسبة لكِ، أليس كذلك؟"، سأل كونراد وهو يراقب خيوط العرق تسيل على خدَّي مارتا.

"لن أقول ذلك. إنه لذيذ، وقد أكلتُ أطباقاً حارةً أكثر منه".

"أنا متأكد من ذلك"، ردَّ كونراد خاتماً الموضوع لأنه من السهل جداً إغضاب مارتا، فهي لا تدع أبداً أي شخص يتغلَّب عليها، ولا تعترف أبداً أنها مخطئة، ويجب أن تكون الكلمة الأخيرة لها دائماً.

"كيف أحوالك؟"، سألت.

"ليست سيئة، وأنتِ؟".

"صامدةٌ".

أنهت مارتا طبق الكاري، ومسحت وجهها. إنها إنسانة بدينة ذات أصابع ثخينة وذقن مزدوجة كبيرة، وجفنَين كثيفين يميلان إلى التهدُّل، خاصة بعد تناولها وجبة طعام كبيرة، وشعر فوضوي عادة، وترتدي ملابس من نفس النمط هي عبارة عن قمصان فضفاضة وسراويل حيث يبدو أنها لم تجد فائدةً من التأنُّق – فلم تعرف لمَن تفعل ذلك، ويسخر منها زملاؤها بتلقيبها مارتا الأنيقة. بقيت تساكن امرأةً من جُزُر فيستمان لبعض الوقت، لكن المرأة عادت إلى منزلها في نهاية المطاف، وهكذا أصبحت مارتا تعيش لوحدها منذ ذلك الوقت.

"هل وصلكَ أي خبر من سڤانهيلدور؟"، سألت مارتا وهي تنظِّف أسنانها بعُود تخليل، وهذه عادة تثير أعصاب كونراد، خاصة عندما تبدأ بشفط الهواء عبرها ثم تنفخه بأصوات التماظ صاخبة.

"لا"، قال كونراد. لقد مرّ وقت طويل منذ أن التقى بصديقته القديمة من المستشفى الوطني.

"لقد تحدَّثت معنا على الهاتف للتو عن رجلٍ متقاعدٍ يعيش لوحده عُثر عليه ميتاً في شقته، وافترَضنا أنه مات في نومه. يدعى ستيفان ثورذارسون. ربما سمِعت عنه؟".

أومأ كونراد برأسه، فهو يتذكَّر أنه قرأ مقالاً في الصحيفة قبل عدة أيام يشير إلى أنه عُثر على المتقاعد ميتاً على سريره. كان يعيش لوحده، ويبدو أنه تُوفِّي وحيداً ومُهمَلاً، وقد بلَّغت جارةٌ الشرطة بعد أن بقيت لا تراه لعدة أيام.

"ما أمره؟".

"ألا تبقيك سڤانهيلدور على اطلاع بالأمور المثيرة للاهتمام؟".

"لا أعرف لماذا يعتقد الناس ذلك".

"حسناً، اكتشَفت شيئاً فات كلياً الطبيب الذي استدعيناه إلى شقة الرجل".

"لا تفوتها أمور كثيرة"، قال كونراد.

"تعتقد أن ستيفان خُنق، على الأرجح بوسادته".

"حقاً؟".

"تظن أنه قُتل".

"بالله عليكِ لماذا؟ كان كبيراً في السنّ، أليس كذلك؟".

"ماذا تقصد؟"، رَدَّت مارتا معترضةً. "لماذا قُتل، أو لماذا تظن سڤانهيلدور أنه قُتل؟".

راحت تحدِّق بكونراد بعينين مثقلتين وهي تنكز أسنانها بعُود التخليل، فابتسم لها نادماً على تفويته فرصة تحريضها قبل الآن.

"حسناً"، قال. "دعينا نبدأ بالسؤال الأول: لماذا قُتل؟".

"لا نعرف".

"إذاً ما الذي يجعل سڤانهيلدور تعتقد أنه قُتل؟".

"آثار في حنجرته وجهازه التنفسي العلوي"، قالت مارتا. "والأوعية الدموية الصغيرة جداً الممزَّقة في عينيه. الأمور المعتادة".

"أي نوع من الآثار؟ ألياف من وسادته؟".

"نعم. تقول سڤانهيلدور إن شخصاً بلا شك ضغطَ الوسادة على وجهه إلى أن انقطعت أنفاسه، عِلماً أنه لم يتمكن من أن يقاوم كثيراً، فالمسكين تخطى التسعين في النهاية. ورغم أن الأمر حصل بلمح البصر، إلا أن تلك الألياف الفاضحة بقيت".

"كان كبيراً في السنّ إلى ذلك الحدّ؟".

"نعم، ولا يتطلّب خنقه مجهوداً كبيراً. الشرطيان اللذان عثرا على الجثة لم يشتبها بشيء، بل وجدا وسادتين فقط، واحدة تحت رأسه، والأخرى بجانبه... وبدا لهما كما لو أنه مات في نومه".

"بمعنى آخر، أراد أحدهم أن يبدو موته طبيعياً بفعل الشيخوخة؟".

"يبدو ذلك".

"وقد خدعكم ذلك كثيراً؟"، لم يستطع كونراد أن يقاوم قوله هذه الملاحظة الساخرة. "هل كنتِ هناك؟".

شفطت مارتا الهواء عبر أسنانها. "المُسعِف الذي استُدعي لفحصه لم يلاحظ أي شيء مريب، ولسنا أطباء – لم ننكبّ على فحص حنجرته بِمجهَرٍ".

"إذاً ما الذي جَعَل سڤانهيلدور تفحص حنجرته؟".

"لماذا لا تكلّمها؟".

"ربما سأفعل ذلك".

"جيد".

"مَن كان؟ هل هو شخص تعرفينه؟".

"هل تقصد إن كان صديقاً قديماً من الشرطة؟ لا، ليس صديقاً، وكان يعيش لوحده مثلما قلتُ لك. لم يخالف القانون ولو مرة واحدة، على الأقل ليس خلال السنوات العشرين الأخيرة، ولا زلنا لم ننجح في إيجاد أي شخص يعرفه، باستثناء المرأة في الشقة المجاورة".

"لا أصدقاء أو عائلة؟".

"لا نعرف أياً من ذلك بعد، ولم يطالب به أحدٌ، لكن ربما هذا سيتغيَّر بعد أن ينتشر الخبر على الانترنت هذا المساء، وبعد أن يُنشَر في الصحف صباحاً. سنرى إن كان لذلك أي تأثير".

"هل كانت عملية سرقة؟ أي دلالةٍ على دخول قسري؟".

"لا. لقد أجرينا فحصاً شاملاً للشقة، وبقي فريق الجنائية هناك طوال اليوم".

"لذا فقد كان يعرف الشابّ الذي فعل ذلك؟ هل فتح له الباب؟ هل دعاه للدخول؟".

"اعتقَدتُ أنك تقاعدتَ؟".

"هذا صحيح"، قال كونراد. "والحمد لله".

4

عندما وَصَل كونراد إلى منزله تلك الليلة، وضع أسطوانة لأشهر الأغاني الشعبية الآيسلندية من الستينات، وفتح قارورة شراب عنب أحمر – «الذراع الميتة»، وهو صنفه المفضَّل – وجلس إلى طاولة المطبخ عند النافذة التي تواجه الغرب وحيث الشمس تغمر الغرفة بتوهُّج زهري هادئ. يحبّ الاستماع إلى الأغاني الشعبية القديمة من العصر الذهبي، وقد حفَظ كل كلماتها عن ظهر قلب، عِلماً أنها تخطر على باله في لحظات غريبة، فتعيد إيقاظ الذكريات الجميلة مع حنين إلى الماضي، ويكفيه أن يستمع إلى فرقة إنغيمار إيدال تعزف الافتتاحية الموسيقية لأغنية 'الربيع في ڤاغلاسكوغور' حتى يعود ذهنه إلى صيف 1966 عندما سمِع تلك الأغنية لأول مرة.

قطَع رنين الهاتف في غرفة الجلوس شرود ذهنه، ونهض ليردّ على المكالمة. الوقت تخطى الساعة الحادية عشرة مساءً، لذا لا يمكن أن يكون المتصل إلا مارتا، فهي ترفع سمّاعة الهاتف في أي ساعة من النهار أو الليل لأتفه الأعذار، ولمجرد الدردشة في أغلب الأحيان، خاصة أنها أصبحت وحيدة منذ أن عادت حبيبتها إلى جُزُر ڤيستمان.

"هل كنتَ نائماً؟"، سألت مارتا، دون أن تبدو محرجةً أبداً.

"لا".

"ماذا تفعل؟".

"لا شيء. أي تطوّرات في موضوع المتقاعد الميت؟".

"لقد أنهينا البحث في شقته".

"و؟".

"لم نجد الكثير. لقد عاش لوحده، ولا نزال لم نحدِّد إن كان لديه أي أنسباء أحياء أم لا، خاصة أنه لا توجد صور عائلية على الجدران، ولا ألبومات صور، لكنه احتفظ بصورة شابّ في جارورٍ قرب سريره. لديه كتب قليلة، لكن باستثناء

ذلك، بالكاد وجدنا أي ممتلكات شخصية، والبنود الوحيدة التي قد تكون مهمة هي بعض قصاصات صحف قديمة لا شكّ أنه علّقها على الجدار لسنوات".

"آه؟".

"نعم، لكنها لا تفيدنا كثيراً. لا أتذكّر أنني سمِعتُ يوماً عن القضية".

"القضية؟".

"تلك المذكورة في القصاصات. عددها ثلاثة، وهي مأخوذة من نفس الصحيفة على الأرجح، لكنها غير مؤرَّخة أو عليها أي شيء، وليس هناك أي دليل أن القضية حُلَّت يوماً أو تولّى أمرها الأميركيون. يقول المقال الأخير إن التحقيق جارٍ، لكن الشرطة تعلن عن إحراز تقدّم طفيف".

"عما تتكلّمين؟ الأميركيون؟".

"إنني أتكلّم عن تحقيق في جريمة قتل"، قالت مارتا. "عُثر خلال الحرب العالمية الثانية على فتاة مخنوقة خلف المسرح الوطني عام 1944. أليست هذه السنة التي وُلدتَ فيها؟".

"نعم".

"يبدو أن القضية تلاشت من دون أي أثر، فلم أستطع إيجاد أي سجل لها في ملفات الشرطة، واضطررنا أن نتعقّبها في أرشيفات الصحف".

"عُثر على جثة فتاة خلف المسرح الوطني؟".

"نعم. ماذا؟".

"لا شيء..."

"هل يبدو الخبر مألوفاً؟".

تردَّد كونراد. "لا، لا أدري".

"ماذا؟".

"لا شيء".

"لماذا تتصرَّف بغموض؟".

"أنا نعسان فحسب"، قال كونراد بذهن مشتت. "من الفظاظة الاتصال بالناس في هذا الوقت المتأخر. دعينا نتكلّم غداً".

ودَّعها، وأفرغ كوبه، وأوى إلى السرير، لكن النوم تملَّص منه حيث أبقته

الأفكار بشأن أبيه والفتاة الميتة خلف المسرح مستيقظاً حتى قُبيل الفجر، فرغم أنه تردَّد في مشاركة الحقيقة مع مارتا، إلا أن القضية مألوفة لديه في الواقع بسبب علاقة أبيه الغريبة بها. لا يحبّ كونراد أن يتكلَّم كثيراً عن أبيه الذي عمِل في مجال الروحانيات في فترة ما، في شراكةٍ مع عدد من النفسانيين الذين لم يُعرفوا بسُمعة طيبة. فبعد بضعة أشهر على وفاتها، اتصَل والدا الفتاة المقتولة بأحد أولئك الوسطاء الروحيين، وطلبا منه أن يُجري لهما جلسة تحضير أرواح، وقد ساعده والد كونراد. وما حصل في جلسة تحضير الأرواح تلك نُشر بعد ذلك في الصحف.

مسَّد كونراد ذراعه اليسرى بذهن شارد وهو يتساءل عما إذا كان عليه أن يزور مارتا، أو أن عليه ألا يجلب المشاكل لنفسه. لقد وُلد بذراع ذابلة قليلاً، وهو عيبٌ نادراً ما أزعجه، فلا أحد في النهاية سيلاحظ حقاً أن ذراعه ويده اليسرى أضعف من الذراع واليد اليمنى. بقي يتقلَّب أرقاً على الفراش إلى أن وصل إلى حالةٍ ما بين اليقظة والأحلام تغلغلت فيها نغمات 'الربيع في ڤاغلاسكوغور' إلى ذهنه وغفا أخيراً، ورافقته الذكريات الجميلة للرمل الأصفر في خليج ناوثولسفيك، والأولاد يلعبون عند حافة الماء، وقبلةٍ برائحة الزهور.

5

كاد يقشعِرّ بدنها خوفاً عندما سمِعت شخصاً يقرع على الباب الأمامي، فالوقت متأخر وعرَفت غريزياً أن الشرطة أتت من أجلها.

لقد فرَّت مع فرانك إلى أرنارهول رغم الرياح الشمالية الوحشية، ثم نزلا إلى كالكوفنسڤيغور، ثم سارا من هناك نحو لكجارغاتا ووسط البلدة محاولَين التصرّف وكأن شيئاً لم يحدث. لا تزال قادرة على تصوُّر الفتاة الممدَّدة عند المدخَل خلف المسرح، وعرَفت أنها لن تتمكن أبداً من محو تلك الصورة من ذهنها. لم تستطع أن تفهم ردّة فعل فرانك العفوية بهروبهما المغفَّل من ذلك المكان، فقد أرادت أن تبلِّغ الشرطة، لكنه حاوَل أن يفسِّر لها أسبابه عندما أبطأا سرعتهما أخيراً قائلاً إن المسألة لا تعنيه، فالفتاة ميتة من قبل ولا يمكنهما مساعدتها الآن، ولا شكّ أن شخصاً آخر سيجدها قريباً ثم ستزول المشكلة.

وجدا الناس يهرولون هرباً من الرياح الجليدية إلى دُور السينما والمقاهي أو لزيارة بعض الأصدقاء، وراحت سيارات جِيب مليئة بجنودٍ تهدر عند مرورها أمامهما في لكجارغاتا وبنكاستراتي، وقال فرانك إنه من الأفضل لهما أن يفترقا فوراً، ويمكنهما اللقاء مرة أخرى بعد بضعة أيام، في بقعتهما المعتادة خلف دار العبادة الكبرى، وسيكون الهرج والمرج قد هدأ وقتها بلا شكّ. قبَّلها مودِّعاً، وأسرعَت إلى المنزل عبر وسط البلدة.

رغم أنها عرَفت أنهما أخطأا في الفرار وترك الفتاة في تلك الحالة، إلا أن جزءاً منها شَعَر بالارتياح، وبالتالي فإن فرانك ربما تصرَّف بشكل منطقي في النهاية لأنه لم تُرق لها فكرة اضطرارها أن تفسِّر للشرطة، أو لأي شخص آخر، ماذا كانت تفعل معه خلف المسرح، ولماذا تسلَّلت مع جندي أميركي إلى أماكن مظلمة، وإذا وصل الخبر إلى أبيها، سيفقد صوابه.

سمِعت جولة أخرى من القرع على الباب في الطابق السفلي، قرعاً مُلحّاً أكثر هذه المرة. كانت قد وجدت والدَيها قد أويا إلى السرير، وأخويها الصغيرين

نائمين، عندما تسلَّلت إلى المنزل وصعِدت إلى غرفتها بأقل ضجة ممكنة، وارتدت قميص نومها واستلقت على سريرها، لكنها لم تستطع أن تغفو. حاوَلت أن تقرأ رواية عاطفية، لكنها لم تستطع أن تُبعِد أفكارها عن الفتاة الميتة وفرانك.

تباً لها، وجدت نفسها تفكّر في سرّها كما لو أنه ذنب الفتاة المسكينة.

سمِعت صرير كل خطوة من خطوات أبيها وهو ينزل إلى الطابق السفلي، لذا نهضت عن سريرها خلسةً، وضغطت أذنها على باب غرفة نومها. ربما الزائر ليس الشرطة في النهاية، بل ربما شخصاً آخر.

لم تكن محظوظةً إلى هذا الحدّ، فقد سمِعت أباها ينادي إسمها، فانكمَشت وتراجعت إلى الخلف في غرفتها.

"إنغيبورغ!"، سمِعته ينادي مرة أخرى، ثم مرةً ثالثةً وقد نفد صبره أكثر.

فُتح بابها، وأطلَّ رأس أمها.

"أبوكِ يناديكِ يا عزيزتي"، قالت. "ألم تسمعيه؟ تريد الشرطة أن تتكلَّم معك. بالله عليكِ ماذا فعلتِ؟".

"لا شيء"، قالت وهي تُدرك كم يبدو جوابها غير مُقنِع.

"هيا معي إلى الطابق السفلي حالاً"، قالت أمها بغضب. "هيا بسرعة. يا للهول!".

تبَعت أمها إلى منبسط الدرج، وحالما نزلت الدرجات القليلة الأولى، استطاعت أن ترى رجلَين يقفان في الردهة مع أبيها وقد أدارا وجهيهما بترقّب نحو السُلَّم.

"ها قد أتيتِ"، قال أبوها بصوتٍ مرتبكٍ. "هذان السيدان من الشرطة". استدار إلى أحدهما وأضاف، "آسف، لقد نسيتُ إسمك".

"فلوفنت يا سيدي"، ردَّ الرجل. "وهذا ثورسون"، أضاف وهو يشير إلى رفيقه. "نحن هنا بالنيابة عن الشرطة العسكرية الأميركية، رغم أنه من الجيش الكندي. وأجرؤ على القول إنه مُلمّ بالآيسلندية أفضل مني".

"أنا كندي، من مانيتوبا"، شرَح ثورسون. "هاجر والداي من آيسلندا".

بدا الشرطي الآيسلندي في حوالي الثلاثينات من عمره وكان طويلاً ونحيلاً وقوياً، بينما بدا ثورسون الأقصر والبدين أكثر أصغر سناً بحوالي عشر سنوات. كِلا الرجلين لا يرتديان زيّهما الرسمي، بل يرتديان معطفين شتويين سميكين، وقد

خلعا قبعتيهما عندما دخلا المنزل.

"آه، نعم، مانيتوبا"، قال أبوها. "يا للصدفة!"، ثم استدار بغضب نحو إبنته. "يريدان التحدّث معك يا إنغيبورغ عن حادثٍ وقع خلف المسرح الوطني. لم يُخبِراني ما الأمر وأصرّا على التحدّث معك أولاً. أريد معرفة ما حصل. بالله عليكِ ماذا كنتِ تفعلين هناك؟".

بالكاد تجرّأت على النظر إلى أبيها، ناهيك عن الردّ عليه، ويبدو أن الشرطيين شَعَرا باضطرابها.

"إذا لم يكن لديك مانع يا سيدي"، قال فلوفنت، "نفضّل أن نتحدَّث مع إبنتك على انفراد".

"على انفراد؟"، صاح أبوها. "ما الداعي إلى ذلك؟".

"إذا لم يكن لديك مانع يا سيدي. ويمكننا مناقشة الأمر معك بعدها إذا أردتَ، وبحضور الشابة".

"ما معنى هذا يا إنغيبورغ؟ لماذا لا تجيبينني؟"، قال أبوها بصوتٍ مرتفع. "هلاّ تفضَّلتِ وشرحتِ لي لماذا يقف ممثلٌ عن الشرطة العسكرية الأميركية في ردهتي؟ بالتأكيد أنكِ قطعتِ علاقتكِ بذلك الجندي؟ ألم أمنع ذلك بكل وضوح".

"نعم"، أقرّت بخجل دون أن تعرف ماذا تقول غير ذلك.

"ومع ذلك لا زلتِ تقابلينه؟ رغم...!"

بدا للحظة وكأنه سيمسكها ويجرّها نزولاً على بقية الدرجات.

"اهدأ يا إسليفور"، قالت زوجته بحدّة من حيث تقف بجانب إبنتهما. "أفضّل ألا تتكلَّم هكذا أمام الزوّار".

تمالَك زوجها نفسه، وحدَّق بزوجته، ثم بالشرطيين اللذين لا يزالان يقفان هناك حاملَين قبعتَيهما، وبدا جلياً أنهما يشعران بحرّ مزعج في معطفَيهما الشتويين السميكين. الثلج يتساقط في الخارج، وقد أصبح كتفاهما مبلَّلين بالرطوبة.

"عفواً"، قال.

"لا بأس يا سيدي"، قال ثورسون. "ليس لطيفاً أبداً تلقي زيارة في هكذا وقت متأخر من الليل، خاصة من الشرطة".

"لقد منعتُها منعاً باتاً أن تخالط الجنود، لكن يبدو أنها مصمِّمة على عصياني

وعلى عدم سماع أي كلمة أقولها، وأمها تشجّع هذا العِناد".

"إذا أمكن... لو سمحتَ أن تدلّنا على مكان هادئ يمكننا أن نتحدَّث فيه مع إنغيبورغ يا سيدي وسنكون ممنونين جداً"، قال فلوفنت. "أطمئنك أن ذلك لن يستغرق وقتاً طويلاً، واعذرنا مرة أخرى رجاءً على إزعاجكم في هكذا وقت متأخر، لكننا شَعَرنا أن المسألة لا يمكنها أن تنتظر حتى الصباح".

"يمكنكما استخدام الصالون"، قالت والدة الفتاة وهي تنزل الدرج وخلفها إنغيبورغ التي راحت تلقي نظرات خوف نحو أبيها حيث إن آخر شيء تريده هو إغضابه، فهي تحترمه رغم كل شيء. لقد عرَفت أنها وَضَعته في موقف مُربك بإصرارها على لقاء فرانك، والآن هناك شرطيان في منزلهم وكل ذلك ذنبها.

قادت أمها الرجلين إلى الصالون، ودفَعَت إنغيبورغ خلفهما، وأوقفت إسليفور الذي حاوَل أن يتبعهم.

"يمكننا التكلّم معهما لاحقاً"، قالت بحزم وهي تغلق الباب.

"ومعها"، قال زوجها بتجهّم. "سيكون على هذه العاهرة الصغيرة الساذجة أن تبرِّر أفعالها".

"كفى"، قالت زوجته وقد غضِبت الآن. "لن أدعك تتكلَّم عن إبنتنا هكذا".

"لكن هذا لا يُطاق"، قال غاضباً. "ألا تفهمين؟ الفتاة غارقة في «الحالة» حتى أذنيها! الشرطة هنا في منزلنا! كيف يمكنها أن تفعل هذا بي؟ ماذا تعتقدين أن الناس سيقولون؟ أنتِ تعرفين أن الإشاعات ستكثر، وعليَّ أن أفكِّر بسُمعتي. هل لديك أي فكرة عن معنى هذا لرجلٍ في موقعي؟ سُمعتي لم تخطر ببالك حتى، صح؟".

6

خلعا معطفيهما السميكين بكل امتنان، وألقاهما على ظهر كرسي في الصالون، وبعد أن انتظَرا بتهذيب حتى تجلس إنغيبورغ، جلَس فلوفنت وبقي ثورسون واقفاً خلفه. لقد وصل البلاغ إلى فلوفنت قبل حوالي ساعتين: أثناء مرور امرأةٍ في منطقة تسمى حي الظلال، عثرت على جثة شابة خلف مبنى المسرح الوطني. وعندما علِم أن الشاهدة رأت شخصين يُسرعان في الابتعاد عن المكان في اتجاه أرنارهول، وأحدهما جندي أميركي بشكل لا لبس فيه، أعلن فلوفنت أنه يبحث عن ثورسون، فقد عمِل الرجلان معاً على قضايا أخرى تقع ضمن السلطان القضائي للشرطة الآيسلندية ولفيلق الشرطة العسكرية الأميركية معاً.

عندما اندلعت الحرب، تطوَّع ثورسون في الجيش الكندي، وبعد الاحتلال البريطاني لآيسلندا، سرعان ما وجد نفسه يُعيَّن هناك بصفة مترجم، وقد خدَم مع الشرطة العسكرية البريطانية في البدء، ثم مع الأميركيين عندما تولّوا أمر الدفاع عن البلاد. وُلد ثورسون في كندا لوالدَين آيسلنديين، وهو يتكلَّم اللغة بطلاقة، وتمت الاستعانة به كضابط ارتباط بين قوة الاحتلال والشرطة الآيسلندية. ورغم أنه لم يعمل كمحقق أبداً، إلا أنه أبدى اهتماماً كبيراً في التحقيقات من البداية، وبدأ يتعاون مع فلوفنت في كل القضايا الخطيرة التي تتعلق بالجنود والمدنيين المحليين. انسجم الرجلان معاً جيداً، وكلاهما يفضِّل حل القضايا بأقل قدر ممكن من البيروقراطية والاستطراد، فهي تشكِّل عوامل تأخير محتومة تنتج عن استخدام القنوات الرسمية المعقّدة.

عندما وصل التقرير بأنه عُثر على جثةٍ، كان فلوفنت لوحده في مكاتب قسم التحقيق الجنائي الحديث النشء في ريكيافيك، والذي يقع في المبنى الكبير في الرقم 11 فريكركيوفيغور. هذا العقار الذي يتواجد قرب البحيرة الصغيرة في وسط البلدة ويشبه فيلا إيطالية الطراز بأعمدته وشرفاته كان ذات يوم مُلك أغنى عائلة في آيسلندا، وقد انتقل قبل الحرب إلى أيدي حركة الاعتدال التي تؤجِّر الآن

مكاتب لقسم التحقيق الجنائي ولجهات أخرى أيضاً. يستمتع فلوفنت بالعمل هناك، رغم أن بقية فريق التحرّيين في ملابس مدنية الصغير انتُدبوا لمهام أخرى كجزء من المجهود الحربي، وتم تعليق أعمال التحقيقات إلى حد كبير.

رنَّ الهاتف بُعيد عودته إلى المكتب بعد تحدّثه مع أبيه، وكان ينوي أن يكرّس بضع ساعات لأرشيف بصمات الأصابع. دارَ حديثهما مرة أخرى حول قطعة الأرض في المقبرة في شارع سودورغاتا، وقد أراد منه أبوه أن يدرس احتمال العثور على بقايا أمه وأخته ونبْشها، ونقلها إلى قطعة أرض جديدة حيث يمكن دفن الأب والإبن أيضاً في الوقت المناسب، لكن فلوفنت لم يُبدِ حماسةً كبيرةً للفكرة، بل شَعَر أنه من الأفضل ترك الأمور على حالها، لكنه شِبه وعَده في النهاية أن يعرف مَن مدفون أيضاً مع أمه وأخته في المقبرة الجماعية التي حُفرَت في ذروة وباء الإنفلونزا الإسبانية عام 1918، وأن يدرس احتمال فتحها.

خطا فلوفنت بخطوات كبيرة ورشيقة في لكجارغاتا وسط الرياح الشمالية القارسة وبالكاد هناك أي شخص في الأرجاء، ومرَّ أمام تمثال الشاعر القدير جوناس هالغريمسون الذي اعتاد أن يحيّيه كلما مرّ من أمامه، وقد تطوَّرت تلك العادة مع مرور الوقت لتصبح خرافة لا تُقاوَم بأن عليه أن يرفع يده له أو يُلقي بصمتٍ بيتاً من شعره، خوفاً من أن يصيبه حظٌّ سيئٌ إذا أهمَل هذه الشعائر. "لا أحد ينذُب آيسلندياً / راقداً في قبره الوحيد..."

تجمهرت زمرةٌ صغيرةٌ من الناس قرب المسرح الوطني: المرأة التي اكتشفت الجثة، وبضعة مارّة، والحرّاس الذين خرجوا الآن من خلف متراسهم الرملي.

كان ثورسون في المحطة البحرية الأميركية في خليج ناوثولسفيك عندما تلقّى الاستدعاء المتأخر، فهرع إلى الجِيب العسكري الموضوع تحت تصرّفه، وأسرعَ إلى البلدة، ووصل إلى المسرح في اللحظة التي كانوا على وشك رفع الجثة فيها. بعد إلقائه التحية على فلوفنت، ركَع بجانب الفتاة.

"هل هناك إصابات في العنق؟"، سأل.

"نعم، يبدو أنها خُنقَت".

بناءً على ملابسها، لا شكّ أن الشابة قُتلت في مكان آخر، ثم رُميَت عند المدخَل، فمن المستبعد تماماً أن تكون قد خرجت إلى الهواء الطلق مرتديةً مجرد

فستان مهلهَل في هذا الطقس. ويبدو أن أحدهم حاوَل إخفاء جثتها تحت قِطع الكرتون وقمامة أخرى.

"ليس مخبأً جيداً جداً"، علَّق ثورسون وهو يرفع نظره إلى المبنى الكئيب.

"بالفعل".

"هناك حرّاس عند الجهة الأمامية".

هزَّ فلوفنت كتفيه. "يمكنك قيادة مركبةٍ وصولاً إلى الجهة الخلفية للمبنى، ولن تحتاج إلى أي وقت يُذكَر لتتخلّص من الجثة".

"لكن لماذا هنا، لماذا المسرح الوطني؟".

"سؤال جيد".

"ربما أراد القاتل القيام بحركة درامية"، قال ثورسون. "عبر تركها هنا".

"ماذا بشأن الجنود المتواجدين في المستودع؟"، سأل فلوفنت. "هل كانت في الداخل؟ هل تعرف شخصاً هنا؟".

"لماذا الشاهدة متأكدة أن الرجل الذي رأته أميركيٌّ؟"، سأل ثورسون وهو يلقي نظرة سريعة على العجوزة التي عثرت على الجثة، والتي تقف بعيداً قليلاً مع شرطيين بالزي الرسمي وتشتكي لهما أنه ليس لديها الوقت لكل هذا، وتطالبهما بتركها تعود إلى منزلها.

"إنها متيقّنة".

"لا يزال هناك بعض الجنود البريطانيين في الأرجاء، وكنديين ونرويجيين أيضاً".

"تعرَّفت أيضاً على الشابة التي كانت معه".

"آه؟".

"تقول إنها درَّستها في كلّية ريكيافيك".

"ليس صعباً أن تكون شرطياً في ريكيافيك"، قال ثورسون وهو يشدّ معطفه الكبير حول نفسه بشكل محكم أكثر.

"ربما"، قال فلوفنت. "سأُحضِر مصوِّراً فوتوغرافياً إلى هنا، فسنحتاج إلى صور للمكان".

بدا أن إنغيبورغ تشعر بالخِزي وهي تجلس محدَّبةً على الكرسي، وقد تركَّزت

أفكارها على أبيها الذي ينتظر في الردهة، وشَعَر الرجلان أن عليهما أن يتهاونا معها إذا أرادا ألا تنهار أعصابها.

"لستِ الفتاة الوحيدة التي تلتقي بجندي في السر يا آنسة"، قال ثورسون بصوتٍ ودودٍ. "لستِ الأولى ولن تكوني الأخير أيضاً".

حاوَلت أن تبتسم.

"ما اسمه يا آنسة؟"، سأل فلوڤنت. "الجندي الذي كنتِ معه".

"رجاءً، لا داعي لأن تناديني 'آنسة'".

"حسناً"، قال فلوڤنت.

"فرانك"، رَدَّت. "إسمه فرانك. هل تكلَّمتما معه؟".

"لا. فرانك ماذا – هل تعرفين كنيته؟"، سأل ثورسون.

"بالطبع أعرفها. فرانك كارّول. إنه رقيب. كيف عرَفتما أنني كنتُ هناك؟ هل رآني أحدٌ؟".

"إنها بلدة صغيرة"، قال ثورسون بجفاء.

"لمحتكِ امرأةٌ، وتعرَّفت عليكِ"، وضَّح فلوڤنت. "لا يهمّ مَن هي، لكنها رأتكِ مع جندي أميركي، وافترَضت أنكما أذيتما الفتاة ثم هربتما. هل هي محقّة؟".

"لا!"، صاحت إنغيبورغ بقوة. "لم أر تلك الفتاة من قبل أبداً في حياتي. لقد كنتُ وفرانك... ذهَبنا فقط إلى هناك لكي..."

"تتبادلان القُبل؟"، اقترح ثورسون.

"لا يريدني أبي أن التقي به، ومنعني من رؤيته، وقد سمِعتما ما قاله. الأماكن التي يمكننا الذهاب إليها قليلة جداً، فأنا لا أحبّ التواجد مع الجنود الآخرين، ولا أريد أن أطلب من صديقاتي أن يعيرنا غُرفهن، لذا كل ما يمكننا فعله حقاً هو أن نلتقي في الهواء الطلق. لقد ذهبنا إلى هناك مرةً من قبل".

"هل هو من المشاة؟ المدفعية؟".

"كل ما أعرفه هو أنه رقيب. لا نتكلَّم كثيراً عن الجيش فهو يكرهه، ويخشى أن يُرسَل إلى أوروبا".

"أين تعرَّفتما على بعضكما؟".

"في فندق بورغ، في الخريف الفائت. إنه رجل لطيف ومهذّب جداً، ويُراعي

شعور الآخرين كثيراً".

"لذا فأنتما تلتقيان بشكل رئيسي في حفلات الرقص؟".

"نعم. إنه... إنه راقص مذهل".

"هل تحبّين رقصة الجيتربَغ؟"، سأل ثورسون محاولاً أن يلطِّف الأجواء قليلاً.

"نعم".

"ماذا تعرفين أيضاً عن فرانك؟".

"إنه من إيلينوي، وهو أكبر مني بخمس سنوات. سيفتتح وكالة سيارات عندما يخرج من الجيش، فالجميع يملكون سيارةً في أميركا. يحبّ الذهاب إلى السينما، لكنني لم أجرؤ أن أذهب معه بما أن أبي منعني من لقائه. لديه أخوان، ويعيش مع أمه، وأبوه متوفى".

"هل خَنَق الفتاة عند مدخَل المسرح؟"، سأل فلوفنت بوحشية مفاجئة.

ارتَدّت إنغيبورغ مصدومةً. "لا! لم يضع إصبعاً عليها، ولا أعرف مَن هي تلك الفتاة. يا للهول، لا يجب أن تقول أشياء مماثلة. هل خُنقَت؟".

"هل رأيته يفعل ذلك؟".

"أنا؟ لا، لقد... لا، كيف يمكنك أن تقول شيئاً فظيعاً كهذا؟".

"هل أخذتماها بعد ذلك وألقيتماها خلف المسرح مثل قمامةٍ عديمة القيمة؟".

"ربّاه... كيف يمكنك أن تتكلَّم هكذا...؟"، بدأت تتذمَّر.

"لماذا هربتما إذاً؟".

"لأنه أصرَّ أن نهرب معتبراً أنه أكثر شيء منطقي يمكننا أن نفعله، وقائلاً إنه لا شأن لنا بهذا، و... كان محقّاً. ليست لنا أي علاقة بكل ذلك، أي علاقة على الإطلاق. هذا فظيع، فظيع جداً. أعرف طبعاً أنه ما كان علينا أن نهرب، لكن..."

"هل يعلم فرانك بمنصب أبيك في الوزارة؟".

"لا".

"أنه كبير مستشاري الحكومة بشأن إعلان الجمهورية هذا الصيف؟".

نظَرَت إنغيبورغ إلى فلوفنت. "كل ما يعرفه فرانك عن أبي هو أنه يكرهه وأنه لا يريد أن تكون لي أي صلة به على الإطلاق".

"هل رأيتِ الفتاة من قبل؟".

"لا، أبداً. لم أرها أبداً من قبل، وليست لديَّ أي فكرة مَن هي. هل تعرفان مَن هي؟".

"لماذا قال فرانك إن الفرار وتركها هو أكثر شيء منطقي تفعلانه؟"، سأل ثورسون متجاهلاً سؤالها.

"لأن ذلك ليس من شأننا"، قالت إنغيبورغ. "وهذا صحيح. لقد وجَدناها فحسب، ولم نفعل أي شيء لإيذائها حقاً. ولم نلمسها أبداً".

"كيف تعرفين ذلك؟".

"ماذا؟".

"أن ذلك ليس من شأنكما؟".

"لأنني لا أعرف مَن هي، ولم أرها أبداً من قبل".

"ماذا بشأن حبيبك فرانك؟".

"ماذا بشأنه؟".

"هل رآها من قبل؟".

"فرانك؟ لا".

"كيف يمكنكِ أن تكوني متأكدة من ذلك؟".

"لأنني... أعرف فحسب. لماذا تقول ذلك؟ لماذا تعتقد أنه يعرفها؟".

"لأنه فرّ من مسرح الجريمة"، قال ثورسون. "ربما هَرَب لأنه يعرفها".

حدَّقت به إنغيبورغ مذعورةً عندما أدركت إلى ماذا يلمِّح.

"لكنها غريبة تماماً له"، قالت باقتناعٍ أقل هذه المرة لأنها توقَفت الآن لتفكِّر بمسألة أنها في الواقع لا تعرف الكثير عن الرقيب فرانك كارّول من إيلينوي.

"حسناً يا إنغيبورغ، أعتقد أن هذا يكفي في الوقت الحاضر"، قال فلوڤنت.

"هل ستعتقلانني؟".

"لا"، قال فلوڤنت. "لن نعتقلك، لكننا قد نحتاج إلى التحدّث معك مرة أخرى، وربما حتى غداً. آمل أن يناسبك ذلك".

أومأت برأسها.

"ربما يجب أن تستدعي والدَيها الآن"، قال فلوڤنت وهو يستدير نحو ثورسون،

ولاحَظ أن نظرة رعب ارتسمت على ملامح الشابة فوراً.

بعد ظهر اليوم التالي، وبعدما دقَّق ثورسون في لوائح كل الجنود الأميركيين في آيسلندا، وأجرى بضع مكالمات هاتفية لتأكيد شكوكه، وتفحَّص أيضاً لوائح المواطنين الآخرين، اتصل بفلوڤنت في مكاتب فريكركيوفيغور.

"إنها تكذب علينا"، قال عندما رَفَع فلوڤنت السمّاعة.

"ما الذي يجعلك متأكداً إلى هذا الحدّ؟".

"لا يمكننا الاهتداء إلى رقيبها ذاك".

"لا يمكنك إيجاد فرانك؟".

"لا يمكننا إيجاد أي رقيب يدعى فرانك كارّول يرابِط هنا. إنه غير موجود".

"هل أنت متأكد تماماً؟".

"أجل. الشابّ غير موجود".

"إذاً ما هي احتمالات ألا يكون من إيلينوي أيضاً؟".

"أنا واثق أن هذه كذبةٌ أيضاً"، قال ثورسون.

7

جاء كونراد لزيارة مارتا في مكاتب الجنائية فوجدها تحاول إنجاز عشرة أشياء في الوقت نفسه. نادراً ما يذهب إلى هناك بعد أن تقاعدَ، ولم يعد يكترث كثيراً لما يجري هناك، ما عدا لما يسمعه في نشرة الأخبار.

"أردتُ أن أسألكِ إن كنتِ بحاجة إلى أي مساعدة في التحقيق بجريمة قتل العجوز"، قال عندما نالت مارتا استراحةً وجيزةً جداً بين المكالمات، وهما يجلسان في مكتبها، مُحاطَين بكومات من المستندات والمجلدات والصحف، وعشوائيات أخرى راكَمتها مارتا على مر السنوات، ومعظمها غير مرتبط بالعمل، وفي وسط كل تلك الزحمة سيفٌ جميلٌ كان مُلك ملازم دانمركي من مطلع القرن العشرين اشترته من متجر تحفٍ، وها قد أصبح الآن قابعاً في غِمده فوق كدسة أوراق على عتبة النافذة. لم يسألها كونراد أبداً لماذا اشترته، لكنه تذكَّر بغموض أنه سمِع ذات مرة أن جَدّها كان ضابطاً في خفر السواحل الآيسلندي.

"ماذا قلتَ؟"، قالت مارتا.

"ألا تنقصكم العمالة الكافية دائماً؟".

"اعتقَدتُ أنك تقاعدتَ".

"نعم، ويمكنك أن تطمئني إلى أنه ليست لدي أي نيّة للعودة على الإطلاق، لكنني أود أن أساعد في القضية، إذا سمحتِ لي".

"لماذا؟".

"السبب بكل بساطة هو الضجر. لن تحتاجي حتى إلى إخبار أي شخص، وسأبلِّغك بحصيلة أبحاثي، وإذا اكتشفتُ أي شيء مهم، سأُعلِمك حالاً".

"كونراد... أنا... يُفترَض أن تكون متقاعداً"، قالت مارتا. "ألا يجب أن نُبقي الأمور على ما هي عليه؟ لا يمكنك أن تبدأ بمحاولة عقد صفقات خاصة معي، فهذا غير وارد على الإطلاق. لقد أضحكتني حقاً".

"مثلما تشائين، فأنتِ الزعيمة"، قال كونراد.

"نعم، أنا الزعيمة، ولا تنسَ ذلك".

"جيد".

"حسناً، سنبقى على اتصال". أمسكت مارتا هاتفها الجوّال.

"الأمر فقط أن..."

"ماذا؟".

"لقد ترعرعتُ في ذلك الحي"، قال. "في حي الظلال. وأتذكّر أنني سمِعتُ عن الفتاة التي ذكرتها عندما كنتُ أعيش هناك، لذا..."

"هل يهمّك هذا الموضوع؟".

"أريد أن أعرف لماذا احتفظ العجوز بقصاصات عنها، ولا أظن أن قضيتها حُلَّت أبداً".

"كونراد –"

"سيكون هذا معروفاً كبيراً منك يا مارتا. كل ما أحتاج إليه هو دخول شقته، ويمكنني أن أُكمل من هناك. على أي حال، بالكاد يمكنكِ منعي من تجميع معلومات عن جريمة قتل وقعت منذ سبعين سنة. وبما أن فريق التحليل الجنائي قد أنهى عمله هناك من قبل، فإن دخولي شقته لن يهدِّد بإفساد أي دليل".

"يمكننا الاستفادة دائماً من مزيد من العَون"، أقرَّت مارتا بعد صمت طويل. "هل تنوي حقاً النظر في تلك القضية القديمة على أي حال؟".

"نعم".

"عليك إذاً أن تعدني بشيء".

"ما هو؟".

"أن تتصل بي فور اكتشافك أي شيء. أكرِّر، فور اكتشافك أي شيء".

بعد يومين، تلقَّى كونراد الضوء الأخضر لدخول شقة الرجل الميت. بما أن فريق التحليل الجنائي أجرى فحصاً شاملاً لمسرح الجريمة من قبل، لم يكن هناك داعٍ لوجود ختمٍ على الباب، لذا فتَحه كونراد بالمفتاح الذي أخذه من مكتب مارتا، وأغلقه خلفه بعناية.

لم يعرف ما الذي يبحث عنه بالضبط، عِلماً أنه أحضَر معه نُسخاً فوتوغرافيةً عن قصاصات الصحف الثلاثة التي أعطته إياها مارتا مع المفتاح، وقد قرأها في

السيارة. وفقاً لمارتا، وجدوا تلك القصاصات داخل كتابٍ على مكتب الرجل، وهي تحتوي على ثلاثة مقالات منفصلة عن الفتاة التي عُثر على جثتها عند مدخَلٍ خلف المسرح الوطني. المقالات غير مؤرَّخة، لكنها تبدو كلها مأخوذةً من صحيفة تيمن. أشار المقال الأول إلى العثور على شابة مقتولة، وأنه يُعتقَد أنها خُنقَت ثم نُقلَت إلى ذلك المكان خلف المسرح، كما ذكر عن لسان المحقق الذي يقود التحقيق، وهو رجل يدعى فلوفنت، قوله إنها جريمة شنيعة حصلت عن سابق تصوّر وتصميم وإن القاتل حاوَل إخفاءها. وأشار المقال الثاني إلى أن التحقيق يُحرز تقدّماً جيداً، فقد كشَف تشريح الجثة أن الموت حصل نتيجة الاختناق حيث ضُغط على عنق الضحية إلى أن ماتت، وأظهرت الإصابات أن القاتل خنقها بيديه العاريتين، لكن الدافع مجهولٌ، ولم يتم التعرّف على هوية الفتاة بعد، لذا تحثّ الشرطة أي شخص يمكنه أن يزوّد معلومات عن القضية، مهما تكن عديمة الأهمية، أن يتصل بها. وأشار المقال الثالث إلى أن الشرطة تبحث عن جندي أميركي يسمّي نفسه فرانك كارّول ويدّعي أنه رقيب في الجيش الأميركي، رغم أن قوات الاحتلال لا تملك أي سجل عن أي شخص بذلك الإسم، كما ذكر المقال أيضاً أن الجندي تواجدَ في جوار المسرح الوطني مع حبيبته الآيسلندية التي هي إبنة موظف حكومي كبير، وقد تعاونت تلك الشابة مع الشرطة بالكامل ولم يظهر أنها متورِّطة في الجريمة بأي شكل من الأشكال.

راح كونراد يتجوَّل في أرجاء الشقة وهو يأخذ وقته ويتساءل عن سبب تعليق الرجل الميت لقصاصاتٍ عن جريمة قتل وقعت منذ زمن بعيد، وحاوَل أن يستخدم ما رآه في الشقة ليشكِّل صورةً عن حياة العجوز المنعزلة. من السهل تحديد أن آخر وجبة طعام طبخها الرجل بنفسه هي العصيدة لأنه لم يغسل المقلاة، وقد أكَل نقانق كبد معها، فالنصف الآخر لقطعة النقانق موجود في البرّاد، والوعاء في المغسلة يحتوي على آثار وجبة الطعام تلك. وبناءً على محتويات البرّاد، فقد اعتمد الرجل إلى حد كبير على الطعام الآيسلندي التقليدي. تحتوي سلة الخبز على خبز مسطَّح ورغيف جاودار بدأ يتعفَّن، ولا يوجد الكثير في خزائن المطبخ، بل مجرد بضعة أطباق وأكواب، والراديو الموجود على الطاولة مضبوط عند الإذاعة الوطنية.

في غرفة النوم، يوجد السرير القديم الذي عُثر على الرجل ممدَّداً عليه، وهناك

مصباح ورواية بالإنكليزية عنوانها *عناقيد الغضب* على منضدة السرير الصغيرة، وخزانة ملابس احتوت على ثياب عادية لكل يوم – سراويل، قمصان – وبذلة سوداء وحيدة بالكاد بدا أنه ارتداها يوماً. كما توجد غسّالة صغيرة في الحمّام، وسلة للغسيل القذر، وفرشاة أسنان في كوب زجاجي.

بدت غرفة الجلوس أنيقة ومرتّبة. هناك رفوف كتب قديمة باللغتين الآيسلندية والأجنبية العديد منها يتكلّم عن بناء الجسور، وهناك تلفزيون في إحدى الزوايا، وصورتان مطبوعتان رخيصتان على الجدار، وأريكة قديمة وكرسيان موضوعان حول طاولة قهوة صغيرة، ومكتب تبيَّن أن عليه فواتير مختلفة بإسم الرجل الميت.

جلَس كونراد إلى المكتب، ورأى أن كل شيء عليه يوحي أن الرجل عاش حياةً بسيطةً رتيبةً في سنواته الأخيرة، مثلما قد يتوقع المرء من شخص في سنّه، لكنه شَعَر أن أكثر شيء مفاجئ هو عدم وجود أي دليل على تواصله مع العائلة أو الأصدقاء: لا رسائل، لا صور عائلية، لا حاسوب سيمكّنه من استخدام البريد الإلكتروني أو وسائل التواصل الاجتماعي. هناك هالة وحدةٍ هادئةٍ تنبعث من كل غرض في الشقة، وهذا انطباعٌ فاقمته فحسب الأشياء المفقودة.

لم يستطع كونراد أن يرى أي دلالات تساعده في الإجابة على الأسئلة التي خطرت بباله. لماذا انتهت حياة الرجل بهكذا طريقة خرقاء، ولماذا احتفظ بثلاث قصاصات صحف عن جريمة قتل منسية منذ زمن بعيد؟ لكنه وَجَد الكتاب الذي جمَّع فيه القصاصات، فقد أخبَرته مارتا أنه لا يزال موضوعاً على مكتب الرجل مثلما وجدوه بالضبط، وتبيَّن له أنه عبارة عن مختارات أدبية من الحكايات الشعبية والأساطير الآيسلندية.

كان كونراد قد شَعَر بصدمة كبيرة عندما أخبَرته مارتا عن القصاصات، فقد ترعرع في حي الظلال في ليندارغاتا، على مرمى حجر فقط من المسرح، وقد سمع في صغره حكاية الفتاة المقتولة من أبيه الذي كان مصرّاً أن الجنود الأميركيين مسؤولون عن الجريمة، حيث قال له إنه عرَف الكثير منهم، وإنهم أكثر من قادرين على معاملة فتاةٍ آيسلنديةٍ بتلك الطريقة، فيأخذون ما يريدونه منها، ثم يرمون جثتها. وبقي يعتبر أن القضية طُمسَت لأن ضابطاً أميركياً كبيراً متورّط فيها، وقد حمته السلطات العسكرية بتعيينه في الخارج. لم يكتشف كونراد أبداً على ماذا

اعتمد أبوه ليعتقد ذلك، ولم يُطلِع إبنه على سر ما حصل في جلسة تحضير الأرواح التي طلبها والدا الفتاة المقتولة إلا قُبيل وفاته، قائلاً إنه شيءٌ لا يفتخر به، لكنه شيءٌ لا يندم عليه أيضاً. لم يكن والد كونراد محضِّر أرواح بنفسه، بل الهدف الوحيد لحضوره تلك الجلسات هو خداع الناس ليدفعوا مالاً، وهو أمر فعله مرات عديدة، ومع ذلك فقد كان لديه ارتباطٌ من نوعٍ ما مع العالم الآخر من خلال أخته التي كانت تصدِّق كل شيء يُعتبر عادة معتقداً خرافياً، ولديها ثقة تامة بالتعويذات واللعنات، والأشباح والوحوش، وشعب الهولدو أو 'الأشخاص المختبئين'، مثلما يُعرَف الأقزام، وكانت مولعة بالقصص التي يستعين بها أخوها لخِدعه، ومقتنعة أن هناك سبباً وجيهاً دائماً لمطاردة أشباح الموتى للأحياء، وأنه يجب اكتشاف ذلك السبب وحلّه لكي تتمكّن الروح الراحلة من أن تنعم بالسلام. تميَّزت تلك الأخت، التي كانت وقتها لا تزال تعيش في مزرعة العائلة في الشمال، بتصديق المعتقدات الغريبة القديمة، وادّعت أنها تملك حاسّة سادسة أقوى من غيرها، وبقيت تصرّ دائماً على أن ذراع كونراد الذابلة هي نتيجة لعنة وُضعَت على العائلة.

قام كونراد بجولة أخرى في الشقة، واستعرَض رفوف الكتب، وعاد إلى المطبخ، ثم إلى غرفة النوم. فتح جارواراً في منضدة السرير الصغيرة، وعثر على نسخة قديمة مطوية الطرف لكتاب الحِكم القديمة وعليها صورة فوتوغرافية كبيرة لرجل وسيم في حوالي الثلاثين من عمره قدَّر أنها التُقطَت في الخمسينات. الصورة سوداء وبيضاء، وغير معلّمة وغير مؤطَّرة، وجهتها الخلفية مصفَرّة بفعل الزمن، لكن حالتها جيدة جداً ما عدا من بضع بُقعٍ عند أحد أطرافها، وهي تُظهر رجلاً هزيلاً وداكن الشعر وبحاجبين كثيفين وهو يحدِّق بالكاميرا مباشرة وقد ارتسمت ابتسامة خفيفة غامضة على شفتيه.

أخذ الصورة إلى غرفة الجلوس، وجلَس مرة أخرى على كرسي مكتب العجوز، وأمسك قصاصات الصحف بيده الأخرى، وراح ينقِّل نظره بين الصورة والكتاب المفتوح أمامه، وبدأت الأفكار تجول في ذهنه عن أبيه، والفتاة المقتولة، والاحتلال العسكري، وجلسات تحضير الأرواح، والأرواح المعذَّبة للموتى، وعجوز عاش لوحده وعُثر عليه ممدَّداً على سريره كما لو أنه نائم – لكنه قُتل في الواقع.

8

جَفَل كونراد من شرود ذهنه بقرع أحدهم ثلاث مرات على الباب، فنهض عن المكتب، وذهَب إلى الرواق غير أكيدٍ كيف عليه أن يتصرّف. سمِع جولةً أخرى من القرع، وبدت أكثر إصراراً هذه المرة.

"مرحباً"، سمِع صوتاً ينادي، "هل يوجد أحد في الداخل؟".

أدرَك كونراد أن عليه أن يفعل شيئاً، ففتَح الباب، ورأى امرأةً طويلةً قليلاً في منتصف عمرها وذات شعر داكن تقف على منبسط الدرج.

"رأيتُ شخصاً يدخل الشقة"، قالت. "هل يصدف أنك أحد أنسباء ستيفان؟".

"لا، أنا مع الشرطة".

"آه، فهمتُ. لم ألاحظك هنا من قبل".

"لا، كنتُ أهمّ بالرحيل"، قال كونراد دون أن يستفيض بشرح سبب حضوره.

"أنا ثوربيورغ"، قالت المرأة. "أعيش في الطابق العلوي، في الشقة التي تقع فوق شقة ستيفان مباشرة. لقد تكلَّمتُ مع الشرطة، مع سيدة تدعى مارتا".

"نعم، أعرفها".

"هل اقتربتم أكثر من معرفة ما حصل؟"، سألت ثوربيورغ بفضولٍ ليس غير طبيعي بشأن مصير جارها المروِّع، فقد ملأ خبر قتله كل وسائل الإعلام.

"لا، ليس بعد"، قال كونراد.

"مَن يفعل شيئاً كهذا - يهاجِم عجوزاً متقاعداً بهذه الطريقة؟ لم تكن لديه مدة طويلة ليعيشها على أي حال".

"هل كنتما تعرفان بعضكما جيداً؟".

"لا، لا يمكنني قول ذلك فقد كان منطوياً على نفسه. نحن هنا منذ ثماني سنوات على ما أظن، لكنني لن أقول إننا عرَفناه جيداً".

"مَن يعيش في الشقة التي مقابل شقته؟".

"بيرغيتا. إنها أرملة، وأظن أنها أكثر شخص عرَفه، فهي أقدم مَن سكن هنا".
انحنت المرأة نحو كونراد، وأضافت مُخفِضةً صوتها، "يجب أن تتكلَّم معها. برأيي كان هناك شيء بينهما، خاصة بعد وفاة زوجها منذ ثلاث سنوات".
"شيء بينهما؟".
"نعم، ولن أتفاجأ إن تبيَّن أنهما كانا أكثر من مجرد صديقين. لا أحاول أن أنشر الإشاعات، فهذا ليس من شأني".
"هل لاحظتِ إن استقبل ستيفان أي زوّار مؤخراً؟".
"لا، لقد سألتني الشرطة هذا السؤال من قبل، وقلتُ إنه لم يكن يستقبل الكثير من الزوّار، لكنني لا أراقبه على مدار الساعة أو أي شيء من هذا القبيل".

بعد بضع دقائق، قرَع كونراد على باب بيرغيتا. وَجَد أنها قصيرة وذات شعر فضي وطَبع هادئ ووجه لطيف، رغم أنها بدت مكتئبة الآن ومتردِّدة في التحدّث معه. أخبرته أنها تكلَّمت مع الشرطة من قبل، وأنه ليس لديها الكثير لتضيفه.
"آسف لإزعاجك هكذا"، قال كونراد على أمل أن تغيِّر رأيها. "سيستغرق هذا دقائق قليلة فقط".
"حسناً"، قالت أخيراً لعدم رغبتها أن تبدو غير مفيدة. "هل تودّ الدخول؟".
جلسا في غرفة جلوسها، وسألها كونراد إن كانت تعرف ستيفان منذ مدة طويلة.
"منذ قدومه إلى هنا، أي منذ حوالي خمس وعشرين سنة"، قالت. "انتقَل إلى هنا من هڤيراغردي حيث عاش لفترة طويلة، وأصبح صديق زوجي إيولفور نوعاً ما حيث كانا معتادين على تمضية اليوم على منبسط الدرج، وهذا النوع من الأمور. بعد وفاة إيولفور، عرَض عليَّ ستيفان مساعدتي في الأعمال العَرَضية هنا وهناك، وأصبح معتاداً أن يزورني دائماً لاحتساء القهوة عندما يخرج إلى متجرنا المحلي. لا يتسوَّق في أي مكان آخر أبداً".
"ألم تكن لديه أي عائلة؟".
"لا، لم يتزوَّج أبداً، وفضَّل عدم مناقشة الأمر. كانت لدينا أمور كثيرة أخرى لنتكلّم عنها".

"كان قادراً على الاعتناء بنفسه، أليس كذلك؟ رغم عمره؟".

"آه، نعم، كان نشطاً جداً وقوياً كالحصان، رغم أن سنّه تجاوز التسعين. كان معتاداً على القول إنه ليست لديه النيّة أن يُوضع في دار للمسنِّين".

"هل صدفَ أن لاحظتِ إن زاره أحدهم مؤخراً أو إن خرَج لزيارة أحدهم؟ أشعر أنه كان منعزلاً قليلاً".

"هذا صحيح. كان منطوياً على نفسه، ويتكلَّم قليلاً جداً عن الأصدقاء أو الأنسباء. ولا أتذكَّر أن أي شخص زاره مؤخراً، لكن من الممكن أنني لم ألاحظ فحسب".

"ماذا كان يفعل ليكسب لقمة عيشه؟"، سأل كونراد. "أقصد قبل أن يتقاعد".

"كان مهندساً. بَنَى جسوراً في كل أرجاء البلاد، لكنه تقاعدَ منذ سنوات. ماذا تظن الشرطة أنه حصل؟".

"من الصعب الجزم".

"قالوا في الأخبار إنه خُنق بوسادة على وجهه، وإنه كان ضعيفاً جداً ليقاوم".

"أظن أنه كان شيئاً من هذا القبيل".

"يا للوحشية"، قالت بيرغيتا بهدوء كما لو أنها تكلِّم نفسها.

"ماذا بشأن بقية الجيران؟ هل هناك أي توتّرات معهم؟".

"الجيران؟ لا. لماذا تقول هذا؟".

"مجرد فكرة".

"لا، أظن أن الشرطة استجوبت جميع سكان المبنى، واستبعدت فكرة أن يكون أحدهم قد فعل ذلك. كلهم أشخاص محترمون، ولن يفعلوا أبداً شيئاً مُرعِباً كهذا".

الجنائية استجوبت بالفعل كل سكان المبنى ذي الطوابق الثلاثة، وكل الشقق الثمانية صغيرة الحجم، ومعظم المقيمين أشخاصٌ مسنِّون صغَّروا حجم منازلهم بعد أن ترك أولادهم المنزل. كما أن الشرطة قرَعت على أبواب المنازل المجاورة، لكن كل مقيم هناك بالكاد كان يُدرك حتى بوجود ستيفان.

"هل تكلَّم يوماً معك أو مع زوجك عن المسرح الوطني؟"، سأل كونراد.

"المسرح الوطني؟ لا أعتقد أنه كان من مرتادي المسرح".

"قصدتُ في الواقع حوادث ارتبطت بالمسرح الوطني وليس المسرحيات".
"أي نوع من الحوادث؟".
"خلال الحرب، مثلاً".
"الحرب؟".
"الحرب العالمية الثانية"، قال كونراد وهو حريص على عدم إفشاء الكثير، فهو بنفسه لا يعرف الكثير.
"أي نوع من الحوادث خلال الحرب؟"، سألت بيرغيتا مُحتارةً.
"هل تعتبرين أنه كان متديّناً؟"، سأل كونراد ليغيِّر الموضوع.
"لم يناقش هذا الأمر أبداً، لذا لا يجب أن أعتقد أنه كان متديّناً جداً".
"هل كان إذاً مهتماً بالظواهر الخارقة؟".
"لا، أشكّ بذلك كثيراً. مجدداً، لم يذكر هذا الأمر أبداً. هل تقصد... ماذا تقصد بالضبط؟".
"هل كان مقتنعاً بالقدرة على تحضير الأرواح؟ هل كان يزور نفسانيين؟".
راحت بيرغيتا تحدِّق بكونراد. "ماذا *وجدتَ* في شقته؟".
"ليس الكثير"، ردَّ مبتسماً. "لاحظتُ فحسب أنه كان يقرأ كتاب حكايات شعبية آيسلندية. هل كنتِ تُدركين اهتمامه بها؟".
"لا".
"أو بالتراث الشعبي الآيسلندي بشكل عام؟".
"لم يطرح الموضوع معي أبداً، لكن..."
"نعم؟".
"تكلَّمتَ عن الحرب وسألتني إن تلقى أو قام بأي زيارة. حسناً، لقد أخبرني أنه ذهَب في جولة إلى دار للمسنّين في الحي، فقد أراد إنعاش ذاكرته بشيء حصل خلال الحرب، وعندما سألتُه عنه، قطعَ الحديث كما لو أنه لم يرغب أن يناقشه، لذا لم أضغط عليه فقد عرَفتُ أنه سيُخبِرني التفاصيل لاحقاً إن رغِب".
"إذاً لم تعرفي ما هي غاية تلك الجولة؟".
"لا".
"هل كنتما منسجمَين جيداً؟".

"نعم، جيداً جداً. كنا صديقين عزيزين".

"هل تعرفين إن كان لديه أي أصدقاء آخرين، أي معارف يمكنني التحدّث معهم؟"، سأل كونراد وهو يفكّر بالصورة في الجارور الذي بجانب السرير.

"لا، أخشى أنه لا يمكنني مساعدتك في هذا".

"من أين ستيفان أصلاً؟ من الجنوب؟"، سأل كونراد لأن مارتا لم تعطه إلا أبسط الحقائق عن الرجل الميت. "قلتِ إنه انتقَل إلى هنا من هڤيراغردي".

"لا، كان كندياً في الواقع"، قالت بيرغيتا. "فقد هاجر والداه إلى هناك، وولد في مانيتوبا، وأتى إلى هنا خلال الحرب".

"بإسمٍ آيسلنديٍ كهذا – ستيفان ثورذارسون؟".

"لا، حسناً، هذا حصل لاحقاً، فقد استخدَم إسمه الكندي في السنوات القليلة الأولى، ثم عدَّله إلى الآيسلندية".

"ما إسمه الكندي؟".

"استخدَم في البدء الإسم الذي سُمّي به في كندا"، شرَحت بيرغيتا بصبر. "ثم غيَّره عندما أخذ الجنسية هنا، وأصبح يستخدم النسخة الآيسلندية، ستيفان ثورذارسون".

"إذاً ما كان إسمه في كندا؟".

"ثورسون. ستيفان ثورسون".

9

كشَف تحقيقٌ سريعٌ أن جمعية المهندسين القانونيين تملك معلومات قليلة جداً عن ستيفان ثورذارسون، أو ستيفان ثورسون، فقد تقاعد منذ سنوات عديدة، ورغم أنه كان لا يزال يتلقى دفعات دورية من صندوق تقاعد المهندسين، إلا أن الموظفين هناك لا يعرفون شيئاً آخر عنه. وقد تفاجأت مارتا عندما علِمت أن الرجل الميت كنديٌ، فبيرغيتا لم تشارك تلك المعلومة مع رجال الشرطة عندما تكلّموا معها. وبما أنه يبدو أن ستيفان لم يتزوج أبداً وليس لديه أولاد معروفون، وبما أن لا أحد أتى ليعاين جثته في المَشرَحة أو ليستفسر عنه، أصبح من الصعب معرفة أي شيء آخر عنه، وبدأ انعدام التقدّم في التحقيقات يجعل مارتا نَزِقة.

"لا يمكن لأحدٍ أن يكون وحيداً إلى هذا الحدّ في العالم"، اشتكت إلى كونراد عبر الهاتف.

"لما لا؟"، سأل كونراد وقد ترك بيرغيتا للتو متوجّهاً إلى دار المسنّين الذي يبدو أن العجوز زاره. "افتراضياً كل عائلته في كندا، وعلى أي حال لا شك أن أقرب أنسبائه تُوفّوا منذ زمن بعيد، وقد اختار أن يبدأ حياةً جديدةً هنا، ولم يؤسِّس عائلةً خاصةً به أبداً. ومع ذلك، لا بدّ أنه كان لديه بضعة أصدقاء آخرين مثل بيرغيتا، لذا ربما قد تنجحين في تعقّب بعضهم".

"لنأمل ذلك"، قالت مارتا. "لا شكّ أنه كان هناك شخص مقرَّب إليه".

"تقصدين الذي قتله؟".

"نعم، فالمسكين فتح الباب لشخص يعرفه ودعاه إلى الدخول، وإلا لوجدنا آثار اقتحام أو عراك. ويبدو أن زائره تقصَّد التخلّص منه فلم يسرق أي شيء، لكن حتى لو –"

"لا أوافقك الرأي"، قال كونراد. "لا يمكننا أن نفترض أنه عرَف الشخص الذي قرَع على بابه. صحيح أن هذه كانت ردّة فعلي الأولى أيضاً، لكن عندما تفكّرين بالمسألة ملياً، ستجدين أننا نفتح أبوابنا لأي شخص يقرع أو يرنّ الجرس،

وستكونين شخصاً مرتاباً جداً لعدم فعلك ذلك. لذا ليس بالضرورة أن العجوز عرَف الشخص أو الأشخاص الذين فعلوا ذلك، ولا يمكنك التسرّع هكذا".

"ومع ذلك، الأرجح أنه عرَفه. سأتواصل مع شرطة مانيتوبا لأعرف إن كان بإمكانهم اكتشاف أي شيء بشأن... ستيفن ثورسون، هل هذا ما قلتَه؟".

"ستيفان وليس ستيفن".

"أي شيء آخر؟ أي شيء له علاقة بقصاصات الصحف؟".

"لا، لا شيء ما عدا..."

"ماذا؟".

"حسناً، كان موتاً هادئاً بشكل غريب، لكن..."

"ماذا؟ ماذا تحاول أن تقول؟ أفصِح عن رأيك".

"لكنه جرى بتناغم غريب مع طريقة عيشه. كان شخصاً متواضعاً إلى حد كبير، ولم يعلم أحدٌ بوجوده. عاش ببساطة، ومات ببساطة".

لا يملك مدير دار المسنّين فرصة ليلتقط أنفاسه، وبالكاد يستطيع تخصيص لحظات قليلة لكونراد. الرجل ضخمٌ وذو صوتٍ صاخبٍ، وقد تعقَّبه كونراد بفضل الضجة الصادرة من الطرف الآخر للرواق، حيث سمِع الرجل يزعق على الهاتف – لمورّدٍ، على ما يبدو – ووَجَد رجلين آخرين في مكتبه. أنهى المدير محادثته ببضع شتائم، وصاحَ بالرجلين اللذين خرجا مهرولين، ثم استدار نحو كونراد.

"وكيف يمكنني أن أخدمك؟". بدأ الهاتف على مكتبه يرنّ فرَفَع السمّاعة وقال لا ثلاث مرات عند فواصل زمنية متباعدة بشكل متساوٍ، ثم خَبَطها بقوة.

قدَّم كونراد نفسه. "إنني أستفسر عن رجلٍ أتى إلى هنا مؤخراً لزيارة أحد المقيمين على الأرجح".

"حقاً؟ مَن هو؟".

"يدعى ستيفان ثورذارسون. كان كبيراً جداً في السنّ، فوق التسعين".

"هذا السنّ لا يُعدّ كبيراً جداً هذه الأيام"، قال المدير. "يبدو كما لو أن الكبار في السنّ توقفوا عن الموت كلياً".

"على أي حال، خطَر ببالي أنه ربما طلب المساعدة منك أو من موظفيك".

"ستيفان ثورزارسون؟".

"نعم".

"أعرف الإسم. أليس هو الرجل الذي عُثر عليه مقتولاً على سريره؟ أتذكّره. لقد جاء إلى هنا قبل ذلك ببضعة أيام ليستفسر عن أحوال ڤيغا".

"ڤيغا؟".

"إنها مريضة لدينا تُمضي معظم وقتها على السرير، شاردة الذهن تماماً. كانت تعيش في حي الظلال".

حدَّق كونراد بالرجل. "هل تعرف لماذا أراد رؤيتها؟".

"لا، لكنني أتذكّر قوله إنه صديق قديم لها".

"كنتُ أعرف امرأةً تدعى ڤيغا في ذلك الحي"، قال كونراد. "لا شكّ أنها أصبحت مُسنّة جداً الآن. أتساءل إن كانت هي التي أتى لزيارتها؟".

"ليس لدينا سوى ڤيغا واحدة هنا. هل تريد رؤيتها؟ مَن قلتَ أنك مرة أخرى؟ هل أنت من الشرطة؟".

بدأ الهاتف يرنّ مرة أخرى، والتقط الرجل السمّاعة بسرعة.

"شكراً"، قال كونراد. "سأجد الطريق بنفسي".

خرج من المكتب بسرعة، وراح يتذكّر وهو يسير في الرواق كيف أن طفولته في حي الظلال طُبعَت برعبٍ لا يُوصَف من امرأة تدعى ڤيغا عاشت في ليندارغاتا، واكتشَف لدهشته بعد سنوات عديدة أنها من مواليد 1915. كان الناس يكبرون في السنّ بشكل أسرع بكثير في تلك الأيام بفعل مشقّات الحياة والأعمال المضنية، لذا ورغم أنه لطالما فكّر بها كامرأة مُسنّة، إلا أنها لا يمكن أن تكون قد تخطّت الأربعين من عمرها في ذكرياته الأولى.

عاشت لوحدها، وبقيت هدف الأولاد المحليين بسبب ثيابها وعاداتها الغريبة، وكانوا يلقّبونها ڤيغا النتِنة ويخافون منها كثيراً، ويبقون بعيدين عنها مسافةً كافيةً ما عدا عندما يتجمهرون بأعداد كافية لتعذيبها، وتتضاعف إثارتهم عندما تفقد أعصابها بين الحين والآخر، وإذا رأوها قادمةً إلى الباب بقصد مطاردتهم، يفرّون وهم يزعقون. تتحدّى مضطهِديها من وقت لآخر، وتنجح في القبض على بعضهم، فتعنّفهم جسدياً وكذلك لفظياً بسيلٍ من أفظع الشتائم التي سمِعوها في

حياتهم، وقد شكّل الرصاص المغلي التهديد المفضّل لديها، حيث كانت معتادة أن تصيح بهم أنها ستصبّه عليهم. ذات مرة عندما كان كونراد في السادسة من عمره، رأته يرمي كُرات ثلج على منزلها، فخرجت مندفعةً في ملابسها الغريبة التي كانت عبارة عن سترة صوفية، وثلاث كنزات رثّة، وعدة تنانير، وحذاء مطاطي يصل إلى الركبة تقريباً. كاد كونراد ينجح في الفرار لولا أن المغفّل الصغير انزلَق وسقط على مؤخرته، فأمسَكته وصفَعت خدّه البارد جداً بقوة لدرجة أن عينيه اغرورقتا، ثم ألقته أرضاً وقالت إنها ستسجنه في قبوها إذا لم ينقلع من أمامها.

لم يدخل كونراد قبوها أبداً، لكنه عرَف عن وجوده من الحكايات المروِّعة عن الأولاد الذين اختفوا في حي الظلال أو حي ثينغهولت المجاور، ولم يُسمَع عنهم مرة أخرى أبداً، وسرت شائعات أن عاقبتهم كانت وخيمةً في قبو ڤيغا النتِنة. لطالما عاشت لوحدها في آخر الحي، في منزل صغير مكسو بحديد مموَّج يُصدر طنيناً مُرضياً عند رميه بالحجارة، ونوافذه ذات الزجاج الفردي تتجلَّد عادة في البرد القارس، وبدا أن لديها بضعة أصدقاء، فهي تتلقى بضعة زوّار دوريين على الأقل، بالإضافة إلى الرجل في شاحنة الفحم الذي كان يأتي مرة كل أسبوعين عادة إلى أن رضخت ڤيغا رغم بغضها للتطوّر المحتوم وسمحت لسلطة تدفئة ريكيافيك بدخول منزلها لتركيب المشعاعات الحرارية الأرضية الجديدة. كانت تكسب لقمة عيشها كغاسلة للملابس، وفقاً لوالدة كونراد التي بقيت تمنعه من مضايقة ڤيغا بما أن حياتها صعبة بما يكفي دون أن يسبّب لها زُمرة أولاد أشقياء المزيد من الحزن.

دخلَ كونراد الغرفة حيث تنام ڤيغا تحت لحاف أبيض، وراح يفكّر أن لحي الظلال طريقته الغريبة غير المباشرة باستقصاده، فهناك الفتاة التي قُتلت خلال الحرب، والقصاصات التي احتفظ بها العجوز، وجلسة أبيه لتحضير الأرواح، والآن ڤيغا الممدَّدة تحت اللحاف بشكل غير مرئي ما عدا من شعرها الرمادي وجبهتها المُجعَّدة، وتساءل عن علاقة ستيفان ببُعبُع طفولته، بهذه العجوزة التي لا تُقهَر والتي لم يستطع حتى الموت التغلّب عليها بعد.

10

الطبيب بَالدُور رجل ضخم فظّ في حوالي الستين من عمره، وذو صوت جهير مدّوي، وينحدر من شبه جزيرة هورنستراندير في الشمال الغربي البعيد للبلاد. عندما دخَل فلوڤنت المَشرَحة، وَجَد بَالدُور يقف فوق جثة الشابة ويصفّ خطاً سميكاً من النَّشوق على الجهة الخلفية ليده. استنشقه أولاً في أحد مِنخَريه، ثم في الآخر، ثم أخرج منديلاً أحمر من جَيب معطفه الأبيض ومسَح أنفه.

"صباح الخير يا فلوڤنت"، قال وأعاد علبة النَّشوق إلى جَيبه. "لقد اخترتَ مهنة بغيضة لنفسك. يا لها من خسارة أن نفقد هكذا شابة".

"هل سنحت لك الفرصة أن تفحصها؟".

"قليلاً. تبدو لي حالة خَنْق يدوي". مرَّر الطبيب إصبعه على عنق الفتاة الطويل والجميل مشيراً إلى رضوض مرئية تحت البشرة، وإلى بُقع حول العنق زال اللون فيها كأنها ناتجة عن أصابع ثخينة. "إنني أعمل مفترضاً أن الفاعل رجلٌ، بناءً على هذه العلامات التي سبّبتها يدان قويتان لم تجدا أي صعوبة في سدّ قصبتها الهوائية. الأرجح أن الفتاة حاوَلت أن تقاومه دفاعاً عن نفسها، ولا شكّ أنه ضربها على وجهها – هل ترى الكدمة هنا؟ أظافرها مكسورة أيضاً. انظر". رَفَع بَالدُور إحدى يدَي الشابة ليراها فلوڤنت.

"هل هوجمَت خلف المسرح؟".

"لا، أشكّ أن تكون الجريمة قد وقعت في الهواء الطلق، وإلا لكنا عثرنا على آثار الحصى الحادة، لكن لا يمكنني رؤية أي جروح أو خدوش، لذا لا أظن حقاً أنه اعتُدي عليها في الخارج".

"هل تعتقد أن جثتها رُميت خلف المسرح بعد أن قُتلت؟".

"هذا معقول. ونعم، الأرجح أنها تُوفِّيت قبل رمي جثتها. هناك حقيقة أخرى عليك أن تعلمها، رغم تشديدي على أنني أجريتُ فحصاً تمهيدياً فقط حتى الآن، وهي أنه يبدو أن الفتاة أجرت عملية إجهاض".

"حقاً؟".

"نعم، ومؤخراً نوعاً ما، ولم تكن عملاً محترفاً أيضاً، بل فوضى دموية في الواقع".

"بمعنى؟".

"أجد صعوبة في تصديق أن مُسعِفاً مؤهَّلاً أجراها لها، رغم أنني أفترض أن ذلك ليس مستحيلاً فهناك مغفَّلون غير أكفاء في مهنتي، مثلما هو الحال في كل المهن الأخرى. هل كان للفتاة حبيبٌ؟".

"لا نزال لم نتعرَّف عليها"، قال فلوفنت. "لذا فإن ذلك ممكن".

"جندي ربما؟".

"إننا نبحث حالياً عن الرجل الذي عثر على جثتها، وهو جندي أميركي فرّ من مسرح الجريمة حالما أدرَك ما حدث، وكانت معه فتاة آيسلندية. تكلَّمنا معها، لكنها لم تستطع أن تساعدنا كثيراً، ونعتقد أنه من الممكن أن الجندي يعرف الضحية من قبل. هل تعرف أي شخص من الممكن أن تكون قد ذهَبت إليه بشأن... مأزقها؟".

"تقصد ليُجري لها عملية الإجهاض؟ لا، لا أعرف أحداً. لقد تم تغيير القانون منذ بضع سنوات وأصبح يُسمَح بإجرائها في حالات محدَّدة جداً، كأن تكون حياة الأم في خطر مثلاً، أو في حالات الاغتصاب أو سفاح القربى، لكن الحمل نتيجة علاقة جنسية مع جندي ليست مذكورة ضمن تلك الحالات".

"بالطبع، فهذا موضوع حسّاس للعديد من الناس"، قال فلوفنت.

"أظن أنه ليس صعباً جداً في الوضع الراهن العثور على مَن يُجري العملية"، قال الطبيب. "لكن كل شيء سيجري بالطبع خلف أبواب موصدة. هناك سوق سوداء لهذا الصنف من الأمور تماماً مثلما يوجد لأي شيء آخر في هذه الأزمنة الغريبة التي نعيش فيها".

البحث عن الرقيب فرانك كارّول بين الجنود الأميركيين لم يُسفر عن شيء حتى الآن، وقد أصبح ثورسون مقتنعاً أن الرجل كذَب على إنغيبورغ، فهو لن يكون في النهاية أول جندي يبحث عن بعض المتعة فيُبالغ برتبته، ويتغزَّل بفتاة، ويُغدق

عليها وعوداً بأنه سيأخذها معه إلى وطنه عندما تنتهي الحرب ويعرّفها على عالم جديد في أميركا. وفي محاولة لمعرفة المزيد عن الرجل الذي يسمّي نفسه فرانك كارّول، قام فلوفنت وثورسون بزيارة أخرى إلى إنغيبورغ، لكنهما لم يجدا أي سبب في هذه المرحلة لاعتقالها وأخذ إفادة رسمية منها.

لا تزال هوية ضحية جريمة القتل سراً فلم يبلِّغ أحدٌ الشرطة أنها مفقودة، لكن خبر وفاتها انتشر بعد عرض مقالات في صحف الصباح وعلى الراديو، وأصبح فلوفنت واثقاً أن شخصاً يعرفها سيُدرِك عاجلاً أم آجلاً أنها مفقودة وسيتواصل مع الشرطة. وقد أخبرَ ثورسون أنها خضعت لعملية إجهاض قبل وقت غير طويل على وفاتها.

عندما جاء المحققان هذه المرة ليسألا إنغيبورغ المزيد عن حبيبها الأميركي، وجداها لوحدها في المنزل مع أمها، وعلِما أن أباها عنّفها تعنيفاً شديداً بعد زيارتهما الأولى، لكنها بدت مرتاحة قليلاً الآن بما أنه ليس في المنزل. لم يسمحا لأمها حضور المقابلة، وأخرجاها بتهذيب من نفس الصالون الذي استخدَماه في المرة الماضية.

"الحقيقة يا إنغيبورغ"، قال فلوفنت، "هي أنه لا يمكننا إيجاد أي سجل عن شخص يدعى فرانك كارّول في الجيش الأميركي".

"مما يعني"، قال ثورسون، "أن أحدكما يكذب. إما أنتِ تكذبين علينا، أو هو كذَب عليك".

"إذا اكتشفنا أنك كذَبتِ علينا يا إنغيبورغ"، أكملَ فلوفنت، "سنأخذك إلى المخفر، ومن هناك إلى السجن في سكولافوردستيغور. لقد أعطيانكِ قرينة البراءة لعدم توافر الأدلة الكافية حتى الآن وراعينا شعورك كثيراً، لكن إذا تبيَّن أنك تلفّقين لنا أكاذيب فإن كل ذلك سيتغيَّر".

"لم أكذب"، احتجّت إنغيبورغ. "ولن أكذب عليكما أبداً. لم أرتكب أي خطأ. كل ما حصل هو أننا عثرنا على الجثة و..."

"وماذا يا إنغيبورغ؟"، سأل ثورسون.

"لا شكّ أنه كان يكذب عليَّ"، قالت بصوتٍ خافتٍ. "أخبَرني أنه يدعى فرانك كارّول. هذا كل ما أعرفه".

"هل كنتِ على علاقة مع جندي من قبل؟"، سأل فلوفنت.

"لا، أنا لستُ امرأة فاسقة".

"هل وعَد أن يأخذك إلى أميركا؟".

لم تُجب إنغيبورغ.

"هل قال إنه سيتزوَّجك؟".

"ناقَشنا الأمر".

"هل كان العرس سيجري قريباً أم بعد الحرب؟".

"بعد الحرب. كان مرتعباً من أن يُرسَل إلى الجبهة في أوروبا، لذا قال إن علينا أن ننتظر حتى تنتهي الحرب، وبدا لي كلامه منطقياً جداً".

"كان سيعود من أجلك، أليس كذلك؟"، سأل ثورسون.

أومأت إنغيبورغ برأسها. "لستُ حمقاء، مهما يكن رأيكما فيَّ، ولستُ عاهرة جنود. فرانك تصرَّف معي باحترام دائماً، وكان يعرف أن أبي يعارض علاقتنا، وذلك أحزنه، ويعرف أن عائلتي لن تتقبّله أبداً، وأنه سيكون علينا أن نتّكل على أنفسنا دائماً".

"وكنتِ موافقة على ذلك؟".

"ليست لديك أي فكرة عن العيش مع أبي"، قالت ببرودة.

"ماذا تعرفين أيضاً عن فرانك؟"، سأل فلوفنت. "هل لاحظتِ أي أشرطة أو شارة على زيّه؟ هل ذكرَ يوماً إلى أي فوج ينتمي؟ أو ذكرَ أياً من أصدقائه؟".

"لا، ليست لديَّ أي فكرة، ولم ألتقي أبداً أياً من أصدقائه ما عدا في فندق بورغ، ولم أنتبه كثيراً لزيّه".

"هل تتذكَّرين أياً من أسمائهم؟".

"لا".

"هل معك أي رسائل منه؟ أي صور فوتوغرافية؟".

"لا".

"هل خطَر ببالكِ"، قال ثورسون، "أنه تبيَّن لكِ منذ أن عثرتما على الفتاة الميتة أن كل شيء أخبَرك إياه عن نفسه كذبٌ؟".

هذا خطر ببالها بالتأكيد وهي مستلقية أرِقةً في ساعات الليل الداكنة والقلق

يعتريها، حيث إن فرانك لم يكن صريحاً جداً بشأن أحواله، وقد انطبعت محادثاتهما بالمحدودية بسبب حاجز اللغة. إنها تُدرك أنه يحبّ السيارات، لكنها لم تعرف شيئاً تقريباً عن عائلته، بَيدَ أنهما معاً منذ أشهر فقط، وتخيَّلت أنه إذا تحسَّنت إنكليزيتها – لأنه كان واضحاً أنه لا يبذل أي جهد ليتعلَّم الآيسلندية – سيصبحان قادرين على أن يتعرَّفا على بعضهما بشكل أفضل.

"أنا متأكدة أنه يدعى فرانك لأنهم نادوه بهذا الإسم في فندق بورغ. بقية الرجال الذين التقى بهم. أصدقاؤه".

"حسناً، هذا يكفي في الوقت الحاضر"، قال فلوفنت. "إذا تذكَّرتِ أي شيء آخر، أبلغينا رجاءً".

"هل تعرفان مَن كانت الفتاة؟"، سألت إنغيبورغ.

"لا، ليس بعد"، قال ثورسون.

"هل يمكن أن تكون قد ذهَبت إلى هناك مع جندي، مثلي أنا؟".

"هذا ممكن".

"شخص مثل فرانك أخذها إلى خلف المسرح؟".

"لا يزال يتعيَّن علينا إثبات ذلك"، قال ثورسون محاولاً تجنُّب إيذاءها. "هل هناك أي سبب معيّن لاختيارك وفرانك ذلك المكان؟".

"كانت فكرته. قال إن الجنود يذهبون إلى هناك أحياناً".

"مع فتياتهم؟".

"نعم".

لم يتمكّن الحرّاس في مركزهم المحصَّن بأكياس رمل أمام المسرح الوطني من مساعدة الشرطة بما أن أياً منهم لم يلاحظ الفتاة، وإذا كان أي شخص آخر غير المدرِّسة قد تواجد في حي الظلال تلك الليلة ويعرف شيئاً فإنه لم يتقدَّم ويُدلي بمعلوماته، لذا بدا أن أحداً لم يشهد وصول الفتاة إلى المدخَل، مهما تكن طريقة وصولها إلى هناك أو مهما يكن الشخص الذي كانت برفقته. وقد مشَّطت الشرطة المنطقة حول المسرح بحثاً عن دلالات يمكنها إلقاء ضوء على مصيرها، لكنها لم تعثر على أي دليل.

تولّى ثورسون مهمة استجواب الجنود الذين يعملون في مستودع المؤن، وبالكاد بدا له المكان من الداخل أشبه بمسرح حيث لم يتم بناء الخشبة بعد، وهناك ذخائر مكدَّسة في الصالة وصولاً إلى العوارض الخشبية. وبناءً على اقتراح فلوڤنت، جلسوا في قبو الفحم الذي كانت الغاية الأساسية منه أن يكون غرفة الغلاية، لكنه سيصبح الآن قاعة للولائم بما أنه بدأ يُستغنى عن التدفئة على الفحم لصالح الماء الساخن الطبيعي. الهرج والمرج يعمّان المبنى في الوقت الحاضر بما أن المستودع يُنقل إلى مكان جديد، فقد اتُّخذ القرار باستئناف تشييد المسرح بعد طول انتظار.

لا أحد من الجنود اللذين تكلَّما معهم قال إنه يعرف الضحية، رغم أن جنديين أقرّا أنهما على علاقة طيبة مع الفتيات الآيسلنديات.

"تبيَّن أن عدداً كبيراً من الجنود في منطقة ريكيافيك يدعى فرانك"، أخبَر ثورسون فلوڤنت أثناء مغادرتهما. "تحقّقتُ من ذلك أثناء بحثي عن رقيب يدعى كارّول. لقد كذَب عليها كثيراً، لكن هذا ليس شيئاً جديداً".

سارا مُسرعَين في هڤيرفيسغاتا في الطقس البارد، وقد حشرا يديهما عميقاً في جيوبهما. فلوڤنت يرتدي قبعةً ومعطفاً شتوياً طويلاً – الوحيد الذي يملكه – وثورسون يرتدي قبعته ومعطفه العسكري الكبير فوق زيّه. دقّ جرس دار العبادة الكبرى مرتين.

"لا، ليس شيئاً جديداً".

"طالما أنه لم يكذب بشأن إسمه الشخصي الذي مُنح إياه في دار العبادة في طفولته، يجب أن نكون قادرين على إيجاده"، قال ثورسون.

"اِجمع الرجال الذين ينطبق عليهم وصف إنغيبورغ، ولو جزئياً"، قال فلوڤنت، "وسنرى إن كان يمكنها التعرّف على رجلها. ولن يضرّنا إن كانوا من إيلينوي أيضاً".

"لا أحد منهم رقيبٌ".

"لا، لم أتوقع ذلك أبداً".

افترقا، وأكملَ ثورسون طريقه إلى مقر الشرطة العسكرية في المعسكر الموجود في لوغارنس، وتوجَّه فلوڤنت إلى مكاتب الجنائية في فريكركيوفيغور. عندما وَصَل إلى هناك، وجَد شخصين مسنَّين يجلسان على مقعدٍ في الردهة، فتجاوزهما دون

أن أي اكتراث، لكنهما نهضا وراحا ينظران إليه يدخل مكتبه، وعندها أمسكت سكرتيرةٌ ذراعه أثناء مروره أمامها.

"يريدان التحدّث معك"، قالت وهي تومئ نحو المسنَّين.

"مَن؟".

"هذان الشخصان. بشأن *إبنتهما*".

رمقته بنظرةٍ ذات مغزى وهي تلفظ الكلمة الأخيرة، ففهِم فلوڤنت فوراً، وألقى نظرة سريعة على الردهة حيث وَقَف الثنائي وعيناهما شاخصتان عليه وعلى السكرتيرة.

"لكنهما كبيران جداً في السنّ"، همَس.

"كانت متبنّاة"، رَدَّت السكرتيرة بصوتٍ منخفضٍ. "يأملان ألا تكون مَن سمِعا عنها في الأخبار، لكنهما لم يريا إبنتهما منذ يومين، ولا يعرفان مكانها".

عاد فلوڤنت أدراجه إلى الردهة وحيّا الثنائي، وصافحه الرجل وقدَّم له نفسه وزوجته. أسلوبهما متحفِّظ، لكن عينيهما قلِقتان، وقدَّر فلوڤنت أنهما في أواخر ستيناتهما. كلاهما يرتديان معطفين طويلين سميكين، وبدت المرأة لطيفة، وبدا الرجل نحيلاً بخدَّين هزيلَين، ومعتاداً على الأشغال الشاقة من ملمس يديه.

"لم نرغب أن نزعجك بشكل غير ضروري يا سيدي"، قال. "لكننا سمِعنا عن الفتاة خلف المسرح، وأنها في حوالي العشرين من عمرها، و–"

"قلتُ له أن يتكلّم مع الشرطة لكنه أراد أن ننتظر ونرى إن كانت ستظهر"، قاطعته زوجته. "هل تعرف مَن هي الفتاة التي عثرهم عليها يا سيدي؟".

"لا، ليس بعد"، قال فلوڤنت. "لم يستعلم عنها أحدٌ".مكتبة سُر مَن قرأ

"هذه ليست أول مرة تختفي فيها هكذا"، قالت المرأة.

"آه؟".

"لا، لكنها عادت وظهرت في المرة الأخيرة".

"يمكنني أخذكما إلى المَشرَحة، إذا كنتما تشعران أنكما قادران على ذلك".

تبادَل الثنائي النظرات.

"سيكون عليكما التعرّف عليها"، شرَح فلوڤنت. "إنها الطريقة الوحيدة التي يمكننا أن نتأكد بها".

"لم أذهب إلى هناك أبداً من قبل"، قالت المرأة.

"لا"، قال فلوفنت. "إنه ليس مكاناً سترغبين بزيارته".

اتصل ببَالدُور في المستشفى الوطني وطلبَ منه أن يجعل نفسه متوفراً، ثم رافَق الثنائي إلى سيارة الجنائية، وأخذهما المسافة القصيرة إلى المستشفى الذي يُعتبر أحد أكبر المباني في البلاد. استقبلهم الطبيب عند باب المَشرَحة، وكان قد أخرجَ جثة الفتاة ووضعها على طاولة تحت ملاءة بيضاء رقيقة. وَقَف الثنائي ملتصقين ببعضهما ومُمسكين يدَي بعضهما بينما رَفَع الطبيب الملاءة عن وجه الفتاة.

رأى فلوفنت إيماءة التعرّف الفوري. رأى من طريقة انطفاء الأمل في عينيهما أنها إبنتهما المفقودة.

11

أعاد بَالدُور الملاءة إلى مكانها.

"مَن يمكنه أن يفعل هذا بها؟"، قالت المرأة لاهثةً وهي تنظر إلى زوجها. "إبنتنا الصغيرة المسكينة".

"أخشى أن علينا أن نأخذ إفادتكما"، قال فلوڤنت. "سأكون ممنوناً إن عدتما معي إلى فريكركيوفيغور".

"هل من الممكن...؟"، استدارت المرأة نحو فلوڤنت. "هل يمكننا أن نبقى معها قليلاً بعد؟ لدقائق قليلة فقط؟".

"بالطبع". غمزَ فلوڤنت الطبيب ليرافقه إلى خارج الغرفة.

"أي حظ في تعقّب ذلك الأميركي؟"، سأل بَالدُور بعدما أصبحا لوحدهما.

"إنه في الوقت الحاضر مجرد شاهد فرّ من مسرح الجريمة، ولا أعتقد أننا ينبغي أن نحمِّل الأمر أكثر مما يجب. ثورسون يساعدنا. هل تعرفه؟".

"لا".

"إنه فتى طيب. آيسلندي-كندي. وقد أثبتَ أنه مفيد جداً في التواصل مع الجنود في الماضي".

"حسناً، أنتم ملتزمون بالقبض على مثير المتاعب الغريب، وأتوقع أن الأكثرية لائقون بما فيه الكفاية"، قال الطبيب.

"بالفعل. إسمع، أعتقد أنه من الأفضل لو يُخبرهما طبيبٌ الحقائق بالتفصيل - طريقة وفاتها، والإجهاض".

"يمكنني أن أفعل ذلك إن أردتَ".

"شكراً، قد يبدو أفضل قادماً منك".

أومأ بَالدُور برأسه وعاد لينضم إلى الثنائي، وانتظَر فلوڤنت في الرواق، وحاوَل دون نجاح أن يتخيَّل شعور والدَي الفتاة.

فُتح الباب بعد مدة زمنية طويلة، وظَهَر الثنائي مرة أخرى يرافقهما الطبيب،

وكانت المرأة تمسح عينيها بمنديل أخذته من حقيبتها، وزوجها يلفّ ذراعه حولها. بعد توديع الطبيب، أعاد فلوقنت الثنائي إلى فريكركيوفيغور حيث أخذهما إلى مكتبه وقدَّم لهما بعض القهوة الأصلية التي حصل عليها ثورسون من مخازن الجيش الأميركي، وأعطاهما بعض الوقت ليتعافيا من صدمتهما الأولية، فلم يرغب أن يبدو مستبِداً أو تطفّلياً في وقت حزنهما.

"هل لديكم أي فكرة مَن يمكن أن يكون قد فعل ذلك بها؟"، سألت المرأة في نهاية المطاف.

"أخشى أنه ليس لدينا أي شيء بعد، ونأمل كثيراً أن تتمكنا من مساعدتنا في انطلاق التحقيق، الآن وقد أصبحنا نعرف مَن هي".

"لا يمكنني أن أتخيّل فحسب مَن سيريد فعل هكذا أمر"، قال الرجل. "هذا... هذا غير حقيقي نوعاً ما. إنه شيء رهيب ما حصل لإبنتنا الصغيرة".

"فهمتُ أنها إبنتكما بالتبني؟".

"هذا صحيح"، قال الرجل. "أتت روزاموندا إلينا عندما كان عمرها سنة ونصف. لم نكن قد أنجبنا، ولطالما أردنا أن يكون لدينا أولاد، لكن بدا أن ذلك ليس نصيبنا".

"من أين كانت؟".

"من الشمال في مقاطعة هوناڤاتن"، قالت المرأة. "أختي تعمل في مزرعة هناك، وقد ماتت امرأة محلية تاركةً خلفها عائلة كبيرة من الأولاد الصغار، وبفضل جهود أختي، أعطانا الأب إبنته لكي نربّيها".

شرَح الرجل لفلوقنت كيف أنهما قررا في النهاية البحث عن أولاد للتبني بما أنهما لم يعودا صغيرين في السن، لذا لم يتردَّدا عندما راسلتهما أخت زوجته لتُخبرهما عن عائلة فقيرة في منطقتها تحتاج إلى مساعدة. سيُعار ثلاثة من الأولاد إلى الجيران، لكن الأب لم تعجبه فكرة ذهاب أحد أولاده إلى ثنائي لطيف في ريكيافيك. وبعد أن أخبَرته الأخت عنهما، لم يمانع لقاءهما، لذا سافر الثنائي إلى الشمال للتحدّث معه، وتبيَّن لهما أنه مُزارع صغير يعيش في ضيق شديد. وهكذا حملا الفتاة الصغيرة على ذراعيهما للمرة الأولى. طفلة سعيدة بكامل صحتها في سنتها الثانية ماتت أمها قبل أربعة أشهر خلال إنجابها طفلها الثامن والأخير.

"يمكن أن تكون الحياة ظالمة جداً"، قالت المرأة وهي ترفع عينين حمراوين إلى فلوفنت.

لذا أخذا روزاموندا الصغيرة معهما، تابَع زوجها، وعاشت سعيدة في المدينة، وتعلَّمت في مدرسة أوستورباور وتخرَّجت منها، ورغم أنها لم تكن جيدة جداً في الدراسة، إلا أنها كانت مجتهدة وبارعة بالأعمال اليدوية. تكلَّما معها بشأن دخول الكلّية، لكنها قالت إنها سئمت من الواجبات المدرسية، وعمِلت في بداية الحرب لدى خيّاطة قرب ساحة أوسترڤولور. أحبَّت روزاموندا الخياطة وفرِحت كثيراً لإيجادها وظيفة لدى خيّاطة جيدة، وبذلت كل جهدها لتتعلَّم كيفية صنع الفساتين، وسرعان ما بدأت تبتكر أزياء خاصة بها، وقد صنعت ثوباً جميلاً جداً لأمها.

"كانت تتكلّم دائماً عن افتتاح متجرها الخاص ذات يوم"، قالت المرأة بفخر كبير.

"لا إمكانية لحصول ذلك الآن"، أضاف زوجها.

"كان فستاناً جميلاً"، قالت زوجته. "جميلاً جداً ومشغولاً بإتقان. عليَّ أن أقول إنني لم أحظَ أبداً بفستان لاءمني مثله. كانت بارعة دائماً بالإبرة، لذا أجادت تلك المهنة بسهولة".

"ذكرتما أنها اختفت مرة من قبل"، علَّق فلوفنت بلطف.

"نعم"، قال الرجل. "منذ حوالي ثلاثة أشهر".

"ماذا حصل؟".

ألقى الرجل نظرة سريعة على زوجته، وبدا غير واثق من نفسه فجأة. "لم تعُد إلى المنزل طيلة يومين".

"لم تُخبرنا أبداً ما الذي حصل حقاً"، قالت زوجته.

"آه؟".

"نعم، المسكينة. أتوقع أنها كانت مع شابّ، لكنها لم ترغب أن تتكلّم عن الموضوع ولم نضغط عليها، رغم أنه، لا أدري، ربما كان من الأفضل لو أصرَّينا. فات الأوان".

"ماذا قالت؟"، سأل فلوفنت وهو يبحث في وجهيهما.

"قالت إنها احتاجت إلى بعض الوقت لنفسها. لم تأتي إلى المنزل ليومين وهذا كل ما قالته".

"هل كانت في مأزق ما؟".

"لا ندري".

"ولم تُعطكما أي شرح إضافي؟".

تبادَل الثنائي النظرات مرة أخرى ولم يُجيبا.

"هل فعلت أي شيء مماثل من قبل؟"، سأل فلوڤنت.

"لا، أبداً"، قال الزوج. "تلك المرة فقط، ولم نرغب أن نضغط عليها. إذا كان شيءٌ ما قد حصل ولم ترغب أن تُخبرنا، فهذا شأنها. واعتقَدنا أنها قد تُخبِرنا لاحقاً بعد أن تهدأ الأمور".

"وهل أخبرتكما؟".

"لا، لم تكن قد أخبرتنا حين..."

انخفت صوت الرجل، وراح فلوڤنت ينظر إليهما وهما يجلسان باكتئاب أمامه. بدا واضحاً له أنهما نادِمان جداً على عدم فعلهما المزيد عندما اختفت إبنتهما لأول مرة، لكن لا يمكنهما إعادة عقارب الساعة إلى الوراء الآن.

"أخبَرتنا أنه لا داعي للقلق"، قالت المرأة. "أنه ليس شيئاً يدعو للقلق".

"هل كانت تقابل شاباً وقتها؟".

"ليس على حد علمنا"، قالت أمها.

"وماذا بشأن صديقاتها؟ هل كنَّ يعرفن أي شيء؟".

"لم تكن لديها صديقات كُثُر"، قالت المرأة. "ولم تحظَ بحبيب أبداً، رغم أن فتاة بجمالها يمكنها أن تحظى بواحدٍ بسهولة، لكنها كانت على علاقة طيبة جداً مع فتاة أخرى تعمل لدى نفس الخيّاطة".

"هل كانت على تواصل مع عائلتها الحقيقية؟"، سأل فلوڤنت.

"لا، قليلاً جداً"، قال الرجل. "ولم تبدأ تُبدي اهتماماً بماضيها إلا مؤخراً. تبادَلت بعض الرسائل مع... أبيها، أظن أنه عليَّ أن أتصل به، وكانت تفكِّر بالقيام برحلة إلى الشمال قريباً".

"هل عرَفت منذ مدة طويلة أن لديها عائلة هناك؟".

"عرَفت ذلك منذ البداية"، قالت المرأة. "ولم يكن سراً أبداً، إذا كان هذا ما تسأل عنه. لم نُخفِ أي شيء عنها أبداً، فعلاقتنا لم تكن من ذلك الصنف. كانت إبنتنا".

"ومع ذلك لم تُخبركما أبداً لماذا لم تأتي إلى المنزل طيلة يومين؟".

بقيا صامتين.

"لا شكّ أنه كانت لديها أسبابها"، قال الرجل أخيراً.

"هل خالطت الجنود الأميركيين؟".

"الجنود؟"، قالت المرأة متفاجئةً. "لا. على الإطلاق. لا. مستحيل".

"لماذا تقولين هذا؟".

"لأنها لم ترغب أي صلة بهم لا من قريب ولا من بعيد. يمكنك أن تكون متأكداً من ذلك – لم تعرف أي أميركيين... أقصد، شخصياً. بالطبع أن بعض الجنود ربما أتوا إلى المتجر حيث تعمل، لكن هذا كل شيء، وبالتأكيد لم تكن لديها أي فرصة أخرى لتلتقي بهم. لم تذكر ذلك أبداً، ولا حتى مرة واحدة".

"متى رأيتماها للمرة الأخيرة؟".

"يوم عثوركم عليها"، قال الرجل. "ذهَبت إلى عملها ولم نرها مرة أخرى أبداً. وقد خرَجنا من البلدة لنمكث مع بعض الأصدقاء في سيلفوس".

"كانت مجرد رحلة قصيرة وافترَضنا أنها بخير"، قالت زوجته. "وسمِعنا على الراديو عن الفتاة خلف المسرح لكن لم يخطر ببالنا أبداً أنها يمكن أن تكون روزاموندا. ثم عندما عدنا إلى المنزل مساء البارحة، لم نجدها هناك، ولم تعُد تلك الليلة، لذا تكلَّمنا باكراً هذا الصباح مع المرأة مالكة متجر الخياطة لكنها لم تعرف أين روزاموندا، بل تعرف فقط أنها لم تأتي إلى العمل البارحة، لذا افترضَت أنها مريضة. ثم بدأنا نشكّ –"

"ما الذي يجعلك تظن أنها على علاقة بأميركي؟"، قال الزوج مقاطِعاً وهو ينحني إلى الأمام على كرسيه.

"لا شكّ أن الطبيب أخبَركما عما اكتشَفه خلال فحص الجثة"، قال فلوفنت.

"كيف فقدت إبنتكما حياتها، وكيف استعانت بخدمات –"

"قال إنها أجرت عملية إجهاض مؤخراً"، قاطعته المرأة.

"هذا صحيح. هل كنتما تُدركان ذلك؟".

"لا، لم تكن لدينا أي فكرة". أجابت المرأة وهي تكافح لتسيطر على صوتها. "المسكينة. التفكير بهذا يُحزنني جداً. لم تُخبرنا أبداً و... لم ألاحظ أي شيء. لا شكّ أنه كان عليَّ أن ألاحظ، لكنها... أخفته جيداً".

"هل جنديٌ أميركيٌ هو الذي فعل ذلك بها؟"، سأل زوجها.

"لا أعرف حقاً"، قال فلوفنت. "لكنه احتمال علينا التفكير فيه نظراً للحالة الراهنة في ريكيافيك".

"هل هو نفس الرجل الذي جعلها تصبح حاملاً؟".

"لا يمكننا استبعاد ذلك"، قال فلوفنت. "لكننا لسنا متأكدين. لا نعرف شيئاً عن الظروف التي أدّت إلى فقدان روزاموندا حياتها".

جلس الثنائي بصمت واضعين يديهما في حُضنيهما، وتأثَّر فلوفنت كثيراً بحالتهما، بحزنهما الصامت، بارتباكهما أمام هكذا مأساة لا يمكن استيعابها.

"كانت جميلة جداً وطيبة جداً"، قالت المرأة بصوتٍ مخنوقٍ بالدموع. "لا أفهم فحسب كيف يمكن أن يحصل لها شيء كهذا. لا يمكنني أن أفهم أبداً".

12

بينما جلَس كونراد بجانب سرير ڤيغا بانتظار أن تستيقظ، أعادته أفكاره إلى الشارع الصغير الذي ترعرع فيه: سكوغاسوند. حتى في ذكريات طفولته، الحرب انتهت منذ عدة سنوات، رغم أن البلاد كانت لا تزال تشهد الازدهار الذي جلبته، لكن السنوات التي تلت ذلك جاءت صعبةً. شكَّل حي الظلال عالماً صغيراً خاصاً به بمتاجره وشركاته الكبيرة والصغيرة، وقد اخترقه ليندارغاتا من الغرب إلى الشرق، فأحاطته ثقافة عالية من جهةٍ وتجارة تعبئة اللحوم من الجهة الأخرى. في الجهة الغربية، يُدير المسرح الوطني ظهره للشارع كما لو أنه أفخم مما يستحقه الحي، وتجاوِره المكتبة الوطنية للمتعطّشين للمعرفة، والمحكمة العليا للذين شَرَدوا عن درب الفضيلة. وفي الجهة الشرقية، تُصاب حُملان الخريف بصمت مُوحِش عند بوابات المَسلَخ. بين ذلك القطبين، تتراوَح طبيعة العقارات بين أكواخ مكسوة بحديد مموَّج وبين منازل عصرية مبنية من الأسمنت وبارتفاع طابقين أو حتى ثلاثة طوابق؛ بعضها في حالة جيدة، وبعضها الآخر مخرَّب، وحدائقها الخلفية الصغيرة تواجه الشمس جنوباً. هناك، في أحد أفقر البيوت، ترعرع كونراد.

عاش القاطنون، وهم تشكيلة من العمّال والحِرفيين وذوي الطبقة العليا، حياتهم بتناغم نسبي، فهناك مدمنو الشراب، وهناك الممتنِعون كلياً عن تناول الشراب. هناك الذين يذهَبون إلى دار العبادة أيام الأحد في حالة سيئة قليلاً ولديهم بعض وخز الضمير ويشاركون بكل صدق وإخلاص في طلب المغفرة على ذنوبهم، وهناك الذين يرتدون قبعاتهم ويتنزَّهون في أرجاء البلدة بصحبة زوجاتهم النبيلات – اللواتي يتباهينَ بمعطف جديد مثلاً – ويرفعون قبعاتهم في تحية احترام للآخرين الذين من صنفهم، وبينما تحدِّق زوجاتهم بنوافذ المتاجر ويُبدين ذهولهن بفستان جميل أو بقبعة أنيقة مستوردة من كوبنهاغن أو لندن، ينظر الرجال بالبحر شزراً لتعقّب حركة السُفن، أو يتابعون مرور سيارة جديدة رائعة في شارع أوسترستراتي مثل حلم متألق. وعند الظهر، تفوح رائحة اللحم المشوي الزكية في كل زوايا

المنزل، وينقضي بعد الظهر في كَبوَة ممتعة إلى أن يحين وقت القهوة. هكذا كانت أيام الأحد تمرّ عادة، وهناك دائماً رجلٌ يقف عند نافذته مرتدياً سترةً فقط لا غير وهو يعاني من صُداع ما بعد الثمالة، ويحاول تكليف أحد الفتيان بالذهاب إلى المتجر ليُحضر له عبوة شراب شعير باردة، وهو يصيح له أن "يحتفظ بالفكّة!".

كل شيء يبدو جلياً جداً في ذهن كونراد لدرجة أنه غالباً ما يستحضره في ذاكرته. وعلى غير العادة في ذلك الزمن، كانت أمه تعمل خارج المنزل وهي التي تُعيل العائلة، بينما أبوه نادراً ما شَغَل وظيفةً، وينخرط في شتى أنواع ضروب الاحتيال، ومعظمها غير قانوني. وعندما كبُر كونراد في السنّ، اكتشَف أن الجرائم الصغيرة ومخالفة القانون هي خبز أبيه اليومي. لم يكن لدى والديه عائلة كبيرة عليهما إعالتها، بل فقط هو وأخته إليزابيث، وتذكّر كونراد الزوّار الذين اعتادوا القدوم إلى منزلهم: أنسباء من الشمال، وصديقات أمه، وشركاء أبيه المُريبين جداً. صحيح أن أوج جلسات تحضير الأرواح الاحتيالية تمت قبل ولادته، لكنه يتذكّر حكايات أبيه عن الاجتماعات التي عُقدَت في شقتهم الصغيرة، وأنه لم يتقمَّص دور الوسيط الروحي أبداً، بل أقرّ بصراحة أنه ممثل رديء، وأن النفسانيين، وهُم ذكورٌ أحياناً وإناثٌ أحياناً أخرى، اعتادوا تسخين الأجواء بسؤالهم إن كان إسم غودرون أو سيغوردور – وهما من أكثر الأسماء شيوعاً في البلاد – يعني أي شيء للحاضرين، أو إن كان أحدهم يعرف لوحةً لجبل إسجا، أو يعرف لماذا يجب على رائحة كرات العُثّ أن تجتاح حواس الوسيط الروحي فجأة.

في ذروة جلسات تحضير الأرواح تلك، ترتفع طاولات غرفة الجلوس في الهواء وتتحرّك الكراسي من حيث لا يدري أحد، وتُسمَع لعلعةٌ، وتطفو التفاصيل الأكثر استثنائيةً من الماضي، فيتشبَّث الحضور بذلك الرابط المزعوم بالمتوفى، وتبتهج قلوبهم بأن الحياة قهرت الموت وأنهم قادرون على التخاطب مع عزيزهم الراحل، لكن الأمر بأكمله طبعاً مجرد خدعة لفَّقها والد كونراد وشركاؤه لكي يتلاعبوا بمشاعر المحزونين كرمى لنَصب بضع كرونات منهم. وعندما ذُكرَت تلك الخِدع المُخزية في الحديث بعد سنوات عديدة، لم يُظهِر والد كونراد أي دلالة على ندمه، بل قال إنه اكتشف فرصةً عندما كانت جمعية الأبحاث النفسانية الآيسلندية في ذروة شعبيتها في أواخر الثلاثينات والأربعينات نتيجة حادثين، أحدهما هو نبْش

بقايا سولفاي التي من ميكلابير، وهي امرأة من القرن الثامن عشر كانت موضوع قصة شبح مشهورة، وإعادة دفنها في سكاغافيوردور؛ والآخر هو الرحلة المذهلة لعظام الشاعر المحبوب من القرن التاسع عشر جوناس هالغريمسون من العاصمة الدانمركية كوبنهاغن إلى مسقط رأسه هرون في أوكسنادالور، قبل أن تستريح أخيراً في موقع البرلمان القديم في ثينغفيلير، وقد زُعم أن روحه تواصلت مع الأحياء في جلسات تحضير أرواح نظَّمتها الجمعية، وبدا أنه من الصواب احترام رغبتها بإعادة دفنها. ازدهَرت الوكالة النفسانية لوالد كونراد في هكذا أجواء مثيرة، وقد صدَّق بحقّ بعض الوسطاء الروحيين الذين عمِل معهم أن لديهم الموهبة لكنهم يحتاجون فقط إلى مساعدة صغيرة لكي تسير العجلة معهم، بينما كان بعضهم الآخر ممثلين بارعين فحسب يتحسَّسون ردّات فعل الساذجين ولغة جسدهم، ويُبدِعون في استخراج المعلومات منهم.

عند سماعه أنيناً خافتاً من ڤيغا، سمَح كونراد لنفسه بأن يرفع اللحاف عن وجهها، وها هي ممدَّدة أمامه هناك بخدَّيها الغائرَين، وفكّها الخالي من الأسنان، وبشرتها المُجعَّدة الجافة كالبرشمان، وخصلات شعرها الرمادي الملتصقة بجمجمتها. فتحت عينيها قليلاً.

"ڤيغا؟"، همَس كونراد. "هل يمكنكِ سماعي؟".

لم تقم بأي ردّة فعل.

"ڤيغا؟"، قال مرة أخرى بصوتٍ صاخبٍ أكثر هذه المرة.

لم تحرِّك العجوزة ساكناً، بل اكتفت بالتحديق بالفراغ.

"لا أدري إن كنتِ تتذكَّرينني. إسمي كونراد وكنتُ أعيش قربك في حي الظلال".

لم تتحرَّك أبداً، ولزِمَ الصمت فقد أخبَرته الفتاة التي تعتني بڤيغا أنها تكون بكامل قواها العقلية من وقت لآخر فقط، ولا تعتقد أن لديها وقتاً طويلاً لتعيشه، لكنها أقرَّت أنها كانت لتقول الشيء نفسه منذ عدة سنوات أيضاً، وأضافت أن العجوزة قوية بشكل مدهش.

"أردتُ معرفة إن زارك رجلٌ مؤخراً. إسمه ستيفان، ستيفان ثورذارسون".

رَمَشت ڤيغا.

"هل تتذكَّرينه ولو قليلاً؟". انتظَر كونراد أي ردّة فعل منها لكن بلا جدوى.

"ربما يسمّي نفسه ثورسون"، أضاف آملاً أن تستطيع العجوزة سماعه.

بدا أن ذلك نفعَ، فقد أدارت ڤيغا رأسها ببطء، ونظرت إليه بعينين شاحبتين.

"ثورسون"، كرَّر كونراد. "هل تعرفينه؟".

حدَّقت به العجوزة دون أن تنطق بأي كلمة.

"هل زارك هنا منذ أسبوع أو أسبوعين؟".

لم تُجِب ڤيغا، لكنها لم ترفع عينيها عن كونراد أيضاً.

"ثورسون مات"، تابَع. "قلتُ لنفسي إنك ستريدين معرفة ذلك إن كان صديقاً لك، لكنك ربما سمِعتِ الخبر من قبل. فهِمتُ أنه زارك هنا مؤخراً".

بقيت نظرات ڤيغا المحدِّقة ثابتة لا تتزعزع.

"لا أدري إن كنتِ تتذكَّرينني. ترعرعتُ في حي الظلال في منزل غير بعيد عن منزلك. إسمي كونراد".

"ك...؟"، حاوَلت ڤيغا أن تهمس، لكن صوتها خرج خافتاً لدرجة أن كونراد لم يستطع سماعه.

"ماذا قلتِ؟".

"ك... يف؟".

"كيف؟ هل تقصدين كيف مات؟ حسناً، حصل ذلك بشكل مؤسف في الواقع، فقد اختنق، والأرجح أنه قُتل".

كشَّرت ڤيغا. "قُ... تل؟"، همَست بصمتٍ تقريباً.

"لا نعرف مَن فعل ذلك"، قال كونراد. "كان يعيش لوحده، وعُثر عليه ميتاً. عِلمتُ أنه أتى إلى هنا قُبيل وفاته، لذا أردتُ أن أسألك كيف عرَفته".

"لقد... أتى..."، قالت ڤيغا وأغمضت عينيها.

"وجَدتُ بعض قصاصات صحف في شقته عن فتاة عُثر عليها ميتة خلف المسرح الوطني خلال الحرب"، تابَع كونراد. "تبيَّن أن الفتاة خُنقَت. هل تعرفين لماذا احتفظ بتلك القصاصات؟ هل زارك بشأن تلك القضية، أم لسبب مختلف كلياً؟ كيف تعرفان بعضكما على أي حال؟ كيف تعرفين ستيفان ثورذارسون؟".

أمطرها كونراد بكل هذه الأسئلة، لكن بدا أن ڤيغا لم تعد قادرة على سماعه.

"لماذا زارك يا ڤيغا؟ لماذا زارك قُبيل وفاته؟".

غفت العجوزة من جديد، وكبَح كونراد رغبته العارمة بمحاولة إيقاظها، واكتفى بالجلوس بهدوء وصبر قرب سريرها، وتذكَّر أن ڤيغا لم تكن دائماً في مزاج سيئ وتشتم الأولاد المحليين، فذات مرة عندما كان في السابعة من عمره، استجمع شجاعته ليقرع على بابها باكراً صباح يوم أحدٍ لأنه يبيع طوابع للكشّافة، وكان قد قرَع على كل الأبواب في الحي تقريباً ما عدا بابها، ولم يحقِّق إلا نجاحاً ضئيلاً – لم يبع في الواقع إلا طابعاً تعيساً واحداً فقط – لكنه ربما انطلق في مسعاه باكراً قليلاً بسبب حماسته الزائدة، وأيقظَ زبائنه المحتملين الذين لم يتردَّدوا في الإفصاح عن رأيهم بالموضوع. لم يكن ينوي أن يخاطر بالاقتراب من عرين ڤيغا، مثلما بقي يتجنَّبها دائماً كما لو أنها الطاعون، لكنه نسي جُبنه لسبب من الأسباب ولم يعِ على نفسه إلا وهو يطرق على بابها. بدا له أن وقتاً طويلاً مرّ، وكان على وشك أن يفرّ هارباً بينما لا يزال قادراً على فعل ذلك عندما فُتح الباب ووجد ڤيغا تقف أمامه وتحدِّق به من أعلى.

"ماذا تريد يا فتى؟"، سألت وهي تتفحَّص الشارع بحثاً عن مزيد من الأولاد المؤذيين الذين ينتظرون الفرصة لتعذيبها، لكنها لم تر أياً منهم.

"إنني... إنني... إنني أبيع الطوابع"، قال كونراد متلعثماً.

"الطوابع؟ ماذا تقصد؟".

"طوابع... طوابع الكشّافة".

"إذاً تريد مالاً مني؟ وغدٌ صغيرٌ مثلك؟ هل تريد الدخول؟".

تردَّد كونراد، ثم قال الحقيقة: "لا".

بقيت ڤيغا تنظر إليه بحنق للحظة، وفكَّر كونراد في سرّه أنه ربما كان عليه أن يقول "لا، شكراً"، وكان على وشك أن يصحِّح رَدّه عندما بدأت تُصدر لعلعةً سرعان ما أصبحت قهقهةً قويةً لدرجة أنها اضطرت أن تتكئ على الباب.

استدار كونراد جاهزاً لينزل الدرج بسرعة عندما همَد ضحكها.

"مهلاً، مهلاً، سأشتري منك بعض الطوابع يا فتى"، قالت ڤيغا. "انتظر لحظة حتى أُحضِر جزداني".

اشترت ثلاثة طوابع كشّافة على شرط ألا يقرع على بابها أبداً، أو يُريها وجهه هناك مرة أخرى، لأي سبب على الإطلاق.

راح كونراد يتأمل العجوزة تحت اللحاف وهو لا يزال يسمع صدى ضحكها في صباح ذلك الأحد القديم، ثم فتَحت عينيها دون سابق إنذار ونظَرَت إليه.

"ثو... رسن؟"، قالت بهمسٍ بالكاد مسموع.

"هل تتذكَّرينه؟".

"هل... هذا أنت... يا ثورسون؟".

لم يعرف كونراد ماذا يقول. هل تعتقد حقاً أنه ثورسون؟ "لستُ هو إذا..."

أغمضت ڤيغا عينيها مرة أخرى.

"هل تعرفين إذا كان يسأل عن الفتاة التي عُثر عليها خلف المسرح الوطني؟".

لا جواب.

"هل لديك أي فكرة لماذا احتفظ ثورسون بقصاصات عن القضية كل تلك السنوات؟".

لا جدوى من السؤال فقد كَبَت ڤيغا مرة أخرى. بعد جلوسه بجانبها لبعض الوقت، نهض كونراد ليرحل، ومسَّد خدّها بلطف. كانت تُرعبه ذات يوم، لكن هذا من الماضي وهناك الآن بعض السَكينة فيها. شَعَر وهو في طريقه للخروج من غرفتها أنه سمِع صوتها خلفه.

استدار كونراد. "هل قلتِ شيئاً؟".

فتَحت ڤيغا فمها لكنها بالكاد امتلكت القوة لتنطق كلماتها. "ثورسون؟ هل... هذا أنت... مرة أخرى؟".

"هل كل شيء على ما يرام يا ڤيغا؟".

"هل أتيت... بشأن تلك الفتاة؟".

"نعم"، قال كونراد وهو يفكِّر في نفسه أنه من الأفضل له أن يجاريها.

"... ليس... فقط هي..."

"ماذا قلتِ؟".

"... كانت هناك... واحدة أخرى"، قالت ڤيغا بصوتٍ أجش من تحت اللحاف. "واحدة أخرى اختفت... وشعب *الهولدو*... شعب *الهولدو*..."

"فتاة أخرى؟"، انحنى كونراد فوقها ليسمع بشكل أفضل. "مَن تقصدين؟".

"... لم يُعثَر عليها... أبداً... لم يُعثَر على عظامها أبداً..."

13

يقع مقر الشرطة العسكرية في معسكر لوغارنس، وقد احتشد هناك اثنا عشر جندياً يحرسهم أربعة رجال مسلّحين بعد أن تم استدعاؤهم إلى هناك دون أي شرح من مختلف أنحاء ريكيافيك ومن المنطقة المحيطة. تسعة منهم جنود عاديون، وواحد ملازمٌ، واثنان يعملان في قاعة الطعام، وواحد من القاعدة البحرية الأميركية في هڤالفيوردور. لم يكونوا قد انتبهوا بعد إلى أنهم كلهم يحملون الإسم فرانك عندما فُتح الباب وحيّاهم ثورسون الذي هاتَفه فلوڤنت بعد اجتماعه بوالدَي روزاموندا ليُبلغه أنه تم التعرّف على الجثة، وأن والدَي الفتاة مصرَّان على أنها لم تعرف أي جنود أميركيين، ناهيك عن مواعدة أحدهم.

أُمر الرجال أن يصطفّوا بجانب بعضهم وينظروا إلى الأمام، وطالَب اثنان أو ثلاثة منهم بمعرفة سبب معاملتهم بهذه الطريقة، لكن ثورسون طلبهم بالصبر قليلاً، وشَكَرهم على مساعدتهم الشرطة في قضية صعبة، وأكّد لهم أنهم سيتمكّنون من الرحيل قريباً. في تلك اللحظة، دخَل فلوڤنت الغرفة ترافقه إنغيبورغ التي تعرّفت على فرانك فوراً.

سارت إليه مباشرة، وابتسم لها ابتسامة فاترة مُحرَجة. بقي الرجال الآخرون يراقبون ما يجري وهم لا يزالون غير متأكدين ماذا تريد الشرطة منهم، وما هي هذه الدراما التي يشهدونها.

اقترب ثورسون من إنغيبورغ. "هل هذا هو؟".

"نعم"، قالت. "هذا فرانك كارّول، إذا كان هذا إسمه".

نظرَ الجندي إلى ثورسون وأومأ برأسه، وتمتم بالإنكليزية، *"أنا فرانك كارّول"*.

"لماذا كذَبتَ عليَّ؟"، سألته إنغيبورغ بنبرة حزينة. ربما لم يفهم كلماتها، لكن لا شكّ أنه شَعَر بالألم في صوتها. "ما إسمك الحقيقي؟ من أنت؟".

"آسف"، قال. *"أنا –"*

"هل كل ما قلتَه لي كذبٌ؟"، همَست. "عنا؟ عن كل شيء؟".

ابتعدت نظرات فرانك عن نظراتها، واستدار ثورسون إلى بقية الجنود وشكَرهم مرة أخرى على مساعدتهم، وأخبَرهم أنه يمكنهم الرحيل، فخرج الرجال من الغرفة وهم يتبادلون نظرات مرتبكة ويتمتمون همساً. استدارت إنغيبورغ نحو فلوفنت.

"هل يمكنني أن أذهب أيضاً؟".

"نعم"، قال. "لكن ألا تريدين أن نوصلك إلى المنزل؟".

"لا، شكراً، سأتدبّر أمري"، ردَّت وأسرعَت في الخروج دون أن تنظر إلى فرانك. راقَبها ترحل بتعبيرٍ من الصعب قراءته، رغم أن ثورسون لم يستطع أن يتلمَّس ولو أبسط دلالات الندم لديه.

بعدما أصبح الثلاثة لوحدهم، جلسوا وأشعَل فرانك سيجارةً وهو ينقِّل نظره بين فلوفنت وثورسون.

"هل هذا بشأن الفتاة التي عثرنا عليها؟".

"نعم"، قال ثورسون.

"ليس لي أي علاقة بالأمر".

"لماذا هربتَ إذاً؟".

"لأنها لم تكن مشكلتي، ولا أعرف شيئاً عن المسألة. لم أعرف الفتاة، ولا يمكنني مساعدتكما. أدرَكتُ ذلك فوراً، وابتعدتُ عن المكان بسرعة. هل اتصلت بكم إنغيبورغ؟ هل خارت شجاعتها؟".

"ما إسمك الحقيقي؟"، سأل ثورسون متجاهلاً أسئلته.

"فرانك رادي".

"لماذا استخدمتَ إسماً مزيَّفاً؟".

هزَّ فرانك كتفيه كما لو أن الأمر بديهي.

"لستَ رقيباً أيضاً"، تابَع ثورسون. "كذَبتَ على الفتاة بشأن هذا أيضاً لأنك اعتقدتَ أن كونك جندياً عادياً لن يثير إعجابها؟".

"يفضِّلن أن تكون ضابطاً"، قال فرانك. "لا يمكنهن تمييز الأزياء عن بعضها، فلا يفهمن معنى الأشرطة".

"وهذا يجعل الكذب عليهن مقبولاً، أليس كذلك؟"، سأل فلوفنت. كان يتكلَّم الإنكليزية بشكل جيد وبلكنة اسكتلندية خفيفة من إدنبرة.

لم يُحب فرانك.

"مكتوب هنا أنك متزوج ولديك ولدان"، قال ثورسون وهو يتصفَّح بعض الأوراق. "هل أنت مطلَّق؟".

"لا"، قال فرانك بعد أن لم يعد يرى سبباً لكي يكذب بما أنه افترَض أنهما سيتحقَّقان من أي شيء يقوله. "لم أرغب أن تعرف إنغيبورغ أنني متزوج، ولهذا السبب فررتُ مذعوراً".

"لم تريدها أن تعرف أنك زوجٌ وأبٌ لولدين في إيلينوي؟"، قال فلوڤنت.

"هذا صحيح"، قال فرانك. "فكَّرتُ أن أمري سينكشف إذا تم استدعاؤنا كشهود، ولم أرغب أن أؤذي إنغيبورغ".

"رجل نبيل حقاً"، قال ثورسون. "هل هناك نساء أخريات في الصورة؟".

"نساء أخريات؟".

"أقصد نساء آيسلنديات أخريات. هل تواعد نساء أخريات غير إنغيبورغ؟".

تردَّد فرانك. "حسناً، سأُخبِركما لكي لا تعتقدا أنني أكذب، وهذه هي الحقيقة. إنني أواعد فتاةً واحدةً أخرى. هذا كل شيء، ولا توجد أي نساء أخريات".

"هل تعرف إنغيبورغ عنها؟"، سأل فلوڤنت.

"لا. والأخرى لا تعرف عن إنغيبورغ أيضاً".

"لذا كانت لديك بضعة أسباب للفرار من المكان"، قال ثورسون باشمئزاز.

"لم أشأ أن أواجه أي متاعب".

"وهل هذا هو السبب الوحيد؟ لأنك تغازل هنا وهناك؟".

"ما الذي ترمي إليه؟".

"يبدو كلامك مزيداً من الهُراء، مثل الإسم الذي اخترَعته. من أين حصلتَ عليه على أي حال؟ مَن هو كارّول؟".

"إنه ممثل في هوليود. كانوا يعرضون فيلم *النمور الطائرة* عندما تعرَّفتُ على إنغيبورغ".

"بطولة جون واين"، قال فلوڤنت لثورسون بالآيسلندية. "لقد شاهدتُه، والممثل فيه يدعى جون كارّول، لذا فهو لا يكذب بشأن هذه الجزئية".

"صح"، قال فرانك وقد التقط الإسم وبدا خجولاً من نفسه. "جون كارّول. كنا نقف خارج صالة السينما وسألتني عن بقية إسمي بالإضافة إلى فرانك، ورأيتُ الإسم جون كارّول على مُلصق إعلاني و... خرَج مني دون قصد. لم أفكِّر حتى، بل فقط أخبَرتُها أن إسمي فرانك كارّول".

"لماذا هربتَ من المسرح يا فرانك؟"، سأل ثورسون.

"سبق و -"

"هل لأنك تعرَّفتَ على الفتاة لحظة وقوع نظرك عليها؟".

"لا. لم أرها أبداً من قبل".

"هل سمِعتَ الإسم روزاموندا من قبل؟".

"لا. مَن هي؟".

"الفتاة المقتولة".

"لم أسمع بها أبداً"، قال فرانك. "أُقسِم لكما. لم أعرف تلك الفتاة، ولم أرها أبداً من قبل. هل تكلَّمتما مع الشابّ الذي كان يقف عند الناصية؟".

"أي شابّ؟"، سأل ثورسون.

"الذي كان يقف عند الناصية خلف المسرح".

"أي ناصية؟".

"أي ناصية؟ لا أعرف أسماء الشوارع هنا. كان يقف عند الناصية يدخِّن عندما وصلنا، لكن عندما إلتفَتُّ إلى الوراء، وجدتُ أنه اختفى".

"مَن كان؟".

"لا أعرف، لكن يمكنني أن أؤكِّد لكما أنه لم يكن جندياً. كان آيسلندياً في ملابس مدنية وليس في زيّ عسكري، لكنني لم أستطع أن أرى جيداً في تلك الظلمة، بل فقط لمحتُ رجلاً يقف هناك وبدا لي أنه يدخِّن سيجارة، وعندما تحقَّقتُ لأرى إن كان لا يزال هناك، وجدتُ أنه اختفى".

"هل كان على يمينك أم يسارك وأنت تنظر بعيداً عن المسرح؟".

"أقرب ناصية على اليمين، في الجهة الأخرى للشارع"، قال فرانك وهو يربِّت على ذراعه اليمنى للتشديد.

"أي شارع هو ذاك؟"، سأل ثورسون وهو ينظر إلى فلوڤنت.

"سكوغاسوند"، قال فلوفنت. "تلك ستكون ناصية ليندارغاتا وسكوغاسوند".

"لم تذكر إنغيبورغ أي رجل".

"إذاً لا يمكن أن تكون قد لاحَظته، فقد رأيتُه لثانيةٍ فقط، وأنا لا أكذب – كان يقف هناك".

"ماذا كان يفعل ذلك الرجل؟".

"لا شيء. فقط يدخِّن عند الناصية، ثم اختفى".

أراد ثورسون أن يتوجَّه إلى سكوغاسوند فوراً، رغم مرور يومين على رؤية فرانك ذلك الرجل، لذا رَكَن وفلوفنت في ليندارغاتا، وسارا إلى الناصية المذكورة، وراحا يبحثان عن دليل عن المدخِّن. هناك إنارة باهتة تأتي من سكوغاسوند، لكن ما عدا ذلك فالمكان غارق في الظلمة، حيث إن عمود الإنارة الذي عند الناصية مكسور، وعمود الإنارة التالي بعيدٌ نوعاً ما. أخرج ثورسون المِشعل الذي أحضره معه، وأشعله وراح يسلِّط ضوءه بعناية حولهما. لم يعرفا عما يبحثان بالضبط، وكل ما وجَداه هو عقبَي سيجارتين أميركيتين مدعوستين على الأرض.

"ما صنفهما؟"، سأل فلوفنت.

"لاكي سترايك".

14

جاءت أخت كونراد لزيارته تلك الليلة. إنها عزباء، وتعمل في مكتبة، وتعيش حياة رتيبة نوعاً ما، وقد ناسبتها طبيعة عملها تلك تماماً لأن الكتب هي شغفها الكبير منذ الطفولة، وقد راكمت لديها مكتبة تُحسَد عليها بما أنها هاوية تجميع أيضاً. إليزابيث، أو بيتا مثلما ينادونها تحبُّباً، شيوعية غير مجارية للعصر، ولديها رفض لمعظم الأشياء من منطلق أنها توافه بورجوازية، ولا شيء تكرهه أكثر من الرأسمالية، وهو مصطلح تعتبره ستاراً لتغطية ذنوب عديدة.

"هل هذا توقيت سيئ؟"، سألت بلا مبالاة كالعادة، ومتظاهرةً بعدم ملاحظة ذلك.

"لا، تفضَّلي"، قال كونراد. "هل تريدين كوب شراب عنب؟"، سأل وهو يُخرج قارورة «الذراع الميتة».

"لا، شكراً. أنت تحتسي الكثير من الشراب، أليس كذلك؟".

"لا أعتقد. على أي حال، شراب العنب الأحمر مفيد".

"مفيد؟".

"نعم".

"هاه، لا تقل لي إنك تصدِّق هذا الهُراء من رأسماليي شراب العنب الأحمر"، قالت بيتا وهي تجلس في المطبخ، ولاحَظت أن أخاها بدا مشتت الذهن.

"هل من سوء؟"، سألت.

"ماذا تقصدين؟".

"هل جئتُ في وقت سيئ؟".

"لا. كنتُ في الواقع أفكِّر بأبي وبجلسات تحضير الأرواح في شقتنا".

"ما الذي جَعَلك تفكِّر بذلك؟".

"قضية أبحث فيها. هل تتذكَّرين الفتاة التي عُثر عليها مخنوقة خلف المسرح الوطني خلال الحرب؟".

"كل ما أذكره هو أن أبي عقدَ جلسة تحضير الأرواح الكارثية تلك بسببها. لماذا؟"، أضافت بارتياب. "هل كان متورّطاً في القضية؟".

"لا، ليس مباشرة"، قال كونراد. "تبيَّن أن عجوزاً يدعى ثورسون، وكان قد أتى إلى البلاد خلال الحرب، احتفظ ببعض القصاصات عن جريمة قتل الفتاة، ويبدو أنه زار ڤيغا بشأنها".

"ڤيغا العجوزة؟ هل لا تزال حيّة؟".

"بالكاد. ذهَبتُ لزيارتها، لكنها كانت غير واعية أبداً فقد بدأت تهذي عن فتاة أخرى غير تلك التي عُثر عليها خلف المسرح. هل تتذكَّرين السماع عن أي حوادث مشابهة؟".

"لا، لكن كل ذلك حصل قبل أن نُولد. هل عُثر على الفتاة الأخرى في حي الظلال أيضاً؟".

"لا أتذكَّر أي شخص ذكرَ قضيةً أخرى عندما كنتُ في الشرطة، والسؤال هو عما إذا نُشر الخبر في الصحف من الأصل أم لا".

"حسناً، لا يجب أن يكون من الصعب جداً معرفة ذلك".

"الغريب هو أن ذلك الرجل ثورسون قُتل بُعيد زيارته ڤيغا. يبدو أنه كان يستقصي معلومات عن الفتاة الميتة قرب المسرح، وربما عن فتاة ثانية أيضاً حسبما قالت ڤيغا. شعرتُ أنها ظنَّت أنني ثورسون. لقد أصبحت المسكينة مجرد ظل لما كانت عليه في السابق".

"تدعى روزاموندا، أليس كذلك؟ الفتاة التي خلف المسرح؟".

"هذا صحيح، روزاموندا. لماذا كان يسأل عنها الآن بعد سبعين سنة وقد أصبح في تسعيناته؟ لماذا ذهب لزيارة ڤيغا؟ من جهة أخرى، كيف يعرفها من الأصل، وماذا *يمكنها* أن تعرف عن القضية؟".

"حسناً، لقد عُثر على الفتاة في الحي، ومعروف أن ڤيغا تراقب كل ما يجري حولها على الأرض، وقد عاشت هناك كل حياتها تقريباً".

"نعم، لكن لا شكّ أنه كشفَ شيئاً على علاقة مباشرة بالقضية. الله أعلم ماذا يمكن أن يكون ذلك الشيء، وكيف استطاع أن يكشفه".

"ربما هو شيء بقي يؤرقه طوال حياته"، قالت بيتا. "وربما اكتشف بعض

المعلومات الجديدة بالصدفة. مَن كان؟".

"لم أستطع معرفة الكثير عنه"، قال كونراد. "لقد قالت ڤيغا شيئاً آخر عن الفتاة الأخرى عن غير قصد. ورغم أنني وجدتُ صعوبة كبيرة في سماعها، إلا أنني أظن أنها قالت إنه لم يتم العثور على عظامها أبداً، لكنني لا أعرف ما الذي قصدَته، ولم أستطع الحصول على أي شيء آخر منها".

"إذاً فإن فتاة أخرى عانت من مصير مشابه، لكن لم يُعثر على جثتها أبداً؟".

"هذا يتناسب في الواقع مع شيء قاله أبي عن جلسة تحضير الأرواح، رغم أنه كان شيئاً غامضاً كلياً".

"ما هو؟ أن هناك فتاتين؟ روزاموندا وفتاة ثانية لا تعرف شيئاً عنها؟".

"نعم، فتاة لم يُعثر عليها أبداً"، قال كونراد. "على افتراض أن هناك أي جدوى من محاولة فهم ما قالته ڤيغا. أتساءل إن كان ثورسون بقي يبحث عنها بعد كل تلك السنوات؟ أهذا السبب زار ڤيغا في دار المسنّين؟ لكن ليست لديَّ أي فكرة ماذا قالت عن *شعب الهولدو*".

"*شعب الهولدو*؟".

"ذكرَت ڤيغا تلك الفتاة الثانية وأشارت إلى الأشخاص المختبئين – الأقزام، افتراضياً – في نفس النَفَس".

"بمعنى؟".

"لا أدري أبداً، لكنني أتساءل إن كانت هي نفس الفتاة التي ذكرها الوسيط الروحي لأبي".

"ماذا تقصد؟".

"قال الوسيط الروحي إن هناك فتاةً أخرى".

"تلك كانت خدعة"، قالت بيتا بغضب. "كانا محتالين، ولا يمكنك أن تصدِّق أي شيء يُقال في جلسات تحضير الأرواح تلك. متى ستفيق؟ لا تقل لي إنك لا تزال تحاول... كان أبي حقيراً تماماً، ولا شكّ أنه استحق ما جرى له. كان شخصاً بغيضاً يغشّ الناس ويؤذيهم، وعامَل أمي بشكل سيئ جداً لدرجة أنها تخلّت عنه والحمد لله".

"وتركتني وراءها".

"لم تتركك وراءها يا كونراد، بل منعك من الذهاب معها. هو الذي قسَّمنا، وهذا هو صنف الرجال الذي كان عليه. لقد ناقشنا هذا الأمر مراراً وتكراراً. كيف برأيك كان شعور أمي عندما اضطرت أن تبتعد عنك؟ لقد استغلك فقط لكي يعيدها إليه، ولم يكترث أنه فتَّت العائلة. لم تعد أمي قادرة على العيش معه، وتلك كانت طريقة معاقبته لها. هذا هو صنف الرجال الذي كان عليه، وقد أصبحتَ كبيراً في السنّ كفاية لتتوقف عن الدفاع عنه. كان أبونا مجرد حثالة".

"أتذكَّر ما كان عليه"، قال كونراد. "ولا داعي لأن تفقدي صوابك. أعرف كيف عامَل أمي، ولا حاجة لأن تذكّريني كلما تكلَّمنا عنه، لكنه لم يكن عديم القيمة بالكامل".

"كان حقيراً تماماً. هذا كل ما في الأمر".

"كيف يمكنكِ أن تقولي إنه استحَق ما جرى له؟ أنتِ لا تعرفين شيئاً عما جرى له. تتلفظين بهذا الهُراء لكن ليست لديك أي فكرة عما تتكلّمين".

"هو الذي سبَّبه لنفسه"، نخَرت بيتا، ونهضت لترحل مثلما تفعل من وقت لآخر عندما تغضب كثيراً من كونراد. "هو الذي سبَّبه لنفسه".

telegram @soramnqraa

15

بعد لقائهما مع فرانك رادي، جلس فلوڤنت وثورسون إلى طاولة في مطعم في هافنارستراتي يدعى «الساخن والبارد» افتُتح بعد اندلاع الحرب وحقَّق شعبيةً بين الجنود، ويقدِّم السمك والبطاطا المقلية إلى جانب الأطباق الآيسلندية التقليدية مثل قِطع لحم الضأن المقلية بمسحوق الكعك، وبودينغ الراوند، و*السكاير* بالكريما الذي لاقى نجاحاً كبيراً في صفوف الجنود. وجدا عند وصولهما أن زحمة الزبائن قد انتهت، وأن المالك، وهو رجل قصير وذو شعر مجعَّد ويرتدي حذاءً ذا كعب متعدد الطبقات بشكل ملحوظ، مشغولٌ بتنظيف الطاولات. راحا يتناقشان بأمر فرانك رادي وهما يلتهمان طبق سمك القد المملَّح مع البطاطا المسلوقة وشحم اللحم المطهي.

سيبقى رادي في الحجز لدى الشرطة العسكرية إلى أن يتأكّدا من إفادته ويتحقّقا مما إذا كانت لديه صحيفة سوابق في الولايات المتحدة أم لا. كان قد أعطاهما إسم الفتاة الآيسلندية الأخرى التي يواعدها، وينوي فلوڤنت أن يتكلَّم معها في وقت لاحق من ذلك المساء، وقد شَعَر الرجلان غريزياً أنه يكذب عليهما بشأن الرجل الذي زعمَ أنه رآه عند ناصية سكوغاسوند ولينداغاتا، وأنه يضلِّلهما عن عمد ليصرف الأنظار عن نفسه، وبدا لهما أن هذه نيّته من البداية: كان مضلِّلاً ومراوِغاً في أقواله معهما على غرار سلوكه مع النساء الآيسلنديات.

"لحسن الحظ أنهم ليسوا كلهم مثله"، قال ثورسون.

"لا، والفتيات يستحقن أفضل من أغبياء مثله".

"جون كارّول؟"، قال ثورسون متأملاً. "ألم يمثّل دور زورو؟".

"نعم، كان زورو"، ردَّ فلوڤنت ونفخَ على شحم لحمه المطهي الساخن. إنه من عشّاق السينما، ومن كبار المعجبين بالنجمين كلارك غابيل وهمفري بوغارت.

"ربما فرانك يعتبر نفسه زورو من نوع ما"، قال ثورسون. "مُغامِر زير نساء".

"نعم، يا له من بطل".

"هل تعتقد أن له علاقة بجريمة قتل الفتاة؟".

"لا يمكنني أن أتخيَّل ذلك"، قال فلوڤنت. "إنه مغفَّل فاشل لكن لا أظن أنه يعرفها. لماذا سيأخذ حبيبته إلى مسرح الجريمة؟ يبدو لي هذا بعيد الاحتمال قليلاً".

"بقيت روزاموندا بعيدةً عن الجنود وفقاً لوالدَيها"، قال ثورسون.

"لا يجب أن نعطي أهمية كبرى لما يقولانه، ففي النهاية، استطاعت إنغيبورغ أن تُبقي علاقتها بفرانك سراً عن والدَيها. هذه مشكلة شائعة في العائلات التي تمنع مخالطة الجنود، فتختار العديد من الفتيات التزام الصمت بشأن الرجال الذين يواعدنَ".

"على فكرة، شحم اللحم المطهي هذا لذيذ جداً".

"ألا تعدّونه في كندا؟".

"لا، أليس طبقاً آيسلندياً خالصاً؟".

"على الأرجح. كيف تجد الحياة في الجيش؟".

"جيدة، رغم أنني أعدّ الأيام إلى أن تنتهي الحرب وأعود إلى وطني".

"هل يوجد أي شخص ينتظرك هناك؟"، سأل فلوڤنت رغم أنه لم يتطرق أبداً من قبل إلى المسائل الشخصية في أحاديثه مع ثورسون، وأملَ ألا يكون قد تجاوز حدود اللياقة.

"لا". ابتسم ثورسون. "لا أحد".

بما أنه لم يبدُ أنه استاء من السؤال، قرَّر فلوڤنت أن يواصل استقصاءه، فهو لا يعرف الكثير عن ثورسون سوى أنه رجل طيب، داهية، مجتهد، خَدوم، ولا يتصرَّف بغطرسة أيضاً. "وماذا بشأن هنا؟"، غامَرَ فلوڤنت بسؤاله.

"لا، لا أحد هنا أيضاً".

"بالطبع فأنت في العشرينات من عمرك فقط، صح؟ لديك الكثير من الوقت لتفكِّر بذلك لاحقاً".

"في الرابعة والعشرين. أظن ذلك. وماذا عنك؟".

"لستُ متزوجاً"، قال فلوڤنت. "لم يتسنَّ لي أبداً الوقت لـ... لذلك النوع من الأمور".

"لكن يجب أن يكون هناك شخص –"

"ليس في الوقت الحاضر"، قال فلوفنت وغيَّر الموضوع. "إذاً فأنت تخطِّط لتعود إلى وطنك بعدما تنتهي الحرب؟".

"سأعود إلى مانيتوبا، نعم، وأنال شهادة في الهندسة، وأفعل شيئاً مفيداً".

"الهندسة؟".

"أريد بناء جسورٍ. كنتُ أدرس الهندسة البنيوية ولا أتدخَّل بما لا شأن لي فيه عندما اندلعت الحرب ووجدتُ نفسي هنا".

"ماذا بشأن الشرطة؟ ألا تشعر أنك تفعل أي شيء مفيد كشرطي؟".

"لم أقصده بهذا المعنى"، قال ثورسون ورفع نظره عن طعامه. "المهنة مثيرة للاهتمام طبعاً، بالجرائم والتحقيقات وكل شيء، لكن لا يمكنني حقاً أن أتخيَّل نفسي شرطياً. سيسرّني أن أتحرَّر من عمل الشرطة عندما تنتهي الحرب".

"هل زرتَ أياً من أنسبائك الآيسلنديين منذ أن أتيتَ إلى هنا؟".

"لا، لم يبقَ منهم أحدٌ. على أي حال، ماذا عنك؟ ما الذي جَعَلك تصبح محققاً؟".

"كان لديهم نقص في الرجال – وفي البراعة – عندما أنشأوا القسم قبل عشر سنوات"، قال فلوفنت. "وبما أنني كنتُ في عِداد الشرطة قبل عدة سنوات، أرسَلوني إلى أسكتلندا والدانمرك لأتعلَّم عن التحقيق الجنائي، وقد أردتُ أن أسافر إلى الخارج، لذا فالعرض لاءمني جيداً، وقد تعلَّمتُ أموراً كثيرةً. نحن نؤسِّس القسم من الصفر حقاً وكل شيء جديد بالنسبة لنا، إن من حيث رفع بصمات الأصابع، أو بناء قاعدة بيانات لصور المدانين، لكن تم تعليق أغلب العمليات منذ بداية الحرب، وأنا الوحيد في الواقع الذي يعمل على تلك الجبهة حالياً".

أصبح يكرِّس كل لحظة فراغ لديه ليجمِّع أرشيف بصمات الأصابع، رغم أن وقته ضئيل جداً عملياً. بدأ العمل على الأرشيف عام 1935 عندما بدأت الشرطة تأخذ بصمات أصابع المجرمين وتفهرسها. وفي نفس الوقت تقريباً، ظهرت تقنية التقاط صور فوتوغرافية ثلاثية الأبعاد للمجرمين في مقر الشرطة في بوستوستراتي باستخدام كاميرا تجسيمية كبيرة، لكن البيانات كانت لا تزال في مراحلها الأولى، على غرار القسم نفسه الذي تأسَّس قبل عقدٍ في ريكيافيك مستعيناً بحفنة من المحققين بملابس مدنية، ومن بينهما واحدٌ ليهتمّ بالأمور التقنية. كانوا يحملون

شارات خاصة هي عبارة عن درع فضي دائري يُظهِر نجمة الشرطة والعبارة *قسم التحقيق الجنائي* بدلاً من شعار الشرطة الاعتيادي 'ستُبنى الأرض بالقوانين'، ويأتي الدرع مربوطاً بسلسلة فضية، ويجب على كل شرطي أن يحمله في جَيب سرواله على الدوام، عِلماً أن فلوفنت لم يجد أي سبب أبداً ليُشهِر درعه.

"إذاً ما الذي... ما الذي يُعجبك بالأمر؟"، سأل ثورسون.

"يُعجبني؟ لا أعرف إن كانت هذه هي الكلمة الصحيحة. عليك أن تكون مهتماً، وأن تكون واثقاً بقدرتك على حل القضايا".

"هل الأمر صعب جداً في مجتمع بسيط مثل المجتمع الآيسلندي؟".

"المجتمع يزداد تعقيداً كل يوم"، قال فلوفنت مبتسماً. "عندما يُقلَع مجتمع زراعي فقير من جذوره، ويُجرّ إلى دوّامة أحداث العالم، مَن يمكنه أن يقول أين سينتهي به المطاف؟ الأرجح أن النهاية لن تكون جيدة".

انتهيا من تناول الطعام.

"إذاً، ماذا تفعل في وقت فراغك؟"، سأل فلوفنت. "أي هوايات معيّنة؟".

"لا"، قال ثورسون. "أذهب للتنزّه مشياً في الجبال بين الحين والآخر، فأنا أحبّ أن أكون لوحدي في الطبيعة. لقد تسلّقتُ جبل إسجا بضع مرات، وجبل كايلير أيضاً. إنه... هذا بلد جميل، ومن السهل أن يجد المرء السلام والهدوء في البريّة، ويملأ رئتيه بهواء منعش، ويستلقي على العشب ويتأمل السماء الصافية".

ابتسم فلوفنت مرة أخرى، فقد استلطف هذا الكندي اليافع منذ لقائهما الأول. "إذا كان فرانك رادي قد أخبرنا الحقيقة"، قال عائداً إلى قضيتهما، "وكان هناك حقاً رجلٌ يقف عند الناصية، هل تعتقد أنه رأى مَن الذي أحضرَ الفتاة إلى هناك؟ أو ربما هو القاتل حتى؟".

"ربما".

"هل يمكننا أن نتعقّبه؟".

"يمكننا أن نحاول".

"ألا يجب أن يكون قد تقدّم ليُدلي بإفادته؟".

"ربما لم يشهد أي شيء في الواقع".

"أو ربما ليس موجوداً من الأصل"، قال فلوفنت. "فرانك رادي كذّاب غير

قابل للإصلاح".

"هذا مؤكَّد، ولا أعتقد أن علينا أن نستبعد احتمال تورّط بعض الجنود".

"خطَرت ببالي فكرة، لكن لا أعرف إن كان لها أي تأثير على أيٍ من هذا"، قال فلوفنت بعد صمت.

"ما هي؟".

"مسألة اختفاء روزاموندا قبل ثلاثة أشهر. هل يُعقَل أن ذلك مرتبط بعملية إجهاضها الحديثة؟"، قال فلوفنت. "كان عليَّ أن أسأل والدَيها".

"هل تعتقد أنها أمضت ذلك الوقت مع الرجل الذي جعلها حُبلى؟".

"خطَر هذا ببالي، وبدا لي أنه من الطبيعي ربط الحدثين ببعضهما".

"هل تقصد أنها مكثت لدى شابّ ولم ترغب أن تُخبر أحداً؟".

"نعم، هذا معقول".

"لماذا؟ هل لأنها خشيت عدم موافقة والدَيها؟ ظننتُ أن الآيسلنديين متساهلون جداً بشأن هذا النوع من الأمور".

"حسناً، ليس الجميع. في الواقع، كنتُ أفكِّر أنها ربما ذهبت إلى لقاء غرامي انقلبَ بغيضاً"، قال فلوفنت. "ربما مع جندي، أو شخص آيسلندي".

"لماذا لم ترغب أن تلِد الطفل؟ إذا كان الأب آيسلندياً؟".

"لعدة أسباب. لقد كانت عزباء، وأرادت أن تتعلَّم الخياطة ويصبح لديها متجرها الخاص".

"بمعنى آخر، امرأة عصرية؟".

"نعم، امرأة عصرية".

بعد خروجهما من المطعم، زارا والدَي روزاموندا اللذين وافَقا على السماح لهما برؤية غرفة نومها. استفسَر الثنائي عن تقدّم التحقيق، وقدَّما لهما قهوة وكعكات دونات، لكن الرجلين توسَّلاهما ألا يُتعبا نفسيهما، وسألاهما إن ذكرت روزاموندا المسرح الوطني ذات يوم أو أبدت أي اهتمام به، وقال والداها إنهما لا يستطيعان أن يتذكَّراها تفعل ذلك.

"كنا سنحاول أن نشتري لها آلة خياطة"، أخبَرتهما المرأة وهم يقفون في غرفة روزاموندا مُحاطون بأشغال تطريز، ومجلات أزياء أجنبية، ورسوم تنانير وبلوزات

وفساتين لن تُنفَّذ أبداً الآن.

"آلة خياطة مستعملة"، أضاف زوجها. "فهي مُكلِفة".

"لطالما كرَّرت أن آلة الخياطة الجيدة سترَدّ لها ثمنها بسرعة"، قالت زوجته. "عذراً على الفوضى لكن الغرفة مثلما تركتها تماماً، فهي لم تكن أبداً من أنصار الترتيب، إبنتي حبيبتي المسكينة ليبارِكها الله"، أضافت بصوتٍ مختنِقٍ.

"يحتفظ الكثير من الفتيات بدفتر يوميات"، قال فلوڤنت. "هل تعرفان إن كانت تفعل ذلك؟".

"لا، ليست لدينا أي فكرة"، قال الرجل وهو يربِّت على كتف زوجته.

"هل تمانعان إن بحثنا عن واحدٍ؟".

"تفضلا رجاءً"، قالت المرأة. "انظرا، يمكنكما رؤية أنها كانت تجهِّز فستاناً مخملياً لنفسها على طراز فساتين لانا تيرنر، فقد رأت ثوباً كهذا في أحد أفلام لانا تيرنر".

بدت الغرفة أشبه بورشة خياطة صغيرة، فهناك طاولة مطبخ صغيرة استخدَمتها روزاموندا لتَخيط بالإبرة، وسرير عند أحد الجدران، وخزانة ملابس عند جدار آخر، وصندوق مفتوح في الزاوية يحتوي على أقمشة وأشرطة وكشاكش وعلبة أزرار. بينما جالا بنظرهما، رأيا غرفة فتاةٍ عرَفت ماذا تريد من الحياة وانغمرت بعملها بسعادة.

تنحنح فلوڤنت. "عندما عادت روزاموندا إلى المنزل قبل ثلاثة أشهر، هل عاد كل شيء إلى طبيعته؟ هل كانت بخير؟ هل بدت على سجيتها؟".

"لم ألاحظ أي فرق"، قالت المرأة. "كانت تعمل بجهد كبير، ونادراً ما تتواجد في المنزل، فترحل في الصباح الباكر، وتعود إلى المنزل في وقت متأخر من الليل لتحظى ببضع ساعات نوم فقط حقاً".

تفحَّص فلوڤنت الغرفة مرة أخرى. لم يجدا أي نوع من دفاتر اليوميات يفصِّل حياة روزاموندا اليومية وأحلامها وأمنياتها ورغباتها، ولا شيء يمكنه أن يفسِّر مصيرها المأساوي.

في وقت لاحق من ذلك المساء، عقدَ فلوڤنت اجتماعاً قصيراً مع حبيبة فرانك

رادي الأخرى التي ذُهلَت بعض الشيء عند سماع أن لفرانك زوجة في بوسطن، لكنها لم تتفاجأ بنفس المقدار عندما عِلمت أنها لم تكن الفتاة الوحيدة التي يواعدها في ريكيافيك.

"إنه من إيلينوي"، قال فلوفنت.

"نعم، بوسطن"، قالت الفتاة.

"بوسطن ليست في إيلينوي".

"آه؟ ما هذه 'إيلي' إذاً؟ لم أسمع بها أبداً".

"إيلينوي ولايةٌ، أما بوسطن فمدينة كبيرة في ولاية مختلفة كلياً".

تبادل والداها النظرات.

الفتاة في التاسعة عشرة، وقد استقبلته مع والدَيها وأخيها الصغير في شقتهم القبو في سكريافيوردور، في العنوان الذي أعطاهما إياه فرانك، فقد رافقها ذات مرة إلى باب منزلها، وراح والداها يراقبان بشكل مستتر من النافذة بينما قبَّلها مودِّعاً لها، وعندما لوَّح لهما، لوَّحا له بدورهما. إنهما من الشرق، من الريف.

لم تستطع الفتاة أن تُخبر فلوفنت أي شيء لم يعرفه من قبل، عِلماً أنها لم تعرف شيئاً تقريباً عن فرانك ما عدا أنه رجل نبيل حقاً، ويحمل معه دائماً الكثير من السجائر والعلكة، ويدعوها دائماً إلى حفلات رقص، ورغم أنها لا تتكلَّم الإنكليزية كثيراً، إلا أنها متيقنة تقريباً أنه كلَّمها ذات مرة بشكل جدي عن الزواج بها وأخذها معه إلى الولايات المتحدة.

16

ذهَب فلوڤنت وثورسون في اليوم التالي لزيارة الخيّاطة التي كانت روزاموندا تتعلّم منها صنعتها، وأخبرتهما المالكة أنها بقيت تتوقع زيارةً من الشرطة بشأن ما سمّته "ذلك الحدث المأساوي لروزاموندا". إنها أربعينية، ونحيلة، وبدت مضطربة قليلاً وكلماتها تخرج منها في تمتمةٍ متوترةٍ، فهي لم تتمكّن من أن تفهم فحسب ماذا حصل لروزاموندا الفتاة الطيبة، والبارعة بيديها أيضاً.

"خيّاطة موهوبة حقاً"، أضافت. "مهنة الخياطة فطرية بالنسبة لها، فيمكنها إصلاح الأزياء بحيث لا يمكن رؤية مكان الإصلاح. لا يمكن رؤيته أبداً. كما أنها صنعت بعض الفساتين الخلاّبة تماماً".

"هل تعرفين أي شخص ربما أراد أن يؤذيها يا سيدتي؟"، سأل فلوڤنت وهو يلقي نظرة سريعة حوله. "هل تورّطَت في أي مشادّات أنتِ على عِلم بها؟".

ليس خبيراً بملابس النساء: الفساتين والتنانير والقبعات والملابس الداخلية التي تُرسَل إلى المتجر لإصلاحها، وقد رحلت بقية الموظفات لهذا اليوم. هناك أربع آلات خياطة كهربائية مصطفة على صف طاولات، مُحاطة بأقمشة موصولة ببعضها بإبرٍ ودبابيس، وهناك غرفة صغيرة متفرِّعة من طابق العمل الرئيسي تحتوي على آلتَي خياطة قديمتين تعملان بالدوّاسة، والمكان بأكمله مليء بأقمشة وأشرطة ومعدّات الخياطة الأخرى، إلى جانب مجلات موضة ونماذج فساتين.

"لا، ليس مع أحدٍ هنا"، قالت المرأة.

"وماذا عن الزبائن؟".

"كانت فتاة لطيفة جداً، ولا يمكنني أن أتخيّل أي شخص لديه مأخذ عليها".

"أفترض أن معظم زبائنك من النساء؟"، قال فلوڤنت.

"هذا صحيح".

"هل يأتيكم أي جنود؟"، سأل ثورسون.

"إلى متجري؟ لا، لا، لا يمكنني قول ذلك".

"إذاً فليس لديهم أي سبب للدخول إلى هنا؟".

"حسناً، لقد رأيتُ واحداً أو اثنين أتيا مع فتاتين آيسلنديتين، لكن الجنود لا يستعينون بخدماتنا، إذا كان هذا ما تقصده. كل ما في الأمر هو أنهم يميلون إلى مرافقة حبيباتهم".

"هل لديكِ أي زبونات منتظمات في البلدة؟".

"يا لهول هذا السؤال. نعم، العشرات، وحتى إن بعضهن يأتين إلى هنا منذ سنوات، فنحن نقدِّم لهن خدمةً من الدرجة الأولى، وأنا أُولي النوعية أهمية كبرى دائماً، ويمكنني أن أؤكِّد لك أن شركتي هي الأفضل من نوعها هنا في ريكيافيك".

"هل يصدف أن تعرفي إن كانت روزاموندا تواعد جندياً؟"، سأل ثورسون.

"لا، لستُ على عِلم بذلك".

"وماذا بشأن مُغازِلين آخرين؟".

"آه، لا، لا أعتقد. على الأقل، لم تذكر لي ذلك أبداً، لكنني لم أعرف الكثير عن حياتها الخاصة. لقد بدأت تعمل لديَّ منذ عدة سنوات، ولا بدّ لي أن أقول إنها موظفة جيدة جداً. هناك عدة خيّاطات خبيرات يعملنَ لديَّ، وفتاة أخرى تتدرَّب، لكنهن لا يُقارَنَّ بروزاموندا. إنها – كانت – موهوبة أكثر منهن بكثير".

دوَّن فلوڤنت إسم الفتاة الأخرى، وسمحت لهما المالكة بإلقاء نظرة على الغرفة الخلفية. على ما يبدو أن روزاموندا فاتحت المرأة بفكرة أن تعمل لديها دون أي معرفة سابقة بينهما، وبما أن فتاةً أخرى كانت قد تركت العمل مؤخراً، قرَّرت المرأة أن توظِّف روزاموندا لفترة تجريبية، وتبيَّن لها أنه قرار موفَّق. في يومها الأخير في العمل، كانت تضع اللمسات الأخيرة على فستان سهرة لزبونة منتظمة هي زوجة مدير مصرف كانت معتادة أن تتسوّق في «متجر الشمال» في زياراتها إلى كوبنهاغن قبل أن تندلع هذه الحرب الشنيعة، وقد صرَّحت زوجة مدير المصرف أن هذا المتجر لا يقلّ شأناً على الإطلاق عن مركز التسوّق الشهير.

حقاً؟ فكَّر فلوڤنت في سرّه وهو يدوِّن إسم زوجة مدير المصرف.

"نعم، أحاول أن... حسناً، يمكنك القول إن زبوناتي نساءٌ بصيراتٌ جداً. وأحاول إبقاء الأمور على هذا المنوال".

أومأ فلوڤنت برأسه.

"طبعاً نضطر هذه الأيام، حيث هناك نقص كبير في كل شيء"، تنهَّدت المرأة، "أن نستفيد مما لدينا إلى أقصى حد ممكن، وحتى نصنع ملابس جديدة من الملابس القديمة، وكل شيء رمادي أو أسود. لم أر قطعة حرير منذ مدة طويلة".

جالا بنظرهما في الغرفة ولم يريا أي دلالة على أن روزاموندا أحضَرت أي ممتلكات شخصية إلى العمل. كانت معتادة أن تجلس إلى إحدى آلات الخياطة التي تعمل بالدوّاسة، ورأيا فستان السهرة الأسود ذا التصميم البسيط لزوجة مدير المصرف معلَّقاً على شمّاعة بجانبها.

"هل تعرفين إلى أين ذهبت بعد عملها في يومها الأخير هنا؟"، سأل فلوڤنت.

"أفترض أنها ذهَبت إلى المنزل، فهي لم تذكر أي خطط أخرى".

"هل هذا ما كانت تفعله عادةً؟".

"نعم، أو هكذا أظن، رغم أنني لا أشجِّع هذا النوع من الألفة من موظفاتي – أقصد أن يتحدَّثن عن أمورهن الشخصية – بل أفضِّل إبقاء الأمور رسميةً، فبرأيي من المهم المحافظة على الاحترافية، خاصة هذه الأيام".

"إذاً فأنتِ لا تعرفين الكثير عن حياتها الخاصة؟".

"قليلاً جداً".

"هل سمِعتها تذكر المسرح الوطني يوماً؟"، سأل ثورسون.

"المسرح الوطني؟ لا. لماذا تسأل؟ هل تقصد لأنه عُثر عليها هناك؟".

"لم تسمعيها تتكلَّم عنه أبداً؟".

"لا، أبداً".

"هل تتذكَّرين عدم حضورها إلى عملها ليومين منذ ثلاثة أشهر؟"، سأل فلوڤنت.

"لا"، قالت المرأة. "لا، أخشى أنني لا أتذكَّر ذلك".

رافقَ ثورسون فلوڤنت عندما ذهَب أيضاً تلك الليلة لرؤية الفتاة الأخرى التي تتدرَّب لتصبح خيّاطة، وهي بنفس عمر روزاموندا، وتعرفها بشكل أفضل بكثير من مالكة المتجر، وبدت نحيلة وجميلة، وشعرها الحالك السواد يصل إلى كتفها، ويكاد حاجباها الداكنان الكثيفان يتلامسان فوق عينيها البنّيتين الداكنتين،

وبشرتها بيضاء شاحبة، وذلك فاقمَ فحسب بريق شعرها الداكن. إنها تستأجر غرفة صغيرة في قبو بالقرب من وسط البلدة، ووجداها مشغولة في إصلاح نسلٍ في جورب حريري عندما قرَعا على بابها. أخبَرتهما أنها وروزاموندا كاتمَيّ أسرار بعضهما، وقد تلقّت صدمة حياتها عندما سمِعت أن صديقتها ماتت، وبظروف رهيبة أيضاً. وأضافت أنها كانت على وشك أن تذهب إلى الشرطة بنفسها لتُدلي ببعض المعلومات عن روزاموندا.

"هذا مريع جداً"، قالت. "لا يمكنني التوقف عن التفكير بها وبما... بما مرَّت به بلا شكّ. لا يمكنني التوقف عن التساؤل عن طريقة موتها بالضبط. هل تعرفان ماذا حصل؟ كيف يمكن أن يحصل شيء مثل هذا؟".

"هذا ما نحاول معرفته"، قال فلوڤنت بنبرةٍ مطمئنةٍ.

"هل تكلّمتما مع العجوزة الشمطاء في المتجر؟"، سألت الفتاة.

قال فلوڤنت إنهما زارا المالكة.

"صدقاً، الطريقة التي استعبدت بها روزاموندا المسكينة، وحتى منتصف الليل أحياناً، دون أن تدفع لها أي كرونة إضافية".

"حقاً؟"، قال فلوڤنت. "فهِمنا أن روزاموندا كانت بارعة جداً في عملها".

"صحيح، وقد عرَفت البقرة الحقيرة ذلك. لم تكن روزاموندا تنوي البقاء لديها لفترة طويلة، بل أرادت أن تفتتح متجرها الخاص للإصلاح والخياطة، وأنا متأكدة أن العجوزة الشمطاء اشتبهت بذلك، كما أنني متأكدة أنها قلِقت منه".

"هل أدى ذلك إلى أي جفاء بينهما؟".

"لا، على حد علمي أن روزاموندا لم تنطق أي كلمة عن ذلك، وإذا فعلت ذلك، فلا شكّ أنها فعلته مؤخراً. لقد بقيت تحلم أن تصبح مصمِّمة وخيّاطة أزياء مثل السيدة التي تدير هارالداربود، وحتى كانت تنوي أن تسافر إلى الخارج بعد الحرب لكي تتدرَّب".

"هل تعرفين والدَيها؟"، سأل ثورسون.

"التقيتُهما مرةً، وبدَوا لي مثل شيء آتٍ من العصور المظلمة، لكنها تكلّمت عنهما بشكل جيد دائماً. هل تعرفان أنها متبنّاة؟".

"ماذا تقصدين بالعصور المظلمة؟".

"حسناً، شعرتُ أنهما كانا صارمَين جداً مع روزاموندا في نشأتها، وهما بالطبع روحانيان أيضاً".

"روحانيان؟"، قال ثورسون.

"نعم، هذا ما قالته روزاموندا، وأنهما منغمسان عميقاً في الأمور الروحانية، فيحضران جلسات تحضير الأرواح، ولديهما كتب كثيرة عن الأشباح والحياة ما بعد الموت".

"هل كانت روزاموندا مهتمةً بهذا الصنف من الأمور؟".

"يا للهول، لا، على الإطلاق. لم تصدِّق كل تلك الأمور، واعتبرتها مجرد ثرثرة لا معنى لها. وعندما قال لها ذلك... الأحمق القذر..."

"ماذا؟".

"مثلما قلتُ لكما، كنتُ سآتي لأُخبركما شيئاً حصل لروزاموندا، لكنها لم تحبّ التكلّم عن ذلك، وتوسَّلتني ألا أُخبر أي شخص".

"آه؟ ما هو؟".

"رفَضت إخباري مَن هو الرجل أو أين حصَل ذلك، بل فقط أنه حصَل وأنه أمر رهيب ومثير للإشمئزاز، ولم يكن وارداً لديها أبداً أن تحتفظ بالطفل عندما عرَفت أنها حاملٌ. لا أدري...". تلعثَمت الفتاة، ثم أجبرت نفسها على قوله: "لقد اغتصبها. أتت روزاموندا إلى هنا بعد ذلك، ومكثت لديَّ ليومين قبل أن يمكنها مواجهة فكرة الذهاب إلى المنزل. كانت حالتها فظيعة..."

"هل حصَل ذلك منذ حوالي ثلاثة أشهر؟"، سأل فلوفنت.

أومأت الفتاة برأسها.

"مَن اغتصَبها؟".

"قالت إنه 'نذل لعين'. لم تستطع أن تذهب إلى المنزل لذا بقيت هنا معي إلى أن تحسَّنت قليلاً".

"هل أخبرتكِ مَن كان؟"، سأل ثورسون.

"لا. قالت فقط إنه مجنون بالكامل. وقد وجَدتُها تنتظرني في الخارج عندما وَصَلتُ إلى المنزل، وكل ملابسها ممزَّقة، ومنظرها مُرعِب. أخبَرها أن تُلقي اللَوْم على شعب *الهولدو*، وأن تقول إنها صعدت إلى تلة أوسكجوليد وإن أحد

الأشخاص المختبئين اعتدى عليها. لذا من الواضح أنه معتوه بالكامل".

"*شعب الهولدو؟*".

"أتمنّى لو أنها بلّغت عنه، أو قالت مَن هو. ما كان يجب أن تدعه يُفلِت من العقاب، بل كان عليها أن تصرخ إسمه عن أسطح البيوت، وأن تُخبر الجميع عما فعله بها، وأن ترفض أن تتركه وشأنه".

"ما هذا عن *شعب الهولدو*؟"، سأل فلوفنت. "هل أنتِ متأكدة أنها لم تكن مهتمةً بالظواهر الخارقة؟".

"لا".

"هل كانت تصدِّق القصص عن الأقزام؟"، سأل ثورسون.

"لا، بالطبع لا".

"ماذا قصدَت إذاً؟"، سأل فلوفنت.

"لا أدري، ورفضت أن تقول أكثر من أن الرجل مجنونٌ".

نظرَ فلوفنت وثورسون إلى بعضهما البعض.

"هل تعرفين إن كانت على اتصال بعائلتها في الشمال؟"، سأل فلوفنت.

"لا، قليلاً جداً، وقد انتقل بعض إخوتها جنوباً – أعتقد اثنين منهم – وقالت شيئاً عن عملهما في الجيش. في هڤالفيوردور أو في مكان مماثل".

"ماذا كانت تفعل في الأمسيات بعد العمل؟"، سأل ثورسون.

"أعتقد أنها تعود إلى المنزل فحسب، حيث غالباً ما كانت تعمل لوقت متأخر – وكثيراً جداً إذا سألتني رأيي. نذهب أحياناً إلى السينما أو الرقص في فندق بورغ، لكن العجوزة الشمطاء تستعبدها في أغلب الأحيان. ثم توقّفت عن الخروج كلياً بعد أن تعرَّضت للاغتصاب".

"هل تعلمين إن تعرَّفت على شخصٍ من مستودع المؤن في مبنى المسرح؟".

"لا، أشكّ بذلك كثيراً".

"أو إذا تعرَّفت على جندي يدعى فرانك كارّول؟"، سأل فلوفنت.

"لم تذكر أبداً شخصاً يدعى فرانك".

"ربما سمّى نفسه فرانك رادي".

هزَّت الفتاة رأسها مرة أخرى.

"ألم تكن في «الحالة»؟"، سأل ثورسون.

"لا. بالتأكيد لا".

"هل كان لديها حبيب؟"، سأل فلوڤنت.

"لا. إلا إذا تعرَّفت عليه مؤخراً".

"ألا يوجد أي فتى كانت مهتمةً به؟".

"لا. لم تكن روزاموندا من هذا النوع حقاً".

"قلتِ إنها كانت مصمِّمة على التخلّص من الطفل. هل تعرفين مَن الذي أجرى لها عملية الإجهاض؟".

"لم تُخبرني. كانت خجِلة مما فعلته ولم ترغب أن تناقش الأمر، لذا تجنَّبتُ فتح الموضوع".

"لكنك تكلَّمتِ معها بعد ذلك؟".

"نعم. الأمر سحقها كلياً، وجعلها تشعر شعوراً فظيعاً. في الواقع، أنا..."

"ماذا؟".

"لا أعرف مَن الذي يُصلِح ذلك النوع من الأمور هنا في البلدة، لكن أمي تعرف امرأة تصنع كافة أصناف العلاجات العشبية، فأخبَرتُ روزاموندا عنها، وأعرف أنها كانت تنوي زيارتها فعلاً".

"ومَن هي تلك المرأة؟".

"تدعى ڤيغا، وتعيش في حي الظلال، وأنا متأكدة تماماً أن روزاموندا زارتها".

دوَّن ثورسون الإسم.

"ولم تُخبِرك أبداً مَن اغتصَبها؟"، سأل فلوڤنت.

"لا"، قالت الفتاة ذات الشعر الأسود الحالك عابسةً. "لا أعرف لماذا حَمَت الوغد. لا يمكنني أن أفهم ذلك فحسب".

17

نزّل كونراد الصحف من الأرشيف، صفحةً تلو الأخرى، وراح يقرأ مقالات عن الغارات الجوية على برلين وهدوء المعارك المؤقت في ايطاليا. بدا له أن أخبار الحرب هي الطاغية في الصحف، وقد تخلّلتها بعض المقالات المحلية هنا وهناك عن الصراع السياسي الداخلي وخسائر الشحن. "الغرق المحتمل لسفينة أودين وعلى متنها خمسة رجال". "التحضيرات على أشُدِّها لاحتفالات الاستقلال في ثينغفيلير". كل المقالات متوفرة مجاناً على الانترنت، وراح كونراد يتفحَّص الصحف بعناية بدءاً من وقت وفاة الفتاة وصاعداً، لكنه لم يستطع سوى إيجاد بضعة مقالات عن القضية غير تلك التي احتفظ بها ثورسون، والتي وجدها لم تُخبره أي شيء جديد، فذكّر نفسه أن الرقابة كانت تُفرَض على الصحافة خلال الحرب لضمان عدم نشر شيء قد يستخدمه العدو لصالحه، لكن ذلك بالكاد ينطبق على قضية فتاة قُتلت خنقاً.

كان قد بحث أيضاً في أرشيف الجنائية عن ملفات قديمة لها علاقة بالتحقيق، لكنه لم يعثر على شيء تقريباً، وبدا له كما لو أن كل شيء له علاقة بالقضية ضاع، ولم يستطع العثور على أي دلالة على أنها وصلت إلى المحكمة، بل كل ما استطاع أن يجده هو جزءٌ من مقابلة مع الشاهدة التي عثرت على الجثة، وقد ادّعت أنها رأت فتاةً تفرّ من المسرح. وفي هامش إفادة الشاهدة، كتبَ أحدهم إسماً، فدوَّنه كونراد.

من الممكن أن القضية سُلِّمت إلى السلطات العسكرية، وقد ضمت قوى الاحتلال في ذلك الوقت جنوداً من النروج وكندا وبريطانيا والولايات المتحدة، رغم أن الأميركيين كانوا المجموعة الأكبر إلى حد بعيد. وإذا تبيَّن أن قاتل الفتاة يخضع للسلطان القضائي للقوى العسكرية المحتلّة فإن ذلك قد يفسِّر قلّة المعلومات عن الحادث في الصحافة الآيسلندية وسجلات الشرطة.

بَحَث كونراد عن قصص أخرى من الأشهر القليلة الأولى لسنة 1944، وهي

السنة التاريخية التي أصبحت فيها آيسلندا جمهورية مستقلة، وهي سنة ولادته. فوفقاً لأبيه، كانت أخبار جلسة تحضير الأرواح السيئة السمعة التي جرت في شقتهم قد وصلت إلى الصحف، لكن كونراد لم يتحقّق أبداً مما إذا كان ذلك صحيحاً أم لا، لذا اغتنَم الفرصة الآن وراح يتصفَّح الصحف اليومية بعناية بحثاً عن أي شيء عن وسيط روحي محتال وشريكه.

أول مرة سمِع فيها عن القضية هي عندما اقتحَمت عمّته كريستيانا الشقة مثل زوبعةٍ من الشمال، وأطلقت موجة اتهامات غامضة ضد أخيها عن 'جلسة تحضير الأرواح تلك'، وحذَّرته من عدم التدخّل في المسائل التي لا يحقّ له التدخّل فيها. حصل ذلك بعد حوالي عقد من الحدث، وقد أشعل غضبها نعيٌ في الصحيفة نشره أب روزاموندا بالتبنّي الذي مات في المستشفى بعد مرض قصير، وبقيت العمّة كريستيانا توبِّخ أخاها بشكل فظّ عن الشرف والعار، وأنه وغد فاشل لمعاملته الناس بتلك الطريقة، إلى أن فَقَد صبره وأخبَرها أنها إذا لم تصمت، يمكنها أن تنصرف بسرعة عائدةً إلى الشمال.

لم يعقد أبوه أي جلسة تحضير أرواح أخرى داخل شقتهم، ولم يعد عضواً في جمعية الأبحاث النفسانية التي كان يختار ضحاياه منها، وأوقَف كل تعاونه مع الوسطاء الروحيين. وقد طلَّقت والدة كونراد زوجها حين زارتهم العمّة كريستيانا، فقد سئمت تماماً من حياتها معه، من نِفاقه، من نَصبه، ومن المحتالين الوضيعين الذي يعاشرهم، وهو ليس فقط شخصاً غير موثوق وغير قادر على شَغل أي وظيفةٍ، بل يحتسي الكثير من الشراب بصحبة أوباشٍ، ويتجرّأ على رفع يده عليها، ويذلّها بشكل متكرر أمام صديقاتها، لذا أعلَنت ذات يوم أنها اكتفت، وأنها ستتركه وتأخذ الأولاد. "افعلي ما يحلو لك"، صاح بها والد كونراد، "يمكنك أن تنقلعي وتأخذي الفتاة معك، لكنك لن تأخذي إبني!". لم تدع ذلك يوقفها، رغم أنها تشبَّثت بما لا أمل فيه وهو أن يَلين ويدعها تأخذ كونراد، لكن ذلك لم يكن مقدَّراً أن يحصل، وبقيت المسألة مصدر نزاع مرّ بينهما.

بعد زيارة العمّة كريستيانا، سأل كونراد أباه عما قصدته بجلسة تحضير أرواح.

"لا تبدأ"، قال وهو ينفش شعر إبنه. "إنه شيء لا داعي لأن تقلق بشأنه. لطالما كانت أختي نصف معتوهة".

أكمَل كونراد تنزيل صفحات الصحيفة من عام 1944 إلى أن لفَت انتباهه أخيراً عنوانٌ يقول "ضجة في جلسة تحضير أرواح"، وتبيَّن له أنه تقرير مفصَّل نوعاً ما عن جلسة تحضير أرواح عُقدَت مؤخراً في حي الظلال وفُضح أمرها على أنها خدعة، وقد عبَّر الحضور عن اشمئزازهم، خاصة عجوزان عانيا مؤخراً من خسارة مأساوية. لم تُذكَر أي أسماء، لكن المقال أشار إلى نفساني متمرِّس وشريكه المتزوّج الذي استخدم منزله العائلي لعقد الجلسة، والذي تآمر ليستنبط معلوماتٍ من الحضور، ثم ادَّعى أنها أتت من وراء القبر عبر الوسيط الروحي. وقد وصفت الصحيفة العملية بخدعةٍ بشعةٍ، وأضافت أن العجوزين اللذين طلبا خدماتهما استغاثا بهما على ضوء فجيعتهما و...

لقد قرأ كونراد ما فيه الكفاية، لذا أغلَق الصفحة ولم يبحث عن أي مراجع أخرى عن الحادثة، فقد شَعَر فجأة أنه لا يريد معرفة ما قالته الصحف، لذا نهض عن كرسيه، ودخَل المطبخ، وصبَّ بعض القهوة، ثم أخرجَ قصاصة ورقة من جَيبه: لقد دوَّن الإسم من هامش إفادة الشاهدة. إنه إسم امرأة لم يسمع به من قبل، وشَعَر أنه ربما غير شائع في آيسلندا، بل مُستعار من الدانمركية بكل تأكيد. عاد وجلس أمام حاسوبه مرة أخرى، وضغط على دليل الهاتف، وكتبَ الإسم. ظهرت له نتيجة واحدة فقط.

"لا ضرر من المحاولة"، قال لنفسه، ورفع سمّاعة هاتفه، وطلبَ الرقم.

بقي يرنّ لبرهةٍ.

"مرحباً؟"، سمِع أخيراً صوتاً مسنّاً لكن واضحاً.

"هل هذه إنغيبورغ؟".

"نعم".

"إنغيبورغ إسليفسدوتير؟".

"نعم، بنفسها"، قالت المرأة. "مَن المتصل، رجاءً؟".

18

لم يحتج فلوڤنت إلى وقت طويل ليجد العنوان الصحيح لمنزل صغير مزدان بحديد مموَّج، وذي قبو وعليّة صغيرة جداً، ويقف عند حافة حي الظلال. صعِد الدرج القصير، وطَرَق على الباب، لكن لم يُجبه أحدٌ. رأى باحة صغيرة خلف المنزل، فتوجَّه إليها ووَجَد أن المالكة حوَّلتها إلى حديقة خُضروات. كان يهمّ بالعودة إلى الشارع عندما فُتح باب القبو، وظهرت امرأةٌ في مئزر طويل رثّ، وسروال كتّاني قذر، وحذاء مطاطي طويل يظهر فوق حافته العليا جوربان صوفيان طويلان. كانت تحمل دلواً فارغاً، وشعرها الكثيف جَعَل رأسها يبدو ضخماً.

"من أنت؟"، سألت وهي تخبط باب القبو خلفها وتُحكم إغلاقه بقفلٍ.

"عفواً، هل أنت ڤيغا؟"، سأل فلوڤنت.

"لماذا تسأل؟".

"أنا من شرطة ريكيافيك، وأحقِّق في موت الفتاة التي عُثر على جثتها خلف المسرح الوطني. ربما سمِعت عن ذلك. إسمها روزاموندا".

"لا علاقة لي بذلك".

"هل إسمك ڤيغا؟".

"نعم، هذا ما ينادونني به".

"تساءلتُ إن كان يمكنني التحدّث معك".

"ليس لديَّ شيء أقوله لك"، قالت ڤيغا وصعِدت الدرج، وبدا من الواضح أنه ليست لديها النيّة السماح لفلوڤنت بأن يعرقل سير أعمالها الروتينية.

"سمِعتُ أنكِ تعرفين الكثير عن الأعشاب الآيسلندية".

"ما دخلك بذلك؟".

"وتفهمين خصائصها العلاجية".

"لن أقول ذلك".

"وقوتها الهدّامة".

"اسمع، ليس لديَّ الوقت لهذا"، قالت ڤيغا. "اخرج من حديقتي رجاءً".

دخَلت المنزل، وأغلقت الباب خلفها تاركةً فلوڤنت يقف هناك كالأحمق، لكنه صمَّم ألا يتقبَّل الهزيمة بهذه السهولة، لذا عاد وصعِد الدرج مرة أخرى، وخَبَط على الباب، ومرَّ وقت طويل قبل أن تعاود ڤيغا الظهور مرة أخرى.

"اعتقَدتُ أنني طلبتُ منك الرحيل".

"فهِمتُ أن روزاموندا ربما أتت إليك طلباً للمساعدة، لذا أردتُ معرفة إن فعلت ذلك حقاً، وإذا كان الأمر كذلك، ما الذي حصل بينكما".

أخرجَ صورة روزاموندا التي أعطاه إياها والداها وعرضها على المرأة. "هذه هي الفتاة".

بقيت ڤيغا تتأمل الصورة لبرهةٍ، ثم نظرت إلى فلوڤنت بفتورٍ بعينين صغيرتين شبيهتين بالقطة، وحاجب مرتفع تحت شعرها الكثيف الجامح، ووجه ضيق، وشفتين نحيلتين غير مرئيتين تقريباً، وتعبيرٍ عابسٍ دلالةً على حياةٍ من المشقّات.

"لقد أتت إلى هنا فعلاً".

"ماذا أرادت منكِ؟".

"بدت المسكينة بائسةً، وحائرةً في أمرها"، قالت ڤيغا ورمقت فلوڤنت بنظرة ثاقبة، ثم أضافت، "تفضَّل بالدخول"، وفتَحت الباب أكثر وتراجعت إلى الداخل. "لا أظن أنني سأتمكّن من التخلّص منك، لكنني لن أقدِّم لك أي شيء، فليست لديَّ أي قهوة، ولا جدوى من طلب شرابٍ مني".

"لا أريد أي شيء"، طمأنها فلوڤنت وهو يتبعها إلى الداخل.

سارت ڤيغا أمام فلوڤنت في رواق صغير إلى المطبخ، وأومأت إليه ليجلس إلى الطاولة، فجلس دون أن يستطيع إلقاء نظرة خاطفة على أي غرفة أخرى، وتمركزت ڤيغا قرب موقد الفحم القديم. بدا له أنها تطهو شيئاً يتضمن طحالب آيسلندية مجفَّفة وأشنة رنّة وصعتراً برياً، ورأى من نافذة المطبخ التي تطلّ على الشارع امرأةً تمرّ في الغسق المقبل وهي تدفع عربة طفل.

"إنني أختبر بعض الأصبغة"، شرَحت ڤيغا عندما أبدى فلوڤنت حشريةً عن النباتات. "لفنانٍ هنا في البلدة لا شكّ أنك لم تسمع به، فهو ليس مشهوراً".

"هل تعدّين علاجات عشبية؟ للنباتات الجبلية قدرات طبية قوية، أليس

كذلك؟".

"أحياناً. إذا طُلب مني ذلك".

"هل طلبت روزاموندا مساعدةً منك؟".

"أخبَرتني مشكلتها، واحتاجت إلى وقت طويل لتبوح بها، وأجبتُها فوراً أنه لا يمكنني فعل شيء لها. بدت هستيرية تقريباً المسكينة عندما وصلت إلى هنا، لكنها سرعان ما هدأت، وقد جلست حيث تجلس الآن. قدَّمتُ لها شاياً أعددتُه بنفسي، وأشفَقتُ عليها كثيراً. إنني أتلقى زيارات مماثلة من وقت لآخر لأنهن يعتقدن أنني مشعوذةٌ تستطيع أن تحلّ لهن مشكلتهن التي سبَّبها جنديٌ ما، إذا كنت تفهم قصدي. أرشدتُها إلى امرأة أعرفها، لكن ليست لديَّ أي فكرة إن ذهبت لرؤيتها أم لا".

"مَن هي تلك المرأة؟".

"لستُ واشيةً، ولن تحصل على إسمها مني لذا لا تتكبَّد عناء السؤال".

"حسناً. عما تكلَّمتِ وروزاموندا إذاً؟".

"شعب الهولدو في الأغلب، فقد بدأت تثرثر عن الأقزام لسبب من الأسباب، لذا أخبَرتُها عن تلك الفتاة في الشمال في أوكسافيوردور".

"أي فتاة في الشمال؟".

"تلك التي اختفت".

"مَن كانت؟".

"فتاة من الريف التقيتُها مرةً عندما كنتُ أعمل طبّاخة لعمّال بناء الطرق. إسمها هروند، إذا كنتُ أتذكَّر جيداً".

"ماذا حصل لها؟".

أقحمت ڤيغا غصين صعتر بري في فمها، وسكبت أشنة الرنّة في الطنجرة التي على النار، ثم بدأت تروي قصة فتاة ترعرعت في حقل صغير فقير في مجتمع زراعي ريفيّ في الشمال ضمن عائلة تضم عدداً كبيراً من الأولاد، وقد تلقَّت تربية أخلاقية جيدة، وبدأت مؤخراً تواعد فتى من نفس المقاطعة. ذات يوم، عندما كانت في العشرين من عمرها، أُرسلَت لتزور أختها البِكر المتزوجة والتي تعيش في مزرعة قريبة. وصلت الفتاة سيراً على قدميها في الوقت المحدَّد، وأنجزت مهمتها،

وانطلقت عائدةً إلى منزلها، لكنها لم تصل إلى هناك إلا بعد أربع وعشرين ساعة وهي في حالة صدمة، حيث تبكي لحظةً بشكل خارج عن السيطرة، ثم تصبح غير قادرة على التكلّم في اللحظة التالية، وتبيَّن أنها غير قادرة على شرح أين كانت كل ذلك الوقت، وكيف فقدت بعض ملابسها الداخلية، ولماذا أحد كُمَّي مئزرها الطويل ممزَّقٌ، وكيف لحقتها الإصابات في وجهها وعنقها. أصبحت مرتعبةً من أن تُترَك لوحدها، وترفض أن تخرج من المنزل. وعندما تُسأل، كل ما يمكنها أن تقوله هو أنها تاهت وأنها لا تستطيع أن تتذكَّر ما حصل لها حقاً، فقد بقيت في الخارج طوال الليل، ولم تجد طريقها إلى المنزل إلا عند الصباح.

أصبحت أكثر هدوءاً قليلاً بعد يومين، لكنها بقيت ترفض تقديم أي تفصيل لما حصل لها، وكانت في حالة هشّة جداً لدرجة أن لا أحد امتلك قسوة القلب ليتملَّقها أو يوبِّخها لكي تكشف الحقيقة. كل شيء سيظهر في الوقت المناسب، لكن الجميع أدرك أنها تعرَّضت لمحنةٍ فظيعةٍ.

"كان عليهم مراقبة المسكينة بشكل أفضل"، قالت ڤيغا، "لأنهم وجَدوا سريرها فارغاً في صباح أحد الأيام، حيث إنها هربت في الليل ولم يرها أحدٌ مرة أخرى أبداً. نعم، كانوا يراقبونها، لكن ليس بما فيه الكفاية، وقد بحثوا في كل المزارع المجاورة، لكن لا أحد رآها. وقد انطلق فريق بحث كبير لاحقاً، لكنهم لم يعثروا على أي شيء أبداً".

"هل حصل ذلك بعد الاحتلال البريطاني؟".

"نعم".

"هل يصدف أن تعرفي إن كان هناك جنودٌ في المنطقة؟"، سأل فلوقنت.

"كان هناك جنود – في كوپاسكر، مثلاً – وكنا نراهم من وقت لآخر".

"هل كانت الفتاة متورطة مع أحدهم؟".

"لا أعتقد، فلم أسمع أي كلام من هذا النوع أبداً".

"لكن ذلك ليس مستحيلاً؟".

"لا يمكنني أن أجزم حقاً".

"ماذا اعتقد الناس أنه حصل لها؟".

"سرت إشاعات أنها غير سليمة ذهنياً، وأنها حتى كذَبت بشأن الحادث، وأنها

اخترعته لتتستّر على شيء آخر لم ترغب أن يعرفه الناس".

"مثل ماذا؟".

"ليست لديَّ أي فكرة". حرّكت ڤيغا محتويات الطنجرة. "لم يعرف أحدٌ على وجه اليقين".

"ما برأيك حصل لها؟".

"كيف لي أن أعرف؟ ظنَّ البعض أنها رمت نفسها في الشلال في ديتيفوس، لكن ذلك مجرد تكهّن، ولا أحد يعرف ما الذي حلّ بها".

"هل خطرَ ببال أحد أن الجنود ربما لعبوا دوراً في اختفائها؟".

"على حد علمي أن أحداً لم يفكّر بذلك، فقد افترضوا أن الفتاة المسكينة قتلت نفسها، وكان هذا فصل الختام، لكنني أظن أنه كان لدى الناس شكوكهم. بالطبع اعتُبر أن ما حصل مأساةٌ، لكن لم يجر أي تحقيق أبداً، أو أي شيء من هذا القبيل. لهذا السبب أنا متفاجئة قليلاً من اهتمامك".

"ماذا قلتِ كان إسم الفتاة؟".

"هروند".

"هل كانت تعاني من مشاكل قبل الحادث؟".

"على ما يبدو لا. أنا... حسناً، أظن أنها كانت من النوع الساذج: تصدِّق وجود الأقزام، ومعتادة أن تروي الحكايات الشعبية عن شعب الهولدو كما لو أنها حقيقة راسخة. ساذجة قليلاً المسكينة، أو هكذا قيل عنها".

"إذاً فالقصة بأكملها فاجأت الجميع تماماً؟".

"نعم، أظن ذلك. والشيء الوحيد الذي قالته..."

بدا أن أعشاب ڤيغا في خطر الإفراط في الغليان، لذا عادت إليها وراحت تحرِّكها بنشاط بملعقة خشبية كبيرة.

"نعم؟"، علّق فلوڤنت ليحثّها على إكمال كلامها.

"هذا اللعين ساخن جداً"، قالت ڤيغا وهي تنفخ على الطنجرة. "الشيء الوحيد الذي قالته الفتاة المسكينة عن القصة هو شيء أطلعتنا عليه أختها الأصغر سناً لاحقاً".

"ماذا كان؟".

"كانتا مقرَّبتين جداً من بعضهما، وقد أخبَرتها هروند قليلاً عما حصل لها تلك الليلة – بعض الهُراء عن تربُّص أحد أفراد شعب الهولدو لها على الطريق".

"شعب الهولدو؟".

"نعم. أصرَّت أن رجلاً قزماً هاجَمها وضربها، وحتى ضاجعها. اضطررتُ أن أكرِّر ذلك ثلاث مرات لروزاموندا لأنها لم تستطع أن تصدِّق ما تسمعه، ثم فرَّت فجأة من المنزل دون حتى أن تودّعني المسكينة".

عندما لم يُجبها فلوفنت، توقَفت قيغا عن التحريك واستدارت لتجد أنه نهض عن الكرسي، وأنه يحدِّق بها غير مصدِّق.

19

"ما الأمر؟ تبدو كأنك رأيتَ شبحاً". وَقَفت ڤيغا فوق طنجرتها تراقب ردّة فعل فلوڤنت بحشرية، وراح الفحم يفرقع في الموقد. عادت المرأة التي تدفع عربة طفل ومرَّت أمام النافذة مرة أخرى في طريق عودتها إلى منزلها.

"ذكرَت الأشخاص المختبئين؟"، قال فلوڤنت بعد لحظةٍ. "أن قزماً هاجمها؟".

"هذا ما قالته أختها، وقد ادّعت أنها اصطدمت برجلٍ من الجهة الأخرى. المسألة بأكملها مشوَّشة ومضحكة جداً، إلا إذا كنتَ تصدِّق ذلك النوع من حكايات العجائز، عِلماً أنني لا أصدِّقها. لا أصدِّق وجود أقزامٍ أو أي مخلوقات غير مرئية".

لم يعرف فلوڤنت ماذا يفكِّر. فتاتان في طرفَين متعاكسين من البلاد مع قصتين متماثلتين، وقد عُثر على إحداهما ميتة خلف المسرح، والأخرى مفقودة، ربما انتحرت، وكلاهما ذكرتا الأشخاص المختبئين. هل يُعقَل أن تكون صُدفةً؟ لا أحد غيره وثورسون والخيّاطة اليافعة يعرفون أن رجلاً اغتصب روزاموندا وأخبَرها أن تُلقي اللَوْم على شعب الهولدو، وهو وثورسون لم ينطقا بكلمةٍ عن ذلك لأي شخص آخر.

"متى جرى كل ذلك؟".

"منذ ثلاث سنوات".

"وكيف تفاعل الناس مع تبرير الفتاة؟".

"ظنّ البعض أنها فَقَدت عقلها، وبدأ البعض الآخر يكرِّرون كل أنواع القصص عن الأشباح والأقزام، ولم يجدوا أي شيء غريب في ذلك، فالمعتقدات القديمة مترسّخة في الأذهان".

"أي معتقدات؟".

"المعتقدات الشعبية طبعاً، مثل الكائنات الخارقة، والأرض الملعونة، واختفاء الأشخاص في قصور الأقزام المخفية في الصخور أو الجبال. أظن أن الفتاة كانت

مولعة بالقصص الخرافية المماثلة، لكنني لا أصدِّق للحظةٍ أن كائناً خارقاً هو الذي اعتدى عليها".

"لكنكِ تقولين أنها صدَّقت ذلك؟ صدَّقت بوجود شعب الهولدو والأرواح؟".

"نعم، هكذا يقولون. لقد عرَفت كل الحكايات المحلية عن الأقزام والأشخاص المختبئين، فكل سكان المزارع هناك يتبادلون تلك القصص، سواء كنتَ تصدِّقها أم لا".

"ما الذي حصل برأيك؟".

"ليس لي أن أقول".

"لكن مما سمِعته".

"لا يمكنك أن تسألني هذا، فأنا لا أعرف ما الذي جرى"، قالت ڤيغا بنَرَق. "لكن بعض السكان المحليين ظنّوا أن الفتاة ربما كانت تلهو مع جندي وساءت العلاقة بينهما، لذا شَعَرت أن عليها أن تكذب وتتّهم الأقزام. أنتَ تعرف موقف الناس تجاه «الحالة»، لكن إذا كانت تواعد جندياً، فهو لم يتقدَّم ويُعلن عن نفسه أبداً، والفتى المحلي الذي يُفترَض أنها تحبّه، أنكرَ بشكل قاطع أي علاقة له بما حصل، وأقسَمَ أنه لم يلمسها".

"تكلَّمتِ عن رجل قزم ضاجعها. هل تقصدين أنه اغتصبها؟".

"هذا ما قالوه، لكنني لا أعرف مدى الحقيقة في ذلك".

"وهل اضطربت روزاموندا عندما سمِعت ذلك؟".

"صُدمَت. وقد أخبرَتُها أنني أعتقد أن الفتاة اغتُصبَت بلا شكّ، وأن الوغد الذي فعل ذلك أخبَرها أن تكذب وأن تلقي اللَوْم على الأشخاص المختبئين. لن تكون تلك أول مرة يحصل فيها مثل هذا الأمر، وقد ابيضَّ لونها تماماً وخرجت مسرعةً".

راح فلوڤنت يفكِّر ملياً في هذا الخبر. إذا كان الحادث في أوكسافيوردور جرى منذ ثلاث سنوات، فهل يُعقَل أن الرجل الذي اغتصَب روزاموندا علِم به؟ وهل الاستنتاج الممكن الوحيد هو أن القضيتين مرتبطان ببعضهما بالتأكيد؟ ألم توحي ردّة فعل روزاموندا بذلك؟ لم يصدِّق فلوڤنت شرح هروند أبداً، وقال لنفسه إن الفاعل رجلٌ بلا شكّ، ولا علاقة للأقزام بأي شكل من الأشكال. هل يمكن أن

يكون نفس الرجل اغتصَب الفتاتين، وقد وَجَد أن التخلّص من الفتاة في الشمال أسهل من التخلّص من روزاموندا بفضل تلك الكذبة السخيفة؟

"أليس واضحاً أن الفتاة المسكينة اغتُصبَت وضُربَت ومُزِّقَت ملابسها؟"، قال فلوڤنت.

"نعم، سيظن المرء ذلك"، قالت ڤيغا، "لكن لم تسنح لهم الفرصة أبداً ليكشفوا خبايا ما حصل حقاً".

"قلتِ إنه كان هناك جنود بريطانيون في المنطقة. هل كنتِ على عِلم بأي زوّار آخرين إلى الحي، أي شخص يمرّ من هناك وحسب، أي شخص -"

"لماذا تفترض أنه كان دخيلاً؟".

"لا أفترض ذلك"، قال فلوڤنت. "لكن يبدو طبيعياً التفكير من تلك الزاوية".

"كان هناك جنود بريطانيون في الأرجاء، ولم أكن على اتصال بأيٍ منهم، لكن لا يمكنني الإجابة عن الأشخاص في المزارع - سواء تعاملوا مع الجنود البريطانيين أم لا. ثم هناك طاقم الطريق الكثير العدد، وكلهم رجال، إضافة إلينا نحن الطبّاخين، حيث بلغ العدد الإجمالي حوالي ثلاثين أو أربعين رجلاً. لا أعرف مَن غيرهم كان يمرّ من هناك، رغم أنني أتوقع أنه كان هناك الزوّار الصيفيون الاعتياديون في المزارع".

"بما في ذلك المزرعة حيث عاشت الفتاة؟".

"بالطبع".

"أي شخص من ريكيافيك في ذلك الوقت؟".

"تقصد غيري؟ كان هناك مراقب عمّال واحد من البلدة، واثنان أو ثلاثة آخرون، لكن معظم الطاقم من السكان المحليين، فتيان من هوساڤيك وكوياسكر والقُرى الأخرى، وأبلهان أو ثلاثة مزهوون بأنفسهم من أكوريري".

توقّف فلوڤنت في فريكركيوفيغور في طريقه إلى البيت ليدوِّن ملاحظات عن المعلومات التي حصل عليها ذلك اليوم، وهاتَف مكتب ثورسون، وعلِم أنه خرج في مهمة ولا أحد يعرف متى يعود. لذا سار فلوڤنت إلى المنزل قاطعاً الجسر الذي يعلو البحيرة، مروراً بالمقبرة التي في شارع سودورغاتا على غرار عادته، وتوقف أمام

القبر، وتلا دعاءً قصيراً، ثم أكمل طريقه عبر الطرف الغربي للبلدة إلى شارع فرامنسڤيغور.

يعيش فلوڤنت مع أبيه في شقة صغيرة في منزل خشبي تم تحويله إلى وحدتين سكنيتين، وتطلّ على خليج فاكسافلوي، وقد شاهد من نوافذها وصول قوة الاحتلال البريطاني إلى ميناء ريكيافيك صباح يوم من أيام مايو عام 1940. لكن الاحتلال لم يشكّل مفاجأةً بالنسبة له، وبما أن الاحتلال من طرفٍ أو من آخر كان أمراً محتوماً، فقد فضّل الجنود البريطانيين على نازيي الرايخ الثالث.

عمِل أبوه على أرصفة المرفأ لعدة سنوات، وهو لا يزال يعمل هناك كوكيلٍ لمخزن أدوات صغير، ورغم أنه كان بإمكانه أن يكسب مالاً أكثر لو عمِل لدى القوى المسلّحة، إلا أنه رفض المشاركة في أي استغلال للحرب. كان نائماً على الأريكة في المطبخ، لكنه استيقظ عندما دخَل فلوڤنت.

"هل هذا أنت يا بُنيّ؟"، قال وهو يستوي جلوساً. "يبدو أنني كبَوْتُ قليلاً. هل أكَلت؟ لقد أعددتُ أرزاً بالحليب، وهناك بعض شرحات نقانق الكبد يمكننا أن نأكلها معها".

لأنه يعرف كم أن القضايا التي تحطّ على مكتبه تهمّ أبيه، أطلعه فلوڤنت أثناء تناولهما الطعام على أحدث التفاصيل عن قضية روزاموندا، وهو يعلم أن أباه لن يبوح بشيء لأي شخص، ويثق بتكتّمه بالكامل مثلما يثق به في كل شيء.

"شعب الهولدو؟"، قال العجوز. "غريبٌ أن تذكرهم فتاة الشمال أيضاً".

"ربما هناك رابط"، قال فلوڤنت. "من غير المحتمل للغاية أن تروي فتاتان على طرفَين متعاكسين من البلاد قصةً غريبةً مثل تلك إلا إذا كان هناك رابطٌ ما. إنه أمر غير وارد على الإطلاق في الواقع".

"هل هناك قصص أخرى عن هجمات من ذلك النوع؟".

"لا أدري"، قال فلوڤنت. "ربما في حكاية شعبية، أو حتى في السجلات القديمة للمحكمة. يمكنني أن أتحقّق إن كان أي شخص قد نشرَ هذا النوع من الهُراء من قبل".

"من الحكمة ألا تستبعد ذلك. يُفترَض أنها رمت نفسها في ديتيفوس، أليس كذلك؟".

"لا أحد يعلم ما الذي حلّ بها".

"تذكّر أنه لمجرد أن كلينا لا يصدِّق وجودهم فإن ذلك لا يعني أن الفتاة لم تصدِّق بحقّ أنها رأت أحد الأشخاص المختبئين. يجب أن يكون هناك سببٌ لوجود كل تلك الحكايات الشعبية عن الأقزام الفاتحين والأقزام الداكنين والجنّ والأشباح، لذا لن أكذّبها أو أعتبرها مخبولة تماماً".

"أنا لا أعتبرها كاذبةً أو مخبولةً".

"أعرف يا بُنيّ. لقد خصَّصت أمك العزيزة الكثير من وقتها للمعتقدات القديمة، وأظن أنها كانت لتعطي الفتاة قرينة البراءة لعدم توافر الأدلة الكافية. بالمناسبة، هل زرتَ المقبرة؟".

"نعم".

"ليباركهم الله"، قال أبوه على عادته عندما يُفتَح موضوع المقبرة.

تعيش العائلة في غرفة قبو صغيرة ذات تهوية جيدة في أحد المنازل البعيدة عن هڤيرفيسغاتا، وفصل الشتاء هذا هو الأبرد في الذاكرة الحيّة، حيث سمّاه الناس «الصقيع الكبير». لقد بلغَ الجليد حدود الساحل، وتجمَّدت الموانئ، وأصبح بإمكان المرء أن يسير إلى جزيرة ڤيدي دون أن تتبلَّل قدماه، وانخفضت الحرارة بسرعة إلى ما دون 30- درجة مئوية، واعتاد فلوڤنت أن يتحلَّق يومياً حول موقد الفحم مع والدَيه وأخته الصغيرة، ملتحفين كل الملابس التي يملكونها، بينما يستخدم أبوه أي شيء تقع عليه يداه لإضرام النار.

وهذه كانت مجرد بداية تلك السنة المصيرية، 1918. فبعد صيف قصير جداً، حلَّ الخريف مُحضِراً معه المرض الذي قيل إنه قتل ملايين الأشخاص حول العالم. لقد وفَّر قبوهم بعض الحماية من البرد ولو أنها غير كافية، لكنه لم يستطع أن يصدَّ الإنفلونزا الإسبانية فتُوفِّيت والدة فلوڤنت وأخته بعد مرض قصير، وأُصيب فلوڤنت بالمرض أيضاً لكنه شُفي منه، بينما لم يُصَب به أبوه أبداً، وقد عزا السبب إلى إصابته بالانفلونزا التي اجتاحت البلاد عام 1894.

وقعت أكثرية الوفيات في ريكيافيك، وسرعان ما فاضت مشارح البلدة، فلجأت السلطات إلى حَفر قبور جماعية في المقبرة. وفي أحد الأيام الفظيعة في ذروة الوباء، دُفنت حوالي عشرين جثة في قبرين، من بينها والدة فلوڤنت وأخته،

ولم يتمكّن من أن يحضر جنازتهما بسبب مرضه الشديد. وفي بعض الحالات، وُضع ما يصل إلى ستة توابيت في دار العبادة الكبرى في الوقت نفسه.

تم اتخاذ تدابير للطوارئ، فقُسِّمَت البلدة إلى ثلاث عشرة مقاطعة، وأُعطي طلاب الطب تراخيص مؤقَّتة لممارسة المهنة، ونُظِّمَت زيارات من بيت لبيت لمساعدة المحتاجين. بدت الأوضاع يائسة، فالناس يموتون على أسرّتهم بعد بضعة أيام على إصابتهم بالعدوى، ويتم العثور على الأولاد يقفون وحيدين فوق جثث أهاليهم، بينما يستلقي بعضهم الآخر مرضى بقوة، غير قادرين على التحرّك.

رغم أن والد فلوفنت فَقَد زوجته وإبنته اليافعة، أو ربما بسبب ذلك، إلا أنه بذل ما بوسعه ليساهم في جهود الإغاثة. فبعدما اهتمّ بإبنه إلى أن شُفي من الإنفلونزا، راح يعمل ليلاً نهاراً ليساعد الأطباء والممرِّضات، وهو يحمل معه في الوقت نفسه أجراس دار العبادة ليُعلن بها موت الأحباء ويردِّد بها صدى الثكلى، ويتنقّل من منزل إلى آخر في خضم الرياح العاتية.

"ليباركهم الله"، قال أبوه مرة أخرى وعيناه تستريحان على إبنه. "ليباركهم الله ويحفظهم الآن وإلى الأبد".

20

رَكَن كونراد أمام منزل منفصل مَهيب في الطرف الغربي يتألّف من طابقين وشقة في القبو، وقد بُني بُعيد الحرب عندما بدأ الازدهار الذي أحضَرته الأوقات المتغيِّرة يُؤتي ثماره. المبنى مطلي بطلاء خشن على غرار العديد من مباني ذلك العصر، وله حديقة خلفية كبيرة، وتحدّه أشجار سِمَّن [أو غُبيراء الحابلين] طويلة وجُمَّيزة جميلة.

كانت إنغيبورغ قد أعطته العنوان والاتجاهات عبر الهاتف، وأخبَرته أن المنزل مُلك إبنها، وأنها تعيش في شقة صغيرة في القبو تم تجهيزها خصيصاً لها، وأنها لوحدها هناك في الوقت الحاضر لأن إبنها أخذ عائلته في إجازة إلى أوروبا، ولم تشعر برغبةٍ بالذهاب معهم، فهي عجوزة جداً ومُتعَبة لكي تسافر.

استقبلته عند الباب ودعته إلى الدخول وهي تشرح له أنها كانت تستمع إلى كتاب صوتي بما أن القراءة صعبة عليها هذه الأيام، وأشارت إلى مصباح القراءة الكبير على طاولة المطبخ والعدسة المكبّرة والصحيفة التي تحتها. شعرها أبيض تماماً، وهي تتنقّل ببطء بمساعدة عكّاز، وتتوقف قليلاً في سيرها، ورأى جهاز مساعدة على السير في الرواق. عندما سألته إن كان يريد بعض القهوة، قَبِل بامتنان. الحرارة خانقة في الشقة، ونافذة غرفة الجلوس تطلّ على الحديقة.

"دُهشتُ كثيراً عندما اتصلتَ بي"، قالت. "وعندما قلتَ إنك من الشرطة. لم أتلقَّ زيارةً من الشرطة منذ صِباي، وقد حصل ذلك لنفس القضية التي سألتني عنها: الفتاة المخنوقة".

"لم يكن أمراً ممتعاً كثيراً لكِ طبعاً أن تتورّطي في استجواب مماثل".

"أسوأ جزء كان العثور على جثة الفتاة المسكينة. كانت تجربةً بغيضةً، صدِّقني".

"يمكنني أن أتخيّل ذلك".

"لقد فعلتُ الشيء الخطأ تماماً: هربتُ مثل حمقاء، وتركتُ نفسي أُخدَع،

لكنني تعلَّمتُ الدرس. عليك أن تتعلَّم من أخطائك وإلا ما نفعها؟".

وَضَعت إنغيبورغ عكّازها جانباً لتحرِّر يديها لإبريق القهوة.

"هل يمكنني مساعدتك؟"، سأل كونراد.

"لا، شكراً"، قالت إنغيبورغ. "لا يزال بإمكاني إعداد القهوة".

حرص كونراد على عدم الدخول في صُلب الموضوع مباشرة، بل أخذ وقته مع المرأة المسنّة، وراح يدردش معها عن الطقس والسياسة وبرامج التلفزيون المفضَّلة لديها، وقالت له إنغيبورغ إنها تشاهد التلفزيون كثيراً، وإنها مولَعة جداً بالمسلسلات الطويلة التي تُعرَض خلال النهار. فاجأته ثرثرتها ومرحها، وحُسن اطلاعها على الأحداث الجارية، وسرورها من استقبال زائرٍ يُبدي اهتماماً بكل شيء تقوله، ومع ذلك فقد شَعَر بتوتّر وحذر ضمنيين لديها حيث إن ماضيها لحِق بها، وبدا حذرها مفهوماً له. عندما تكلَّم معها على الهاتف، اتَّضح له بسرعة أنها بالفعل الفتاة التي أشار إليها مقال الصحيفة، أنها إبنة الموظف الحكومي التي عثرت على الجثة قرب المسرح.

"هل تتذكَّرين ما حصل جيداً؟"، سأل كونراد عندما أنهى فنجان قهوته الأول وكانت تُلحّ عليه أن تسكب له فنجاناً ثانياً.

"لم أعد قادرةً أبداً على الذهاب لحضور مسرحية في المسرح الوطني دون أن أفكِّر بالأمر"، قالت إنغيبورغ. "وما دمتُ حيّة، لن أنسى أبداً لحظة عثورنا عليها، فهذا الصنف من الأمور يلازمك دائماً. الطريقة التي كانت ممدَّدة بها على الأرض وعيناها المفتوحتان. البرد القارس. لكن ما الذي جعلك تسأل عنها الآن، بعد كل تلك السنوات؟".

"مثلما ذكرَتُ لكِ على الهاتف فأنا أنظر في القضية بخصوص جريمة قتل - لديثة"، قال كونراد. "ربما قرأتِ عنها في الصحف، عن رجل أكبر سناً منك . لميل عُثر عليه ميتاً في منزله".

"نعم، هذا يبدو مألوفاً".

"عندما فحَصنا شقته، وجدنا أنه احتفظ ببعض قصاصات صحف قديمة عن الفتاة المقتولة، وبدا لنا أنه كان يبحث عن معلومات عنها قُبيل وفاته، لذا أردتُ معرفة السبب. وقد بَرَز إسمك على نحو غير متوقّع في تقرير قدم للشرطة -"

"أنا متأكدة من ذلك".

"هل تعرفين إن حُلَّت القضية؟"، سأل كونراد. "إن قبضوا على قاتلها؟".

"ظننتُ أنك ستعرف ذلك".

"لسوء الحظ أنه لا يوجد شيء في أرشيفنا، وبالكاد يمكننا إيجاد قصاصة ورق لها علاقة بالقضية. يبدو كما لو أن القضية لم تذهب إلى المحكمة أبداً".

"لا، لم أحاول أبداً معرفة ما حصل. وبعدها بوقت قصير، بعد بضعة أسابيع فقط، كنتُ... نُقلتُ إلى جزء آخر من البلاد، وبقيتُ بعيدةً لسنتين. ثم عدتُ إلى منطقتي، وخُطبتُ لزوجي".

ابتسمت إنغيبورغ لكونراد. لقد فاجأتها مكالمته الهاتفية، فهي لم تتوقع أبداً سماع إسم روزاموندا مرة أخرى، لكن كونراد تصرَّف معها بتهذيب كبير وذكَّرها أسلوبه بذينك الشرطيَين الآخرَين، فلوفنت وثورسون، اللذين زاراها في منزلها منذ وقت طويل، وعاملاها بلطف وتفهُّم بعدما تبدَّدت شكوكهما الأولية. أملَت فقط ألا يتوقع منها الدخول في التفاصيل، وإلا فستضطر إلى أن تكشف لهذا الشخص الغريب تماماً لماذا أخذ أبوها إسليفور قرار إرسالها إلى الريف بعد علاقتها بفرانك رادي، ولم ينفع أي مقدار من الإقناع أو الدموع أو الشتائم بتغيير رأيه، وحتى أمها عجزت عن مواجهة استبداده، فقد ترسَّخ في ذهنه أنها ستُشفى بشكل أفضل مع أنسبائها في الأزقة البحرية الشرقية، وأن مجرد اختفائها عن الأنظار سيقلِّل حجم الإشاعات. أخوه مُزارع غني في الشرق، لذا ورغم أن مزرعته تقع في مكانٍ ناءٍ تماماً، فإنها ستكون على الأقل مرتاحة إلى حد ما. حين عادت إلى ريكيافيك، وجدت أن الاحتلال زال ومعظم الجنود رحلوا، وقد حاول أبوها، الذي تصرَّف بناءً على اعتقاد أنه يتفادى كارثةً، أن يعوِّض عليها بأن عرَّفها على شابّ واعد جداً عمِل معه في احتفالات الاستقلال، وهو شابّ لديه داعمون مؤثِّرون ضمن الخدمة المدنية أمّنوا له رخصة استيراد قيّمة وإمكانية الوصول إلى تمويل مصرفيّ، وكانت تجارته ببيع البضائع الأميركية بالجملة قد بدأت تلقى رواجاً حقيقياً. "مستقبل آمن"، قال أبوها. "على الأقل فكِّري بالأمر يا عزيزتي".

"لقد بَنَى هذا المنزل"، أخبَرت إنغيبورغ كونراد. "زوجي. مات منذ عدة سنوات، وكان تاجر جملة".

"إنه منزل جميل"، قال كونراد لمجرد أن يقول شيئاً.

"نعم، كبير جداً لثلاثتنا، فقد رُزقتُ وزوجي بطفل وحيد، وإبني يعتني بي جيداً هنا، لذا لا يمكنني أن أشكو حقاً، فلا شيء ينقصني، ولم ينقصني أبداً أي أمر من الأمور التي يُفترَض أنها مهمة في الحياة".

شَعَر كونراد ببعض المرارة كما لو أن لكلماتها معنى أعمق ومختلفاً جداً، وتساءل كم كانت حياتها سعيدة حقاً منذ ذلك اليوم المصيري عندما عثَرت على الجثة صُدفةً.

"لم تكوني لوحدك؟"، قال. "عندما عثَرت على الفتاة؟".

للمرة الأولى لم تُجب إنغيبورغ.

"من الواضح أن الحديث عن ذلك مؤلمٌ بعد كل هذا الوقت"، أضاف كونراد بعد صمتٍ.

"كنتُ... لا، ليس لطيفاً جداً الاضطرار إلى التحدّث عنه".

ساد صمتٌ امتنَع كونراد عن كسره.

"كان جندياً"، قالت إنغيبورغ فجأة.

"مَن؟".

"أنت محقّ فلم أكن لوحدي عندما عثَرتُ عليها. قال إن إسمه فرانك كارّول لكن ذلك كان كذباً، مثل كل شيء آخر أخبَرني إياه. إسمه الحقيقي هو فرانك رادي - الجندي الأميركي الذي بقيتُ حميمةً معه لبعض الوقت - ولم يكن شخصاً جديراً بالإعجاب كثيراً بل نذلاً حقيقياً، فقد كذَب عليَّ، وليس بشأن إسمه فقط. تبيَّن أن لديه زوجة وأولاد في أميركا، وحتى كان يخونني مع فتاة أخرى هنا في ريكيافيك".

خرجت الكلمات منها بشكل متقطّع، وحتى بازدراء، وشَعَر كونراد مرة أخرى بمرارة ممزوجة بغضب قديم.

"شخصٌ غدّارٌ تماماً"، تابَعت إنغيبورغ. "شرطيان لطيفان هما اللذان أخبراني عن نوع الأشخاص الذي كان عليه، وكانا يعرفان أنه خدعني...". سكتت قليلاً، ثم تابَعت بنبرة اعتذارية: "لم أكن سأُخبِرك أياً من هذا عندما اتصلتَ بي وقلتَ إنك تريد نبش هذه القصة بأكملها. لم أكن سأتكلّم عنها أبداً".

"لا تقلقي"، قال كونراد. "يمكنك قول قدر ما تشائين. الأمر متروك لك".

"شعرتُ... شعرتُ بانزعاج كبير عندما علِمتُ الحقيقة عن فرانك، عن نوع الأشخاص الذي كان عليه، وقد زارني المحقق فلوڤنت خصيصاً ليُخبرني كل شيء. اعذرني رجاءً لكنني... لا أشعر بالارتياح بإعادة استحضار كل هذا. ربما من الأفضل لو ترحل الآن فلا أعتقد أنه يمكنني مساعدتك أكثر من ذلك".

"حسناً"، قال كونراد. "بالطبع. لم أقصد إزعاجك".

نهضت إنغيبورغ ببعض الصعوبة لترافقه إلى الخارج.

"ماذا يمكنك أن تُخبِريني عن فلوڤنت؟"، سأل كونراد وهو ينهض أيضاً. لقد تذكَّر الإسم من إحدى قصاصات ستيفان الصحفية. "هل كان المسؤول عن التحقيق؟".

"نعم، قاد التحقيق في موت الفتاة، وقد عاونه شرطي آخر يدعى ثورسون ممثلاً الجيش. شابّ فاتن ولطيف جداً".

"ثورسون؟".

"نعم".

"هل قلتِ ثورسون؟"، علَّق كونراد دون أن يستطيع إخفاء دهشته.

"نعم. ثورسون".

"كان يحقِّق في موت الفتاة أيضاً؟".

"نعم. كانا اثنين، فلوڤنت وثورسون".

"هل لديك أي فكرة ما الذي حلّ به؟".

"لا. كان من كندا، وأتوقع أنه عاد إلى هناك بعد الحرب".

"كان شرطياً هنا؟".

"نعم، في الشرطة العسكرية".

"وحقَّق في موت روزاموندا؟".

"نعم".

احتاج كونراد إلى بعض الوقت ليستوعب ما أخبَرته إياه إنغيبورغ. فَقَدت صبرها أخيراً وسألته، "لماذا أنت مندهش إلى هذا الحدّ؟".

"تقصدين أنك لا تعرفين؟".

"أعرف ماذا؟".

"ثورسون مات منذ أسبوعين، فهو المتقاعد الذي عُثر عليه مقتولاً في شقته، وقد اعتمد إسم ستيفان ثوردارسون لاحقاً في حياته. إنه الرجل الذي احتفظ بالقصاصات عن الفتاة وبدأ يسأل أسئلة عنها مؤخراً، بعد كل هذا الوقت".

أصبح دور إنغيبورغ الآن أن تُصاب بالدهشة. "ذاك الرجل كان ثورسون؟".

"نعم".

"مَن يمكن أن يرغب بإيذائه؟".

"لا نعرف، واعتقَدتُ أنك قد تكونين قادرةً على مساعدتنا في الإجابة على ذلك".

عادت العجوزة وغرِقت على كرسيها.

"هل يمكنك أن تُخبِريني أي شيء عنه؟"، سأل كونراد وهو يحذو حذوها ويعاد الجلوس مرة أخرى.

"لا يجب أن... إبني... بالكاد يمكنني إخبار شخص غريب تماماً مثلك".

"لا داعي لأن تذهب الأمور أبعد من ذلك".

"لا، من الأفضل على الأرجح لو ترحل الآن، فقد اكتفيتُ. أنا مُتعَبة. هلاّ رحلتَ رجاءً؟".

"حسناً"، لكن كونراد لم يُظهِر أي دلالة بالتحرّك، واستطاع أن يرى أن العجوزة منزعجة، وشَعَر أنها لم تُنهِ ما لديها رغم ما قالته.

"إنه... إنه أحد تلك الأمور التي تحصل، ثم تجد نفسك بمواجهته لوحدك، وعاجزاً"، قالت. "ولا يبارح فكرك أبداً رغم مرور سنوات عديدة، ويبقى معك إلى الأبد".

"ربما تودّين معرفة كيف مات ثورسون"، قال كونراد. "لقد خُنِق في منزله وعلى سريره، حيث ضُغطَت وسادته على وجهه و-"

"إعفني من التفاصيل رجاءً".

"أخبِريني شيئاً: هل سمِعتِ يوماً عن فتاة أخرى لقيت نفس مصير روزاموندا أو مصيراً مشابهاً لها؟".

"فتاة أخرى؟".

"هناك احتمال أن ثورسون كان يطرح أسئلة عنها قبل وفاته. فتاة أخرى من تلك الأيام. فتاة اختفت. أظن أنهم لم يعثروا على بقاياها أبداً".

"ويُفترَض أنها لقيت نفس المصير؟".

"نعم، هل يبدو لكِ هذا مألوفاً؟".

"لا"، قالت إنغيبورغ بتأمل. "أخبَرني ثورسون أن الفتاة من المسرح ذكرت شعب الهولدو، لكن لا يمكنني أن أتذكَّر ما الذي قالته بالضبط".

"حقاً؟ شعب الهولدو؟".

"نعم، تماماً مثل المرأة التي ذهَبتُ لرؤيتها. عذراً، لكنني لم أعرف إن كان عليَّ أخذ كلامها على محمل الجدّ أم لا..."

"ماذا؟".

تنهَّدت إنغيبورغ تنهّد استسلام. "إذا أخبرتُك فذلك كرمى لثورسون فحسب، في حال ساعدك ذلك في اكتشاف حقيقة وفاته، فقد كان لطيفاً جداً معي". صمَتت، ثم أضافت، "ربما عليَّ أن... لم أُخبر أي شخص آخر أبداً".

"ماذا؟".

"أخبَرتُ ثورسون عنها وعما فعلته، وأعرف أنه زارها مع فلوفنت. وقد أصبح ثورسون مقتنعاً أن روزاموندا ذهَبت إليها للسبب نفسه. إلى المرأة على التلة. إنها تجربة لن... لن أنساها أبداً ما دمتُ حيّة..."

telegram @soramnqraa

ذات يوم بارد من فبراير، وبعد وقت قصير على تعرّف إنغيبورغ على فرانك في مقر الشرطة العسكرية، ارتدت أفضل معطف لديها وقبعةً جذّابةً، وذهَبت إلى الرقم 11 فريكركيوفيغور حيث طلبت التحدّث مع فلوڤنت. هذه أول مرة تدخل فيها المبنى الكبير الذي يضم قسم التحقيق الجنائي لريكيافيك، وقد استقبلتها سكرتيرة في مكتب الاستقبال وطلبت منها أن تنتظر.

بعدها بوقت قصير، ظَهَر فلوڤنت وقاد إنغيبورغ إلى مكتبه.

"لم أعرف إلى مَن ألجأ غيرك"، قالت إنغيبورغ حالما جلست أمام مكتبه، وراحت تتأمل محيطها باهتمام. المكتب ليس كبيراً، وتطلّ إحدى نوافذه على الحديقة الخلفية التي يغمرها الغسق حيث تواجدت الإسطبلات سابقاً، والمصدر الوحيد للإنارة في الغرفة هو مصباح مكتبي يلقي ضوءاً على أوراق فلوڤنت، وبطاقة عليها بصمات أصابع، وبعض الصور لجثة روزاموندا في مسرح الجريمة.

لا يزال فرانك معتقَلاً لدى الشرطة العسكرية الأميركية، ولم تلتقي إنغيبورغ حبيبها السابق منذ احتجازه، وقد أخبَرها فلوڤنت أنه سيبقى قيد التوقيف إلى أن يتحقَّقوا من روايته.

"كيف يمكنني أن أخدمك؟"، سأل الآن.

"هل تعرف ماذا سيحدث لفرانك؟".

"لا يمكنني الجزم بذلك. إذا تبيَّن أنه لم يلعب أي دور في موت روزاموندا، ولم يجدوا أي سبب آخر لبقائه قيد التوقيف، سيُطلقون سراحه".

"وسيُسمَح له أن يبقى في الجيش؟".

"أتوقع ذلك".

"هنا في ريكيافيك؟".

"لا يمكنني أن أجزم حقاً. قد يكون غشّاشاً وكذّاباً، لكن أخشى أن هذه ليست جريمة جنائية. يجري الحديث عن نقل جنودٍ إلى بريطانيا بسبب غزو

وشيك على القارة، وهناك احتمال كبير أن يُرسَل إلى هناك مع فوجه".

"أحتاج إلى التكلّم معه"، قالت إنغيبورغ. "أخشى أنه لا يمكن تجنّب ذلك".

علت الدهشة وجه فلوفنت. "ظننتُ أنكِ تريدين قطع كل علاقة لكِ به".

"صحيح، ولا أريد رؤيته مرة أخرى أبداً، لكن *عليَّ* أن أتكلّم معه، واعتقَدتُ أنك قد تتمكّن من ترتيب الأمر، إذا كانوا سيبقونه في السجن لبعض الوقت".

"حسناً، يمكنني أن أتحدَّث مع ثورسون. هل لي أن أسأل ما الذي تريدين مناقشته مع فرانك؟".

"إنه... إنه أمر خاص".

"لا شيء إذاً له أي تأثير على القضية التي قيد التحقيق؟".

"لا، على الإطلاق. إنه... إنه أمر شخصي".

لم تتجرّأ إنغيبورغ على النظر إلى عينَي فلوفنت، بل أخفَضت نظرها إلى صور الفتاة التي على المكتب، فهي لم ترغب أن تُخبره عن سبب حاجتها الماسّة إلى التحدّث مع فرانك رادي رغم أن مجرد فكرة رؤيته تُشعرها بالغثيان. لقد أصبحت تشعر مؤخراً ببعض التوعّك كل صباح: غثيان وضعف وكسل، وبدأت تشتبه بالسبب. المسألة لا تقتصر على خذلانها على يد جندي أميركي حطَّ من قدره إلى درجة أنه اتّخذ لنفسه إسم نجم سينمائي لكي يخدعها، رغم أن ذلك استنزف طاقتها حقاً وجَعَلها تشعر باكتئاب شديد، بل هناك عوارض جسدية لا يمكن إنكارها، وقد بدأت سابقاً وهي تزيد قلقها منذ أسابيع. تمنّت لو يمكنها أن تصارح أمها، لكن هذا غير وارد أبداً في هذه الظروف، فقد عانى والداها ما فيه الكفاية، وكانت تنوي مشاركة مخاوفها مع فرانك في تلك الليلة الفظيعة خلف المسرح، لكن القدر تدخّل. الآن، ورغم كل الذي حصل، شَعَرت أن عليه أن يعرف.

رتَّب فلوفنت لقاءً مع إنغيبورغ قبل يومين ليُطلعها على أحدث ما اكتشفته الشرطة عن فرانك. لم يكن بحاجة إلى أن يزعج نفسه بذلك، لكنها شعرت أنه ميّال جداً نحوها، وأوشكت على مشاركته همومها، فقد بَذَل جهداً خاصاً ليكون لبقاً ومتفهِّماً ومتعاطفاً معها، وعرَفت أنه أراد تخفيف حدّة الصدمة التي تلقتها جرّاء سلوك فرانك. وعندما افترقا، أخبَرها فلوفنت أنه يمكنها القدوم إليه بشأن أي شيء، إذا شعرت أنه بمقدوره أن يساعدها.

"حسناً"، قال الآن. "سأتحدَّث مع ثورسون وأرى ماذا يقول".

بعد ساعتين، استقبلها ثورسون بنفسه في المعسكر، ورافَقها إلى السجن العسكري، وبدا مُحتاراً تماماً مثل فلوفنت عن سبب رغبتها برؤية فرانك، فكل ما أخبَره إياه فلوفنت عبر الهاتف هو أنه سبب شخصي وغير مرتبط بالتحقيق. لم يستفسر ثورسون عن ذلك، وسأل إنغيبورغ إن كانت تريد أن توضِّح له، لكنها أكَّدت له فوراً أنه ليس هناك داعٍ لذلك.

قادها ثورسون إلى غرفة صغيرة وطلب منها أن تنتظر. يقع السجن في كوخ مصنوع مسبقاً في معسكر لوغارنس، وهو أحد أكبر المعسكرات في البلاد، ولا يضم ثكنات فقط بل مكاتب أيضاً، وقاعة طعام، ومتجراً، وعيادة، ومقر الشرطة العسكرية. لقد نشأ عدد من المعسكرات المماثلة ضمن حدود المدينة، وكل واحد منها أشبه بقرية أكواخ كُوانسيت في قطعة أرض جرداء، هنا في أقاصي الأرض.

أُقتيد فرانك إلى الغرفة، وبدا مندهشاً عندما اكتشف هوية زائره.

"أنتِ؟"، قال بالإنكليزية بنبرةٍ أوحت كما لو أنه لم يتوقع أبداً رؤية إنغيبورغ مرة أخرى.

أُغلق الباب خلفه وجلس.

"اسمعي، لم أقصد أبداً أن أكذب عليكِ. كانت مجرد... أنا فقط..."

"لا يهمّ"، قالت إنغيبورغ بإنكليزيتها الركيكة، فهي لم تعد تريد سماع المزيد من كذباته، بل احتاجت إلى قول ما جاءت لكي تقوله، لأنها شَعَرت أن لديه الحق بأن يعرف، وطريقة تصرّفها بعد ذلك تعتمد على جوابه. بقيت تفكِّر خلال ليالي الأرق الطويلة بعدم إخباره أبداً، لكنها لم تشعر أنه من العدل فعل ذلك.

"معي... طفل"، قالت ووضعت يدها على بطنها لكي لا يكون هناك أي احتمال بسوء فهم ما قالته.

لم يُدِ فرانك أي ردّة فعل.

"... طفلك"، أضافت.

"ماذا؟".

"طفلك أنت".

راح فرانك يحدِّق بها وقال، *"مستحيل. تباً لا"*.

"نعم".

"آه، لا. لا، أنتِ..."

"ماذا تقصد؟"، بدت مُحتارة.

"تأتين إليَّ بهذا الهُراء... ليس طفلي. هذه كذبة. كذبة لعينة".

"إنه طفلك"، قالت إنغيبورغ بالآيسلندية، وهي تربِّت على بطنها للتشديد.

"هذه كذبة"، كرَّر فرانك بغضب.

"لا".

"لن أفعل هذا. هذه ليست مشكلتي". وَثَب فرانك عن كرسيه وخَبَط على الباب، ففتحه الحارس وأخرجه. ظَهَر ثورسون خلفهما ودخل الغرفة بينما أُقتيد فرانك بعيداً.

"هل كل شيء على ما يرام؟"، سأل.

"نعم، عليَّ أن أذهب". نهضت إنغيبورغ.

"ماذا قال لكِ؟".

"لا شيء. كل شيء على ما يرام".

لقد خشيت ردّة فعل فرانك، وقد تأكَّدت شكوكها الآن. لا يمكنها أن تتوقع أي مساعدة منه، وقد شَعَر جزء منها بالارتياح. عندما ضاجَعها، وعَدها أن يكون حذراً، وقد وجَدت الأمر مؤلماً في المرتين.

"دعيني أوصلك إلى المنزل"، قال ثورسون. "هناك سيارة تحت تصرّفي".

"لا، شكراً، يمكنني أن أسير. شكراً لسماحك لي برؤيته. لن أحتاج إلى زيارته مرة أخرى".

كانت تحبس دموعها، وأمسك ثورسون يدها في محاولةٍ منه ليواسيها.

"لستِ أول فتاة يخدعها جندي، وكان حظك سيئاً. فرانك كذّاب تافه، ولحسن الحظ أنهم ليسوا كلهم مثله".

"لا".

"لماذا أنتِ منزعجة إلى هذا الحدّ؟".

"لا أعرف ماذا أفعل. لقد..."

"لماذا أردتِ رؤية ذلك الغبي؟ ظننتُ أنه آخر شخص ستريدين رؤيته".

"احتجتُ إلى التكلّم معه..."

"لماذا؟ عن التحقيق؟".

هزَّت إنغيبورغ رأسها. "عن شيء آخر".

"ما هو؟ لماذا أنتِ حزينة إلى هذا الحدّ؟".

"لا يمكنني القول. عليَّ أن أعود إلى المنزل".

"ألا يمكنك... هل أنت...؟".

راحت إنغيبورغ تُجهش بالبكاء.

"هل أنتِ حامل بولدٍ منه؟".

أومأت برأسها. "أظن... أظن ذلك... أعرف أنني..."

لم تتقصَّد أن تقول شيئاً، بل أرادت أن تعود إلى المنزل مع سرها وتحبس نفسها في غرفتها. ليست لديها أي فكرة ماذا ستفعل، ولا يوجد أحد لينصحها، وعليها أن تُخبر أمها في النهاية، لكنها خائفة من ذلك، رغم أن هذا لا يُقارَن بالعاصفة التي ستندلع بوجهها عندما يعلم أبوها أنها حامل وأن الوالد جنديٌ أميركيٌ. رَفَعت عينيها إلى ثورسون، فقد أفشت سرها عن غير قصد، لكنها شَعَرت بارتياح كبير بعد أن أفصَحت عما في نفسها.

"هل فحصك طبيبٌ؟".

"لا، لا أحتاج إلى ذلك. أعرف فحسب".

"هل يعلم والدكِ؟".

"لا".

"عليكِ إخبارهما".

"لا أجرؤ. لا أعرف ماذا أفعل".

"عليكِ زيارة طبيب على الأقل"، قال ثورسون. "لكي تتأكدي. ثم عليكِ أن تتكلَّمي مع شخص تثقين به. أظن أن فرانك لم يتقبَّل الخبر جيداً؟".

"اعتقَدَ أنني أكذب بأنه طفله، لكنني لا أكذب. إنه الرجل الوحيد الذي... الرجل الوحيد في الصورة".

"أتوقع أنكِ فكَّرتِ من قبل بكل الخيارات المتاحة أمامك".

"لن أتخلَّص منه"، قالت إنغيبورغ. "لن أفعل ذلك".

22

بينما راح كونراد يستمع إلى إنغيبورغ تصف لقاءها مع ثورسون، تساءل إن سيجرؤ ويسألها إن تمسَّكت بموقفها أم لا، لكنه لا يعرفها أبداً، وأدرك أنه سيستاء شخصياً من هذا النوع من التطفّل.

"عاملك ثورسون بطريقة جيدة"، قال بدلاً من ذلك.

"كان رجلاً لطيفاً"، قالت إنغيبورغ. "رجلاً طيباً بحقّ".

"لقد استقرّ في هذه البلاد، مثلما قلتُ. هل تواصلتِ معه بعد الحرب؟".

"لا، أبداً، فقد تركتُ البلدة، ولم أصادفه مرة أخرى بعد عودتي، وقد افترَضتُ أنه عاد إلى كندا".

"فهِمتُ في الواقع أنه عاش في هڤيراغردي لعدة سنوات قبل أن ينتقل إلى ريكيافيك منذ حوالي خمس وعشرين سنة".

"هل أسَّس عائلة؟ هل لديه أولاد؟".

"لا، لا أعتقد".

"وماذا بشأن فلوڤنت؟".

"ليست لديَّ أي معلومات عنه"، قال كونراد. "وكل ما أعرفه هو أنه كان أحد روّاد جنائية ريكيافيك، وإسمه يبرز على نحو غير متوقّع في حسابات تاريخ القسم. لم ألتقِ به شخصياً أبداً، فزمنه يسبق زمني".

"كنتُ حاملاً وليست لديَّ أي فكرة إلى مَن ألجأ، وقد سمِعتُ بعض الفتيات اللواتي أعرفهن يتكلّمن عن أشخاص يمكنهم المساعدة، ثم تلقيتُ رسالة من فرانك أظهرت لي صنف الرجال الذي هو عليه حيث جاءني أحد أصدقائه وأخبَرني عن امرأة يمكنني زيارتها. كان فرانك يعرف ما الذي يريده، وأقسَمَ أن لا علاقة له بالطفل أبداً، لكن رغم ذلك وجَّهني إلى امرأة يمكنني التكلّم معها إذا أردتُ أن أسلك ذلك الطريق. لا أدري كيف عرَف عنها، وأملَتُ فقط ألا يكون ذلك من الخبرة".

"وهل زرتها؟"، سأل كونراد بتردّد.
"نعم"، رَدَّت إنغيبورغ بعد صمت قصير.
"إذاً فقد غيّرت رأيك؟".
"لم أستطع رؤية أي حل آخر. ولم يكن لديَّ وقت طويل إذا كنتُ س ..."
"لكنك أردتِ الاحتفاظ بالطفل؟".
نظَرَت إليه إنغيبورغ باستياء.
"سامحيني، لم أقصد..."
"ما رأيك؟"، قالت غاضبةً.

المرأة التي أرسَلها إليها فرانك تعيش في مزرعة أسمنتية منخفضة بين التلال الصغيرة شرق نهر إليثاور خارج حدود المدينة. المسافة بعيدة عن منزلها، واحتاجت إلى وقت طويل لتصل إلى هناك. لم تُخبر والديها أو أي واحدة من صديقاتها أو نسيباتها عن مُعضلتها وخوفها ورعبها وإرباكها، فقد شَعَرت بخجل كبير مما حصل لها لدرجة أنها لم تستطع أن تتحمَّل فكرة أن يعرف الناس، خاصة بعد الطريقة التي تصرَّف بها فرانك، حيث كذَب عليها وجعلها تبدو مغفَّلة.

عندما وَصَلت إلى الجسر الذي يعلو النهر، جلَست قليلاً على صخرة لتلتقط أنفاسها وهي تشعر بمرارة في نفسها. كيف يعرف عن المرأة التي تقطن على التلة؟ هل أرسَل فتاة أخرى إلى هناك من قبل؟ هل يعرفها الجنود للأسباب الجليّة؟ هل ستتبع نصيحته حقاً؟ نصيحة من فرانك، من بين كل الناس! هل يمكنها أن تنحطّ إلى هذا القدر الوضيع حقاً؟".

نهضت وأجبرت نفسها على مواصلة الطريق، وممانعتها تزداد مع كل خطوة وهي تكافح لاجتياز المدى الأخير إلى المزرعة. بدا لها المبنى الأسمنتي مهمَلاً، وقد شكّلت قشور الطلاء هنا وهناك شاهداً على حقيقة أنه كان أبيض اللون ذات يوم. بجوار المنزل، وتحيطها زريبة دجاج، هناك حظيرة بقر متداعية غير مستخدَمة سقفها مكسو بالعشب، والدجاجات تدخلها وتخرج منها تحت العين الساهرة لديكٍ صغيرٍ يقظٍ. توقف ولدان عن اللعب على السقف العشبي، وراحا يحدِّقان بإنغيبورغ بصمتٍ. الطقس معتدل وخالٍ من الرياح، والمنظر جميل شمالاً إلى طيف

جبل إسجا المُغطى بالثلوج.

قَرَعت إنغيبورغ على الباب وهي تتجنَّب تحديقات الولدين، وفتحته قليلاً امرأةٌ في أربعيناتها.

"طاب مساؤك"، بدأت إنغيبورغ.

"ماذا تريدين؟"، سألت المرأة.

"قيل لي إنه عليَّ أن أتكلَّم معك يا سيدتي".

"'سيدتي؟'، آه، يا لعلية القوم! أنا لا أنادي أحداً 'سيدتي'، ولا يجب أن تفعلي ذلك أنتِ أيضاً".

"لا، آسفة... أنا... لا أعرف كيف أشرح لكِ... قيل لي إنه يمكنك مساعدة النساء اللواتي... في وضعي".

راحت المرأة تتأملها عبر الباب نصف المفتوح.

"تحامقتِ وتركتِ نفسك تحبلين، أليس كذلك؟".

سألت السؤال بفظاظة لكن دون أي أثر لاتهامٍ أو استهجانٍ، ووجدت إنغيبورغ نفسها تومئ برأسها لا شعورياً، وتعترف لهذه المرأة المجهولة وقوعها في الخطيئة والجريمة التي أتت إلى هنا لكي ترتكبها.

"كيف وجدتني؟"، سألت المرأة.

"دلّني عليكِ أحدهم".

"نعم، توقعتُ ذلك. مَن الذي أخبَرك عني؟ والداك؟ بالكاد يُعقَل أن يكون طبيباً. صديقك النبيل، ربما؟".

أومأت إنغيبورغ برأسها.

"جندي، أليس كذلك؟".

"نعم"، همَست.

"تفضَّلي بالدخول"، قالت المرأة وفتحت الباب أكثر. "دعينا نلقي نظرة عليكِ".

قادت المرأة إنغيبورغ إلى مطبخها، وسألتها إن كانت تريد أن تشرب أي شيء، فهزَّت إنغيبورغ رأسها. المطبخ بدائي وضيق جداً، وفي إحدى جهاته خزانةٌ صغيرةٌ لحفظ اللحوم. كانت المرأة تشطف بيضاً في المغسلة وتضعها في علب.

"كم مرَّ من زمنٍ؟"، سألتها المرأة القصيرة التي عقدت شعرها على شكل كعكة. أكثر ما لفَت انتباه إنغيبورغ هو يداها الكبيرتان بشكل غير عادي، وقد فتَل التهاب المفاصل خنصرَيها وبنصرَيها نحو راحتَي يديها، مما جعلهما عديمَي الجدوى تقريباً، وبدت الأظافر الطويلة القذرة أشبه بمخالب. تفادت إنغيبورغ النظر إلى عينيها.

"لا أعرف بشكل دقيق".

"هل تظنين أكثر من اثني عشر أسبوعاً؟".

"لا، ليس هذه المدة الطويلة، بل أشبه بثمانية أو تسعة أسابيع".

"حسناً"، قالت المرأة وهي تستدير نحوها وتجفِّف يديها. "لا بأس إذاً".

لم تتحرَّك إنغيبورغ.

"لا داعي لأن ترتعبي"، قالت المرأة. "إنها عملية بسيطة جداً، وأنا أعرف ما الذي أفعله".

وجَدت إنغيبورغ نفسها تحدِّق بأصابع المرأة مرة أخرى وتتمنّى لو أنها لم تدخل هذا المنزل أبداً.

"لم... لم أعرف كم تتقاضين لقاء... كم يجب أن أُحضِر من مال".

"هل يبدو لكِ أنني أفعل هذا للمال؟"، سألت المرأة وهي تلقي نظرة سريعة على مطبخها المتواضع.

"لا. لا أعرف".

تأملتها المرأة لبعض الوقت. "ربما تحتاجين إلى مزيد من الوقت لتفكّري".

أومأت إنغيبورغ برأسها. "أعتقد أنني أرتكب خطأً".

"الأمر متروك لك. لا يجب أن تكوني هنا إلا إذا كنتِ متأكدة أن هذا هو ما تريدين فعله، ولا يمكنك السماح لأي شكوك بأن تراودك. لقد جاءتني فتاةٌ خائفةٌ جداً مثلك منذ فترة، وقدَّمت أغرب عذر لحالتها، رغم أنني سمِعتُ ما هو أسوأ".

"عذر؟".

"ادّعت أنها خيّاطة محترَمة، وأنها لم تعرف أي جندي. بالكاد استعادت اتزانها العقلي بعد أن انتهيت منها، وبقيت تهذي عن وغدٍ فرَض نفسه عليها؛ على ما يبدو أنه قال شيئاً غريباً عن شعب الهولدو".

كافَحت إنغيبورغ لتمنع نظراتها من العودة إلى تلك اليدين بأصابعهما المفتولة.

"يجب أن تعودي إلى منزلك"، قالت المرأة واستأنفت غسل البيض. "عودي إلى منزلك وفكّري بالأمر، وإذا أردتِ يمكنك العودة وسنرى ماذا يمكنني أن أفعل لك. لا يزال لديكِ بعض الوقت".

صمَتت إنغيبورغ، ولم يتكلَّم أحدهما لبعض الوقت بينما شردت في ذكرياتها عن تلك المزرعة الأسمنتية التي على التلة والمرأة ذات الأصابع المفتولة.

"وهل عدتِ؟"، سأل كونراد مغامِراً أخيراً ليكسر الصمت.

"لا، ولم أر تلك المرأة مرة أخرى أبداً. عرَف والداي بعدما بدأت أعراض الحمل تظهر عليَّ، واضطررتُ أن أعترف لهما أنني أذنَبتُ مع فرانك، فنفياني إلى الريف. أنجبتُ الطفل، لكنه أُرسِل للتبنّي. لا أعرف أين، فلم أسأل أبداً".

"لا شكّ أنه كان لديك رأي في المسألة؟".

"وافَقتُ على تركهما يقرّران. تركتهما يعاملاني بقسوة بدلاً من أن أفعل ما أردتُه، لكن أسوأ جزء هو أنني لم أعرف ما الذي أردتُه. لم أستطع أن أقرّر، وبدا لي أنه من الأسهل أن أترك القرار لهما، على أمل أن يتلاشى كل شيء مع الوقت. ربما كان ذلك أسوأ حتى من الخضوع لعملية إجهاض. لا أدري. لقد حاوَلتُ عدم التفكير بالمسألة. باختصار، أبي أصَرَّ، وقد أطعتُه. لم يكن لديَّ خيار آخر، لكن على الأقل أن المرأة في المزرعة كانت صادقة. وقد تضمَّن البديل أن أعيش كذبةً بقية حياتي، فزوجي لم يعرف أبداً، وإبني لا يزال لا يعرف. آمل أن أتمكن من الوثوق بك من أنك ستحتفظ بالسر لنفسك؟".

"هذا غني عن القول"، قال كونراد. "لكن قصتك بالكاد فريدة من نوعها".

"لا، بالطبع لم أكن الوحيدة".

"هل رأيتِ فرانك مرة أخرى؟".

"لا. أبداً".

"ماذا قصدت تلك المرأة عن شعب الهولدو؟".

"ليست لديَّ أي فكرة، لكن صدف أن ثورسون ذكر لي أن روزاموندا عمِلت خيّاطةً وأنها صنعت فساتين جميلة، لذا استنتَجتُ من الوقائع، وفكَّرتُ أنه من

الأفضل أن أُبلغه، لذا اتصلتُ به، وتبيَّن لي أن الشرطة تُدرك من قبل أنها أجرت عملية إجهاض، لكنهم لم يعرفوا مَن الذي أجراها لها".

"هل كانت نفس المرأة؟".

"أظن ذلك"، قالت إنغيبورغ. "لكنني لم أسمع أي شيء آخر عن المسألة أبداً".

23

لم يجد جِيب الجيش صعوبة في اجتياز المسار الوعر الذي يؤدّي إلى المزرعة الأسمنتية بين التلال الصغيرة شرق نهر إليشاور، ولاحَظ فلوفنت أن وجهين فضوليين يراقبان صعودهما المرتجّ على المنحدر من نافذةٍ، وقد اختفيا لحظة خروج الرجلين من السيارة.

في الطريق إلى هناك، روى تفاصيل زيارته إلى ڤيغا، وقد دُهش ثورسون عند سماعه عن وجود فتاة أخرى اغتُصبَت أيضاً في جزءٍ بعيدٍ من البلاد، وأنها ذكرت الأشخاص المختبئين مثل روزاموندا.

"هل هذا ممكن حتى؟"، كانت ردّة فعل ثورسون الأولى.

"على ما يبدو".

"هناك حالتان؟ حالتان مرتبطتان في جزءين مختلفين من البلاد؟".

"ممكن تخيُّل ذلك"، قال فلوفنت. "من الصعب تجنُّب استنتاج أنه يمكن لنفس الرجل أن يعتدي على الفتاتين".

"الرابط هو الإشارة إلى الأقزام؟".

"نعم. لقد علِمت روزاموندا من ڤيغا أنها ليست بالضرورة ضحية الرجل الوحيدة، ومن الواضح أن المعتدي عليهما أرادهما أن تقدِّما نفس التفسير".

"إحداهما أخبرت أختها، بينما شعرت الأخرى أنها فكرة مجنونة كلياً؟".

"لكن لها نفس الخلاصة"، أشار فلوفنت. "كلاهما لم تبلِّغا عنه، وكلاهما رفضتا كشف مغتصِبهما، إما لأنهما يحميانه أو لأنهما خائفتان من كشف هويته".

"لماذا؟".

"لأسباب مختلفة، كانت الفتاة في الشمال متقبِّلة أكثر للكذبة، فهي تصدِّق وجود شعب الهولدو، وقد سمِعت حكايات عن أشخاص تعاملوا معهم. لا شكّ أن الحكايات الشعبية في الكتب كانت مألوفة لديها، وقد صدَّقت بعضها، وربما حتى كلها".

"ومع ذلك، لا يمكننا استبعاد عامل الصُدفة"، قال ثورسون.

"لا، بالطبع لا يمكننا استبعاد أي شيء"، أقرَّ فلوڤنت، "لكنني أجد الأمر غير محتمل للغاية، ونحن نعرف شيئاً لم نكن نعرفه من قبل".

"ما هو؟".

"أننا نبحث عن رجل آيسلندي، فلا يمكنني أن أتخيّل الجنود الأجانب هنا يعرفون أي شيء عن الأقزام".

فتحت المرأة الباب قبل أن يتسنّى لهما القرع عليه، وراحت تنظر إليهما من أعلى إلى أسفل.

"ومَن حضرة السيدين النبيلين؟".

"نحن من الشرطة"، قال فلوڤنت.

"الشرطة؟ هذا ما كان ينقصني. ماذا تريدان مني؟".

"نريد أن نطرح عليك بعض الأسئلة عن فتاة أتت إليك طلباً للمساعدة"، قال فلوڤنت، ثم أضاف بلباقةٍ وهو متيقظ للولدين اللذين رآهما عند النافذة: "علِمنا أنك تقدّمين بعض الخدمات خلف أبواب مُغلقة".

"خدمات؟ ماذا تقصد؟ أبيع البيض أحياناً، وهذه ليست جريمة".

"نحن لا نتكلّم عن هذا"، قال فلوڤنت. "أظن أنك تفهمين قصدي. بالمناسبة، لسنا هنا من أجل ذلك، رغم أنه يمكنكِ توقع زيارة من زملائنا قريباً. ما يهمّنا هو شابة زارتك مؤخراً طلباً للمساعدة".

"شابة؟ هذه ليست معلومة كافية".

"تكلّمتما عن شعب الهولدو"، قال ثورسون.

"هل تتذكّرينها؟"، سأل فلوڤنت.

حدّقت به المرأة وقالت، "هل جاءت تبكي لكما وهي تخترع روايات؟".

"أخشى أنني لم أفهمك"، قال فلوڤنت.

"تلك الأخرى جبُنَت. هي التي بلّغت عني، أليس كذلك؟ سيدة صغيرة متكبِّرة. هشّة مثل دمية صينية. صح؟". خطت المرأة فوق العتبة، وأغلقت الباب خلفها بعناية. "لستُ خجِلةً أبداً مما أفعله"، تابعت تقول. "أنتم الرجال اللعينون غير مضطرين أن تقلقوا بشأن أي شيء، وترمونه كله على كاهل النساء، لذا ما

الضرر إن ساعدتُ تلك المسكينات؟ لعِلمكما أنا لا أؤذي أحداً. أنا –"

"مثلما قال زميلي، لسنا مهتمّين بهذا الجانب من الأمور"، قاطعها ثورسون ملاحظاً الأصابع المعقوفة كالمخالب نحو راحتَي يديها مثلما وصفَت إنغيبورغ. "سيكون عليك أن تشرحي لشخص آخر أي نوع من الجمعيات الخيرية تديرين هنا. ماذا يمكنك أن تُخبِرينا عن الفتاة الأولى؟ هل أعطتك إسمها؟".

"لا".

"أو هل أخبرتك ما الذي تفعله لتكسب لقمة عيشها؟".

"قالت إنها تعمل خيّاطة، عِلماً أنني لم أسألها".

"هل هذه هي؟"، سأل فلوڤنت وهو يُريها صورة روزاموندا.

فحصت المرأة الصورة وأجابت، "نعم، هذه هي".

"هل تعلمين أنه عُثر عليها مقتولةً خلف المسرح الوطني منذ بضعة أيام؟".

"مقتولة؟ لا، لم أسمع بهذا. حسناً، عرَفتُ أنه عُثر على شابةٍ... هل كانت هذه؟".

"هل أخبرتك مَن هو الأب؟"، سأل ثورسون.

"لا".

"هل تكوَّنت لديك أي فكرة عمن يمكن أن يكون؟".

"ماذا تقصد بـ 'تكوَّنت'؟ لا أعرف ماذا يُفترَض أن يعني هذا".

"حسناً، ما إذا كان يمكن أن يكون جندياً، مثلاً"، قال ثورسون.

"لا، لا أعرف. هل الذي قتلها جنديٌ؟".

"نُدرك أن جنوداً أحالوا نساءً إليك"، قال فلوڤنت متجاهلاً سؤالها.

"لا أعرف أي شيء عن هذا".

"قلتِ إنها تمتمت عن الأشخاص المختبئين"، قال ثورسون. "ماذا قصدَت؟".

"بدت المسكينة يائسة عندما أتت إلى هنا، وبالكاد يمكن فهم كلمةٍ منها. كل ما أرادته هو التخلّص... هو أن أساعدها في مشكلتها، ورفضت أن تسمع أي شيء آخر. لم تستطع أبداً تحمُّل فكرة إنجاب الطفل".

"لما لا؟"، سأل فلوڤنت.

"ادّعت أنه لم يكن ذنبها..."

"ماذا تقصدين؟".

"اعتبرتُ أنها اغتُصبَت ولم تفعل ما فعلته طوعاً..."

"لكنها لم تقل أبداً مَن هو الرجل؟".

"لا، لكن بدا كما لو أنه أراد أن يلقي اللَوْم على شعب الهولدو أو شيء ما. لم تستطع التوقف عن البكاء والاعتذار، وهي تُقسِم أنه لم يكن ذنبها، وأنها ليست مسؤولة، ولم تستطع تحمُّل فكرة إنجاب الطفل، وقد انفطر قلبي حزناً على المسكينة. من الواضح أن شخصاً اعتدى عليها، لكن رجلاً هو الذي فعل ذلك. تجاهلا أي كلام عن الأقزام، ويمكنكما أن تكونا على ثقة تامة أنه بشريٌ تماماً".

أجرت البحرية الأميركية تحسينات كبرى على الطريق الممتد بين ريكيافيك وهڤالفيوردور عندما بدأت تخزِّن المزيد من المازوت على الساحل الشمالي للزقاق البحري. ومع استمرار الحرب، ازداد عدد السُفن الحربية وسُفن الشحن الراسية هناك، وامتدت القاعدة البحرية إلى ميناءَي ميدسندور وليتليسندور المجاورين، وانتشرت أكواخ للعمّال وخزّانات وقود ضخمة، إلى جانب مستودعات تزوِّد مؤناً لعمليات التصليح البحرية، وعمِل حشدٌ من الآيسلنديين في المنطقة، من بينهم اثنان من إخوة روزاموندا.

توجَّه فلوڤنت وثورسون إلى ڤالفيوردور مباشرة بعد زيارتهما المزرعة على التلة في ذلك اليوم الجميل والصافي لكن البارد من فبراير، وقادا بعناية لأن الطريق جليديٌ في بعض الأماكن ومن الصعب عبوره، عِلماً أن ثورسون كان قد أحضَر سلاسل في حال علقا في الرُكام الثلجي الذي يسدّ الطريق في أغلب الأحيان.

أثناء مرورهما بسواحل الزقاق البحري، أشار فلوڤنت إلى أماكن مثيرة للاهتمام، وتوقَفا ثلاث مرات لكي ينزل ثورسون من الجيب ويتفحَّص الجسور التي صادفتهما، وكلها عريضة كفاية لمركبة واحدة فقط وتتألف من دعامات أسمنتية مع طريق خشبي. راح الشابّ يتسلَّق الثلج بجهد في زيّه الرسمي، ويطرق الدعامات الأسمنتية، ويقفز على السطح الخشبي للطريق، ويدوِّن ملاحظات في مفكرة صغيرة، وقد لزِمَ فلوڤنت الصمت رغم أنه بدأ يُحبَط من تقدّمهما البطيء.

"فوق هذا المكان تماماً يوجد شلال غلايمور الأعلى في البلاد"، علَّق عندما

وَقَفا أمام الجسر الذي يعلو نهر بوتنسا في رأس الزقاق البحري. "عليك أن تصعد إلى هناك يوماً ما، فهي نزهة لطيفة وسهلة، والمسافة غير بعيدة جداً".

"لماذا لا يريد بعض الآيسلنديين الانفصال عن الدانمرك؟"، سأل ثورسون فجأة وهو يميل فوق الدرابزين. "ألم يحن الوقت لذلك؟".

"أعتقد أن الجميع يريدون الاستقلال حقاً"، قال فلوڤنت. "لكن البعض يشعر أن التوقيت غير ملائم، فالدانمركيون غير محصّنين لأنهم انشغلوا للغاية مع هتلر، لذا هناك مَن يعتبرون أن علينا تأجيل إعلاننا لأنهم لا يريدون إهانة الملك".

"هل لا يزال رأيه يهمّ الناس هنا؟".

"ليس بالنسبة لي"، قال فلوڤنت.

يُدرك ثورسون أن إعلان الجمهورية ذلك الصيف سيشكّل نهاية حوالي ستمئة سنة من الهيمنة الدانمركية، وقد أدّى النضال لنيل الاستقلال في القرن الماضي وبداية هذا القرن إلى إضعاف تأثير الدانمرك على آيسلندا، لكن يجب أن تنفصل الدولتان رسمياً قبل أن يمكن إتمام العملية. سيتم تأسيس جمهورية آيسلندا في موقع البرلمان القديم في ثينغفيلير في 17 يونيو، وهي الذكرى السنوية لولادة بطل الاستقلال يون سيغوردسون.

"ما زاد الطين بلّة"، قال فلوڤنت بعدما رَكِبا الجِيب مرة أخرى، "هو الكلام عن بقاء الجيش الأميركي بعد انتهاء الحرب".

"ألن يكون ذلك شيئاً جيداً؟"، سأل ثورسون. "ألا تحتاجون إلى حماية عسكرية؟ فليس لديكم جيش خاص بكم".

"ما نحتاج إليه هو الحياد"، قال فلوڤنت وقد عاودا الانطلاق مرة أخرى. "لا حاجة لنا إلى جيش".

"هل الحياد أمر عمليّ حقاً؟ أعني، هل تريدون أن تكونوا حياديين في هذه الحرب؟".

"بعض الآخرين نجحوا في ذلك".

"هل تقول إنكم تبدّلون الدانمركيين بالأميركيين فحسب؟".

"بصراحة، لا أدري. هذه أوقات غريبة".

توقفا عند نقطة تفتيش عندما وَصَلا إلى المنطقة العسكرية، لكن الجندي لوَّح

لهما بإكمال طريقهما عندما أخرج له ثورسون شارة الشرطة. يعمل أخوا روزاموندا في المستودع، وكان ثورسون قد اتصل هاتفياً مسبقاً ليطلب مساعدة الضابط المسؤول ويدعى العقيد سْتون، والذي تكلّم بدوره مع الرجل المسؤول عن المقاولين الآيسلنديين ليمرِّر الرسالة إلى رجاله. عندما وَصَل فلوڤنت وثورسون، وجدا الأخوين ينتظرانهما في مكتب المُشرِف، وهناك مدمِّرات بريطانية وأميركية راسية في الزقاق البحري، وناقلة نفط كبيرة تتزوَّد بالوقود لتنقله إلى الأسطول المنتشر في عرض البحر. هناك مجموعة كبيرة من أكواخ كُوانسيت، بأسطح خضراء منحنية ونافذة عند كل طرف، تملأ المنحدرات بدءاً من الساحل، وتضم مساكن ومكاتب ومخازن، بينما لاحت خزّانات النفط العملاقة فوقها كلها.

الأخوان في أوائل عشريناتهما، أحدهما ذو شعر داكن، والآخر ذو شعر أحمر، وكلاهما نحيلان، رغم أن أحدهما بدين أكثر بشكل ملحوظ. إسمه جاكوب، وبدا أكثر ثقة بنفسه من أخيه، وهو الذي تكلّم معهما، بينما أغل أصغر سناً بقليل ولم يتكلّم كثيراً، وبدا واضحاً أنه خجول ومنطوٍ على نفسه في حضرة أخيه. الاثنان يرتديان سروالين كاكيين، وحذاءين عسكريين أسودين، وسترتين صوفيتين مُحاكتين باليد، وكل ما قيل لهما هو أن الشرطة تريد التحدّث معهما عن أختهما.

"هل نحن رهن الاعتقال؟"، سأل جاكوب.

"لا"، قال فلوڤنت. "بالطبع لا. هل هذا ما قيل لكما؟".

"هذا ما سيفترضه الجميع"، قال جاكوب.

"نريد فقط بعض المعلومات منكما. هذا كل شيء".

"يجب أن نتكلّم مع كل واحد منهما على انفراد؟"، سأل ثورسون فلوڤنت.

"لماذا؟"، سأل جاكوب فوراً.

"يمكننا أن نبدأ بك"، قال فلوڤنت. "رجاءً، انتظر في الخارج يا أغل. شكراً".

نظَرَ أغل إلى أخيه، الذي أشار له بأن يفعل مثلما قيل له، ثم جلَسوا بعدما ترَك أغل الغرفة، وأخرج جاكوب رزمة سجائر أميركية وعرضها عليهما، فرفَضا، ثم أشعلَ سيجارةً بواسطة ولاّعة زيپو أميركية جديدة، وأغلقَ غطاءها بنقفةٍ صاخبةٍ.

"هل علاقة عائلتك في الشمال جيدة مع روزاموندا؟"، سأل فلوڤنت. "هل بقيتَ على اتصال بها وأنتَ تكبُر؟".

"ليس حقاً"، قال جاكوب وهو ينفث دخان سيجارته.

"لما لا؟"، سأل ثورسون.

"لقد أُعطيت للتبنّي، ولم نتكلّم عنها كثيراً. كما أُرسلتُ وأغل بعيداً لعدة سنوات أيضاً. كانت الحياة صعبة في المنزل".

"لكنها أختك".

"وإن يكن؟ لم نعرفها أبداً، وحتى إنني لا أتذكّرها، وكذلك أغل، لذا لا جدوى من سؤالنا عنها".

"ماذا برأيك حصل لروزاموندا؟"، سأل فلوفنت.

هزَّ جاكوب رأسه. "لا أدري. هناك أمور كثيرة تجري في ريكيافيك بوجود كل أولئك الجنود"، أضاف وهو ينظر بحدّة إلى ثورسون.

"هل تعتقد أنها كانت تخالط الجنود؟".

"ليست لديَّ أي فكرة، وأنا لم أعرفها".

"متى رأيتَ أختك لآخر مرة؟".

"سبق وأخبرتكما أنني لا أتذكّرها، وأغل مثلي أيضاً".

"فهِمنا أنها كانت تراسل أبيها – أبيك. هل كنت تُدرك ذلك؟".

"لقد راسلت العجوز"، قال جاكوب. "وقالت إنها تنوي زيارتنا، لكن ذلك لم يُسفِر عن شيء".

"هل تعرف لماذا تواصلت مع أبيها؟"، سأل ثورسون.

"لا".

"ربما أرادت التعرّف على عائلتها؟".

"ربما".

"ألم تشعر بأي اهتمام بمقابلتها؟".

فكّر جاكوب ثم هزَّ رأسه.

"هل تعرف إن كانت سعيدة مع والدَيها بالتبنّي؟".

"لا. ليست لديَّ أي فكرة".

"إن كانت تريد تركهما؟ إن كانت تريد أن تعود إلى المنزل لتكون مع أبيك؟ أهذا السبب راسلته؟".

"لم يذكر أبي أي شيء من هذا القبيل، وهي لم ترسل إلا رسالة واحدة فقط، وقد أخبَرها أنه مرحَّب بها في الشمال".

ثابَرا بأسئلتهما، لكن جاكوب بدا لا مبالياً بشكل ملحوظ لمصير أخته، ولم تفتهما فظاظته.

"ألا يهمّك أمرها أبداً؟"، سأل ثورسون.

"لم أعرفها".

"كانت أختك"، قال فلوفنت.

"الأرجح أنها عاشت حياةً أسهل منا بكثير، ولا يمكنني إيجاد سبب لرغبتها التواصل معنا".

"لتتعرّف عليكم؟ على عائلتها؟".

"حسناً، لم يُسفِر شيء عن ذلك".

"يبدو من المرجَّح أنها اغتُصبَت".

لم تتغيَّر تعابير جاكوب.

سأله فلوفنت إن كان في ريكيافيك ليلة العثور على جثة روزاموندا، فأجاب أنه وأخاه كانا هنا في هڤالفيوردور كالعادة، حيث عمِلا طوال اليوم، ثم لعِبا الطرنيب [أو حكم] مع بعض الأميركيين في كوخ يستخدمونه كمقصفٍ.

لم يكن أغل فظاً معهما مثل أخيه الأكبر جاكوب، وقد جلس على الكرسي مقابلهما، وشخرَ بصخب، ومسَح أنفه بكُمّ مئزره. سألاه نفس الأسئلة تقريباً التي طرحاها على أخيه، وقد دعمَ إفادة جاكوب بأنهما كانا في هڤالفيوردور عندما ماتت روزاموندا.

"متى رأيتَ أختك لآخر مرة؟"، سأل فلوفنت.

"لا أتذكَّر"، قال أغل. "كنتُ صغيراً جداً عندما تم تبنّيها".

"ألم يجرِ أي تواصل أبداً بين عائلتك وبين روزاموندا في ريكيافيك؟".

"لا".

"أبداً؟".

هزَّ أغل رأسه. "حسناً، لقد راسلت أبي".

"هل رأيتَ الرسالة؟".

"لا، هو الذي أخبَرنا".

"ماذا قالت في رسالتها؟".

"أنها أرادت اللقاء بنا أو شيء من هذا القبيل".

"هل كان أبوك على أي تواصل بالثنائي الذي تبنّى روزاموندا؟".

"لا. أبداً. لقد..."

"ماذا؟".

"لقد قيل لنا إن عدم حصول أي تواصل أفضل للجميع، فقد أصبحت إبنتهما، ونقطة على السطر. لطالما عرَفنا أن لدينا أختاً في ريكيافيك، وقد عرَفنا ما الذي حصل – كان لا بدّ من إرسالها بعيداً، فأبي لم يكن قادراً على الاعتناء بنا كلنا بعد وفاة أمي، كما أُرسلتُ وجاكوب إلى مزارع أخرى. لقد انقسمت العائلة، وهذا ليس شيئاً جديداً".

"لذا لم تفعلوا أي شيء لها؟".

شخرَ أغل مرة أخرى، وفرك أنفه بكُمّه. "لا. لم نعرفها على الإطلاق".

24

بعد زيارته إنغيبورغ، ذهَب كونراد ليأكل في مطعم لائق متخصِّص بشرائح اللحم في سكيفان. لا يزال الوقت مُبكراً وعدد الزبائن في المطعم قليل، فجلَس إلى طاولة في الزاوية، وعادت به أفكاره وهو يأكل إلى ڤيغا في دار المسنّين، وإلى الفتاة الأخرى التي ذكرَت أنها اختفت ولم يُعثر عليها أبداً، وإلى تلك الإشارة الغامضة إلى شعب الهولدو. لا يمكن أن تكون روزاموندا، فقد عُثر على جثتها خلف المسرح بكل تأكيد، وقد حقَّق ثورسون في قضيتها خلال الحرب، إذا كان سيصدِّق إنغيبورغ، لكن شيئاً حثّه على أن يبدأ بطرح الأسئلة مرة أخرى بعد كل تلك السنوات. لقد تكلَّم مع ڤيغا على الأقل، وربما مع آخرين أيضاً. ما الذي أثار اهتمامه؟ ولماذا ذهَب ليتكلّم مع ڤيغا؟ كيف تورَّطت في كل ذلك؟ لقد ظنَّت ڤيغا أنها تتكلَّم مع ثورسون عندما زارها كونراد، كما لو أنهما تعرَّفا على بعضهما البعض ذات يوم. هل لقيت الفتاة الأخرى نفس مصير روزاموندا؟ هل كانت قصتهما متشابهتين؟ هل كشَف ثورسون دليلاً جديداً في شيخوخته؟

جَفَل كونراد من صوت تحطّم، فرفع نظره ورأى أحد الزبائن واقفاً في ارتباك وجيز بين شظايا كوب زجاجي سقط من يده. أتى نادلٌ ليساعده، وقرَّر كونراد أن يتأهّب للانصراف.

هناك خيط أراد أن يتحقّق منه بعد أن بقي يؤجِّله، لكنه قرَّر أن هذا هو الوقت المناسب ليتواصل مع الشخص الذي باع ثورسون شقته، فقد يعرف شيئاً فحسب، وكان كونراد قد دوَّن إسمه عندما لمحَ عقد البيع بين أوراق العجوز.

استفسر كونراد عن ذلك الرجل في منزل جذّاب في الطرف الشرقي للمدينة، فأرشدوه إلى مرأبٍ يعمل فيه ميكانيكياً. تلقى الرجل صدمة حياته عندما رأى كونراد، فقد افترَض أنه من مكتب الضرائب، وأن أحدهم وشى به لتعامله نقداً مع زبائنه، وهي جريمة مذنب بها للغاية، لكن عندما تبيَّن له أنه ليس لمخاوفه أي أساس من الصحة، استرخى وأصبح ودوداً جداً. نعم، يمكنه أن يتذكَّر بيعه الشقة

إلى ستيفان ثورذارسون، وقد سمِع بالفعل عن طريقة موت العجوز. لم يكن يعرف ستيفان أبداً، لكنه تذكَّر أنه دفع ثمن الشقة نقداً، وتذكَّر أنه قال لنفسه إنه لا شكّ قد ادّخر مبلغاً محترماً. تبيَّن أن للرجل ذاكرة أقوى عن جارته القديمة بيرغيتا، وسرعان ما انحرفت المحادثة نحو موضوع كان عزيزاً على قلبها بشكل غريب.

"بقيتُ وبيرغيتا نتجادل بشأن الأمر"، قال الميكانيكي ذو الوجه العريض واليدين القويتين اللتين تُظهران دلالات سنوات عديدة من العمل على المحرِّكات. "لم تستطع أن تُقنِعني أبداً، لكن كانت مؤيِّدة كلياً".

"مؤيِّدة لما؟".

"هل تعرف أنها كانت ممرِّضة؟"، قال الرجل وهو يزيل البطارية من السيارة التي يعمل عليها.

"نعم"، كذَب كونراد. في الواقع، لم يبذل أي جهد ليستعلم عن ماضيها.

"بالطبع أنها كانت تتكلَّم عن خبرة، وقالت إنها رأت كل ذلك في عملها".

"تتكلَّم عن خبرة؟ عما تتحدَّث؟ لا أفهم قصدك".

"الانتحار بمساعدة الغير"، قال الرجل وهو يضع البطارية أرضاً. "أرادته أن يصبح أمراً قانونياً في هذه البلاد".

"الانتحار بمساعدة الغير؟"، قال كونراد وقد وجد صعوبة في إخفاء تفاجئه.

"أرادتهم أن يسمحوا بتنفيذ الانتحار بمساعدة الغير في حالات محدَّدة، وكانت من أشدّ مناصري هذا الأمر في الأيام الخوالي. في الواقع، كدتُ أتصل بك بشأن العجوز، فعندما سمِعتُ أن موته لم يكن عنيفاً – إذا كنتَ تفهم قصدي – فكَّرتُ بها فوراً".

"هل تعتقد أنها خنقته؟".

"لا أقول أبداً إن هذا ما حصل، بل فقط فكَّرتُ بها عندما سمِعتُ عن العجوز. تذكَّرتُ آراءها، وبدت لي طريقة موته مثل عملٍ نابعٍ عن بادرة لطف".

بقي كونراد يتكلَّم مع الميكانيكي لبعض الوقت دون أنْ يعلم منه أي شيء آخر مهم، ثم ودَّعه وانطلق عائداً إلى منزله، واتصل بمارتا هاتفياً على الطريق.

"هل فكَّرتِ بمسألة الانتحار بمساعدة الغير؟"، سأل دون مقدمات، وبناءً على أصوات الشفط والتمطّق على الطرف الآخر للخط، فهِم أن مارتا أنهت

تناولها الطعام للتو.

"الانتحار بمساعدة الغير؟ ماذا تقصد؟".

"هل فكَّرتِ بالأمر من قبل".

"ليس بشكل خاص"، قالت مارتا. "هل تقصد أن تسألني إن كنتُ سأختار هذه الطريقة لموتي؟".

"لا، ليس أنتِ"، قال كونراد. "هل كنتِ تأكلين؟".

"بعض الطعام المقيت الذي أحضرته من مطعم وجبات سريعة. ما أمر الانتحار بمساعدة الغير؟".

"هل خطرَ ببالك بالنسبة لثورسون؟ ها قد وجدناه مستلقياً على سريره، ولا أثر لأي عراك، أو لأي مقاوَمة منه، بل بدا كما لو أنه تمدَّد وغفا، ما عدا أن شخصاً وضع وسادةً على وجهه".

"إذاً؟".

"نقطتان. أولاً، هناك تلميح من ساكن آخر في المبنى أن بيرغيتا وستيفان، أو ثورسون، كانا أكثر من مجرد جارَين. ثانياً، سمِعتُ للتو أن بيرغيتا من أشدّ أنصار الانتحار بمساعدة الغير، وهي شَغوفة جداً بشأنه في الواقع. لقد كانت ممرِّضة في الماضي. هل أخبرَتكِ بذلك؟".

"لا. مَن قال لك هذا؟".

"الرجل الذي باع ثورسون شقته، وقد تذكَّر بيرغيتا بسبب آرائها".

"الانتحار بمساعدة الغير؟ لكن ثورسون لم يكن مريضاً، فالتشريح لم يكشف أي علّة لديه. ما نوع العلاقة التي كانت بينهما؟ ربما عليك أن تتحقّق من ذلك".

"هل تريدينني أن أتحدّث معها؟".

"من فضلك"، قالت مارتا. "تنقصنا عمالة كافية في الوقت الحاضر على غير عادة. حاول أن ترى ماذا يمكنك أن تستخلص من المرأة، وأبلغني كيف تسير الأمور معك".

25

في وقت متأخر من المساء، والشموع تحترق هنا وهناك على طاولات مختلفة، والستائر السميكة مغلقة على النوافذ، جلس الوسيط الروحي ينتظرهم في غرفة الجلوس. إنه في حوالي الأربعين من عمره، وذو بنية جسدية صغيرة قليلاً، وطَبع ودودٍ، ويدين ناعمتين، وابتسامة دافئة، ويرتدي بذلة داكنة رثّة، وبدا شاحباً قليلاً كما لو أنه يعاني من صُداع ما بعد الثمالة، وعندما استشعر الثنائي نفحة تصوُّف لديه، تفاجأا من مدى تواضعه وسهولة الحديث معه عندما تكلَّم معهما. كان والد كونراد قد سحب كرسيين لهما، فجلسا عليهما الآن، ولاحظا وجود ثلاثة أشخاص آخرين يحضرون جلسة تحضير الأرواح: أب وإبن وعجوز أصم جداً، وكلهم فقراء بناءً على ملابسهم. الإبن فَقَد أمه بعد مرض مرهِق، وقد أراد وأبوه الاطمئنان إلى أنها أفضل حالاً في العالم الآخر، والعجوز الأصم لا يسعى إلى التواصل مع أي شخص محدَّد، وبدا مشغول البال بمسألة اللغة التي ستستخدمها الأرواح. لم يحتج الوسيط الروحي إلى كرسي، فقد بقي يقف أمامهم أو يجول في الغرفة محاولاً التقاط الذبذبات التي تنساب عبر الأثير، فهو مجرد قناة، حسبما شرَح لجمهوره.

"كل ما أفعله هو نقل رسائل إليكم".

"ألا تقع إذاً في حالة نشوة؟"، أرادت المرأة أن تعرف رغم أن جلسات تحضير الأرواح ليست أمراً جديداً عليها وعلى زوجها، إلا أنهما لم يصادفا هذا النفساني من قبل.

"لا"، ردَّ الوسيط الروحي، "الأمور لا تجري هكذا، بل التيارات تنساب من خلالي".

كوَّر العجوز يده خلف أذنه وسأل، "ماذا قلتَ؟".

"إنني أشرح كيف يتم الأمر".

"سيتكلَّمون الآيسلندية، أليس كذلك؟"، صاح العجوز.

طمأنه الوسيط الروحي بشأن هذه النقطة، وبدأ جلسة تحضير الأرواح بطرح سلسلة أسئلة على الحضور، حيث عامت في أرجاء الغرفة أسماءٌ إما يعرفونها أو لا يعرفونها. إذا لم يبدُ أحد الأسماء مألوفاً لأي شخص، ينتقل الوسيط الروحي إلى الإسم التالي بسرعة، لكن إذا تلقّى جواباً إيجابياً من جمهوره، يُكمِل طرح أسئلة على الروح، ويصف أي علامات فارقة لديها إلى أن يتم التوصّل إلى إجماعٍ بشأن الشخص الذي يمكن أن تكون هذه روحه. وبعدما يتم تثبيت هذا الأمر، ينقل الرسالة بأن كل شيء على ما يرام على الجهة الأخرى، ويمرِّر أحياناً شكراً لشخصٍ موجودٍ في الغرفة. وفقاً له، بعض الأرواح ترافقها رائحة عذبة، بينما يقترن بعضها الآخر بقِطع أثاث أو ثياب أو لوحات. تعرَّف الأب والإبن على بعض تلك القِطع، وتعرَّف العجوز على قِطع أخرى. وبعدما أخذ الوسيط الروحي وقته في الإصغاء إليهم، استدار نحو والدَي روزاموندا.

"أنا... الجو بارد ومظلم هنا"، قال وهو يقف أمامهما وعيناه نصف مُغمضتين، ورأسه مائل إلى إحدى الجهتين. "بارد ومظلم، وهناك رجل يقف... إنه يقف في البرد وأنا... أعتقد أنه يرتدي قفّازات أبو إبهام، إنه يبدو كما لو أنه يرتدي قفّازات أبو إبهام ويشعر بالبرد. قفّازات أبو إبهام مُحاكة من خيط ذو طيّتين. هل يبدو هذا مألوفاً على الإطلاق؟".

لم يُجب الثنائي فوراً.

"إنه... هل يمكن أن يكون رطباً من البحر؟"، سأل النفساني. "هل يمكن أن يكون مبلّلاً بالكامل من مياه البحر؟".

"نعم"، قالت المرأة بتردّد. "إذا كان هو. هل قلتَ خيطاً ذا طيّتين؟".

"القفّازات أبو إبهام"، أضاف زوجها موضِّحاً.

"يقول إنك كنتِ لطيفة معه دائماً، ويريد أن يشكرك على كل القهوة"، قال الوسيط الروحي دون أن يسمح لذهنه أن يتشتت. "عندي شعور أن إسمه قد يكون ڤيلموندور أو ڤيلهيالمور، أو شيء من هذا القبيل".

"هل يُعقَل أن يكون موندي؟"، قالت المرأة وهي تنظر إلى زوجها.

"عندي شعور أنه غرَق"، تابَع الوسيط الروحي. "أنه تُوفِّي. هل أنا على حق؟".

"لقد فُقد في خليج فاكسافلوي"، قال الزوج. "مقابل سكاغي. كانوا ثلاثة".

"حِكتُ له تلك القفّازات أبو إيهام"، قالت المرأة. "يا للمسكين".

"يمكنني رؤية... هذا أشبه بلوحة أو ربما منظر من منزل مشمس، وهناك رائحة قهوة قوية. منزل جميل. وكعك مقلي. رائحة القهوة قوية، وهناك رائحة أخرى أيضاً – قرفة من كعكات الدونات، أو شيء من هذا القبيل".

"لطالما قال موندي إن كعكي المقلي لذيذ جداً"، قالت المرأة وهي تومئ كما لو أنها أرادت تأكيد ذلك للأب والإبن اللذين كانا يستمعان بصمت.

"أشعر أنه في دار عبادة وأعتقد... يمكنني سماع موسيقى. هل يمكن أن يكون ذلك صحيحاً؟ هل كان هناك كثير من الموسيقى حوله؟".

"قد يكون هذا صحيحاً تماماً، فهو كان يعزف على الأرغن"، قال والد روزاموندا.

"شكراً"، قال الوسيط الروحي. "يقول لكما إنه لا داعي للقلق بشأن..."

سكت وتظاهر أنه يستمع باهتمام إلى رسائل من عالم الأرواح. مرّ وقت طويل بصمت مُطبَق كما لو أن الرسائل غير قادرة على العبور، ثم خطا الوسيط الروحي خطوة إلى الوراء فجأة، وجَمَد في أرضه وعيناه لا تزالان نصف مغمضتين.

"يقول إنها معه... إنكما ستعرفان مَن هي".مكتبة سُر مَن قرأ

قالت المرأة لاهثةً: "إبنتنا الصغيرة!".

"هل يمكنك رؤيتها؟"، سأل زوجها بتلهّف.

"لا يريد... يقول إنكما ستفهمان قصده، وأنه لا داعي لأن تقلقا".

"إبنتنا الصغيرة الحبيبة"، قالت المرأة وبدأت تبكي، وحاوَل زوجها أن يواسيها.

صمَت الوسيط الروحي مرة أخرى، ولم يتجرّأ أن يقاطعاه وهما مُقتنِعان أنه يجهد لتلقي رسائل من أعماق الأبدية، إلى أن لم يعد والد روزاموندا قادراً على الانتظار أكثر.

"هل تريد إخبارنا مَن كان ذلك؟"، همَس.

وَقَف الوسيط الروحي جامداً كلياً في وسط الغرفة لما بدا أنه دهر، ولم يتحرّك الحضور قيد أنملة. تركّزت عليه عينا الوالد والإبن، وحاوَل العجوز الأصم عدم تفويت أي شيء، وأمسك والدا روزاموندا يدي بعضهما البعض.

"هل تريد إخبارنا مَن كان ذلك؟"، سأل الزوج مرة أخرى.

لم يُجب الوسيط الروحي بل بقي صامتاً وساكناً، إلى أن بدأ يهزّ رأسه ويسير بخطى موزونة في الغرفة، ويقول إن الاتصال انقطع، وإنه لا يملك القوة للمتابعة.

انتهت جلسة تحضير الأرواح، وارتمى النفساني على كرسي كما لو أنه منهك، وأحضَر له والد كونراد كوب ماء. بقي والدا روزاموندا يجلسان هناك مذهولين كما لو أنه بالكاد يمكنهما تصديق ما حصل، واحتاج الجميع إلى بعض الوقت ليعودوا إلى طبيعتهم من جديد، وكلهم مُقتنِعون أن شيئاً مهماً، شيئاً مذهلاً، حصل.

فتح والد كونراد الستائر السميكة ليسمح لليل الربيع الخفيف بالدخول، ثم ذهبَ إلى المطبخ وعاد ومعه قهوة وبعض الحلوى للحضور. صبَّ العجوز الأصم بعض القهوة في صحن فنجانه وشربها مُحدثاً صوتاً ماصّاً صاخباً.

"غريب أمر تلك القفّازات أبو إبهام"، علّق والد روزاموندا. "غريب أن يطرح موضوعها".

"بالأمس فقط كنتُ أُخبر المضيف كم كان موندي مولَعاً بكعكي المقلي"، قالت زوجته. "وعن القفّازات أبو إبهام، تلك التي ذات طيّتين".

نظَرَ إليهما الأب وإبنه.

"هل أخبرته ذلك؟"، سأل الأرمل وعيناه على والد كونراد.

"ماذا يجري؟ ماذا قالت له؟"، صرخ العجوز.

"أنا متأكدة أنني أخبَرتُه"، قالت المرأة. "أخبَرتُه عن موندي وكيف غرَق".

"هل بدا لك ذلك أمراً حكيماً؟".

"حكيماً؟ لا أفهم".

جلَس كونراد إلى طاولة المطبخ يراقب مغيب الشمس، ويتذكَّر رواية أبيه عن ه ـه الواقعة. إنه يتذكَّرها بشكل واضح. كان في الثامنة عشرة عندما أخبَره أبوه ع ن جلسة تحضير الأرواح مع الثنائي اللذين فقدا إبنتهما، وكيف أنه اعتاد أن ينصب بضع كرونات من الساذجين، والعديد منهم في حداد على فقدان أحد أحبائهم. لم يكلِّمه عن ذلك أبداً من قبل، رغم أنه غالباً ما تكلَّم عن النشاطات المُريبة الأخرى التي شارك فيها، لكنه كان أكثر تمالةً من المعتاد في تلك الليلة، وبدا مستعداً ليفضفض لإبنه عن بعض الحقبات الضبابية أكثر في ماضيه.

"كان الأمر سهلاً إلى حد مضحك"، قال بصوته الأجش وهو يدخّن بلا توقف بينما يتكلّم. "فقد كان الناس مستعدين أن يتقبّلوا أي شيء، وكلما دفَعوا أكثر، كلما تلقَّفوه أكثر. تباً، كان الأمر بأكمله أسهل ما يمكن".

لم يستطع كونراد اكتشاف أي دلالة ندم في سلوك أبيه. لم يختلق أبداً أعذاراً لطبيعة أبيه أو لما فعله بالآخرين، لكنه لم يستطع منع نفسه من أن يتساءل كيف أمكنه تحمُّل الانتفاع من بؤس الناس بذلك الشكل.

"إذا أرادوا أن يُخدعوا، فهذه ليست مشكلتي"، هو الجواب الوحيد الذي حصل عليه كونراد. "لكن الرجل الذي لعِب دور الوسيط الروحي لوالدَي الفتاة امتلك بعض الطاقات، وقد أقمنا الكثير من جلسات تحضير الأرواح معاً، وأظن أن أمرنا لم يُكشَف لأنه امتلك بعض الموهبة، لكنه كان هاوياً لعيناً. لم أحصل على كل شيء من المرأة – مسألة الأرغن مثلاً – لكن ربما كان ذلك مجرد ضربة حظ، والمرء يحتاج إلى بعض الحظ لكي يبرع في ذلك المجال. لقد أطلعتُه على الأمور الأخرى قبل وصولهما، مثل القفّازات أبو إبهام وطريقة غرق الرجل، لكن عندما علِم الأب والإبن بحقيقة أن المرأة تكلّمت معي مسبقاً، أُصيبا بالجنون واتصلا بالشرطة، وانتشر خبر اكتشاف وسيط روحي زائف، وقد وُصفتُ أنني شريكه". انفجر والد كونراد ضحكاً. "كما لو أنني مساعده!".

"هل كانت تلك هي طريقة عملك المعتادة؟"، سأل كونراد. "أن تدردش مع الأشخاص مسبقاً، ثم تنقل المعلومات إلى الوسيط الروحي؟".

"لم تكن هناك طريقة محدَّدة لفعل ذلك"، قال أبوه. "ذلك النفساني بالذات عقدَ عدداً كبيراً من اللقاءات في منزلنا، وكنتُ مسؤولاً عن معرفة القليل عن الحضور. غالباً ما كان نفس الأشخاص يعودون مراراً وتكراراً، لذا فقد تعرَّف عليهم بنفسه. الأب والإبن مثلاً جاءوا مرتين من قبل. لكنه لم يعرفهم أبداً أحياناً، وقال إنه يفضِّل امتلاك بعض الحقائق مسبقاً قبل أن يبدأ، فذلك يساعده على تحمية موهبته، على حد قوله".

سكَت والد كونراد قليلاً. "ما كان عليه أبداً أن يصف تلك القفّازات أبو إبهام بذلك الشكل"، تابَع يقول في نهاية المطاف. "لكن الغريب هو أن الأحمق الساذج شَعَر بحضورٍ ما في الواقع، فقد أخبَرني في ذروة الهرج والمرج بشأن جلسة

تحضير الأرواح اللعينة تلك أنه متأكدٌ أنه شَعَر بحضور إبنتهما، وفتاة أخرى أيضاً كانت معها. لقد شَعَر أنها لقيت مصيراً سيئاً هي أيضاً".

"كانت هناك فتاة أخرى معها؟".

"هذا ما ادّعاه".

"ماذا حصل لها؟ أي مصير سيئ لقيت؟".

"لم يقل، ولم يحبّ مناقشة الأمر، على غرار كل الأمور الأخرى التي حصلت في جلسة تحضير الأرواح تلك، فبعد أن كُشف أمرنا، لم يعد أحد يستمع إليه".

"ألم يُخبِرك أي شيء عنها؟".

"لا، ما عدا الجزئية عن البرد، حيث قال إنه رافقها شعور ببرد قوي. لكن اسمع يا كونراد، كان ذلك الرجل هاوياً لعيناً، ومعظم المعلومات التي ظَهَرت معه كانت أموراً زوّدتُه بها مسبقاً".

بقيت قصة جلسة تحضير الأرواح محفورة في ذاكرة كونراد لأنها آخر محادثة من ذلك النوع أجراها مع أبيه، فذات مساءٍ في منتصف فبراير، عاد كونراد إلى المنزل عند حوالي منتصف الليل ليرى سيارة شرطة مركونة أمام شقتهما في القبو وهناك شرطيان على الرصيف. لم يتفاجأ كثيراً لأن أباه معروف جيداً لدى الشرطة وكلما وقعت سرقةٌ، أو أُلقي القبض على مهرّبٍ، أو تم كشف عصابة تهريب كبرى، يأتون ليستجوبوه، وحتى يجرّونه إلى المخفر في بوستوستراتي. حصل ذلك في العام 1963، وقد انسحَب كونراد مؤخراً من الكلّية الصناعية حيث كان يتدرَّب ليصبح عامل طباعة، وبدأ يحتسي الكثير من الشراب. أبوه لا يتدخَّل في حياته كثيراً، ونادراً ما تواصلت معه أمه التي انتقلت مع بيتا إلى سَيدسفيوردور في الأزقة البحرية الشرقية، وكان رفاقه في احتساء الشراب عادة عبارة عن كسالى آخرين يسيرون بشكل سريع نحو الهاوية، أو أبيه. راح كونراد يعمل في وظائف مؤقتة في قطاع البناء، ويسرق سلعاً من المتاجر أو السيارات، ويؤدّي مأموريات لأبيه لقاء حصة ضئيلة من أرباح النشاط المشبوه الذي يكون متورّطاً فيه في ذلك الوقت. لكن رغم كل ذلك، لم يُلقَ القبض على كونراد أو يصطدم بالقانون أبداً.

اقترب منه أحد الشرطيين وسأله إن كان يعيش في المبنى ويعرف النزيل الساكن في القبو. وبما أن كونراد تعلَّم أن يكون حذِراً من الشرطة، فقد فتح فمه فوراً ليرمي

أي كذبةٍ لكن لم يتبادر أي شيء إلى ذهنه، لذا أقرَّ أن أباه يعيش في القبو – أنهما يعيشان هناك معاً – وسأل إن جاءا يبحثان عنه.

"لا، نحن لا نبحث عنه"، قال الشرطي. "هل كنتَ معه هذا المساء؟".

"لا"، قال كونراد. "لماذا تسأل؟".

"هل أنت متأكد؟".

"نعم، متأكد".

"هل لديك أي فكرة مَن سيلتقي؟".

"لماذا تريد أن تعرف؟"، سأل كونراد.

"هل تشاجَر مع أي شخص مؤخراً؟ هل هناك أي شخص يطارده؟".

"يطارده؟ ماذا تقصد؟".

"أبوك تُوفِّي يا فتى"، قال الشرطي الآخر. "هل تعرف إن كان يخطِّط لاقتحام المَسلَخ الذي في سكولاغاتا؟".

شَعَر كونراد أنه لم يسمع جيداً. "ماذا تقصد؟"، قال. "ماذا قلتَ؟".

"لقد عُثر عليه ممدَّداً في الزقاق قرب المَسلَخ"، قال الشرطي. "مطعوناً. هل تعرف ماذا كان يفعل هناك؟".

"عما تتكلّم؟ عُثر عليه مطعوناً! هل طُعِن؟".

"نعم، طُعِن حتى الموت".

فغَر كونراد فمه للشرطيين اللذين أُرسلا ليُبلغا أقرب أقرباء الرجل الميت، لكنهما عرَفا أباه جيداً ولم يجدا أي سبب ليتعاطفا مع الثملين وصغار المحتالين. في تلك اللحظة، ركنت سيارةٌ، ونزل منها شرطي آخر لكنه لا يرتدي زيّه الرسمي، وسرعان ما اتضّح أنه محققٌ.

"عما تتكلّم؟"، صرَخ كونراد بقوة وهو يدفع أحد الشرطيين، وكان سيسرّه كثيراً أن يلكمه، لكن شريك الشرطي أمسك كونراد فوراً، وأوقعه أرضاً، وضغط رُكبته على عنقه بشكل خانق. راح كونراد يقاوم بعنف، واحتاج الشرطيان إلى كامل قوتهما ليتغلّبا عليه، وعندما تمكّنا من إخضاعه، رفعاه إلى قدميه مرة أخرى.

"أفلتاه"، أمَرَ المحقق بصوتٍ مرهقٍ. "اتركاه وشأنه".

تذمّر الشرطيان لكنهما أفلتا كونراد في نهاية المطاف.

"هل أخبَراك ما حصل؟".

"نعم".

"هل أنت إبنه؟"، سأل المحقق.

"نعم. قالا إنه طُعن. ماذا حصل؟ لماذا...؟ هل تُوفِّي؟".

"هل أنت متأكد أنك لا تعرف ماذا حصل؟".

"نعم، أنا... لا يمكنني أن أصدِّق".

"ألا تعرف مَن هاجَمه؟".

"هاجَمه؟ أنا؟ لا، كنتُ في البلدة. ماذا حصل؟ هل... هل تُوفِّي حقاً؟".

أومأ المحقق برأسه، وشرَح له بنبرة متّزنة ودون أي عنجهية، خلافاً للشرطيين، أن مارّاً عثر على والده ممدَّداً في بركة دم قرب بوابات المَسلَخ في سكولاغاتا، حيث إنه طُعن مرتين وتُرك مرمياً على الطريق. لا يوجد أي شهود، ولم يعرفوا هوية قاتله، ولم يستطع كونراد إخبارهم أي شيء عن تحرّكات أبيه، فهو لم يعرف ماذا ذهَب والده يفعل في المَسلَخ أو في سكولاغاتا، وليست لديه أي فكرة مَن ذهَب ليلتقي هناك أو مَن التقى هناك صُدفة. لقد تشاجر أبوه مع عدد لا يُحصى من الناس على مدى حياته، ولطالما عاشرَ أشخاصاً مشبوهين، وأدرَك كونراد بسرعة أنه سيُنظَر إلى وفاته من تلك الزاوية بلا شكّ.

"تعازيّي يا بُنيّ"، قال المحقق. "آسف أنك اضطررتَ أن تعرف بهذه الطريقة. إذا كان هناك أي شيء يمكنني أن أفعله لك، أي شيء يزعجك، أي شيء تريد أن تعرفه، مهما يكن، اتصل بنا رجاءً".

لم يُعثر على قاتل أبيه أبداً رغم إجراء تحقيق شامل، وقد وُضع على الرفّ في نهاية المطاف نتيجة انعدام الدليل. لكن كان لوفاة أبيه تأثيرٌ عميقٌ عليه: أدار ظهره في نهاية المطاف لنمط حياته المسدود، وأعاد التسجيل في الكلّية الصناعية، وأنهى تدريبه كعامل طباعة. وقد شاء القدر أن ينضم إلى سلك الشرطة بعد بضع سنوات، ويصبح محققاً بنفسه. يتهامس زملاؤه الشرطيون عن أبيه من وقت لآخر، وحتى سألوه عن القضية بشكل صريح مرة أو مرتين، لكن كونراد وبّخهم بكلمات لاذعة. ولم ينسَ أبداً اللطف والمراعاة اللتين أبداهما له المحقق في وقت ضيقه.

26

بعد يوم على رحلتهما إلى هڤالفيوردور، التقى ثورسون وفلوڤنت مرة أخرى في المكاتب في فريكركيوفيغور عند الظهر، وقررا أن يتحدّثا مع مراقب عمّال الطريق في أوكسافيوردور الذي عِلم فلوڤنت إسمه من ڤيغا، وقد اكتشف بعد بضع مكالمات هاتفية أنه استقال من وظيفته في قسم إدارة الطرقات الوطنية وبدأ يعمل لصالح الأميركيين في پاتركسون فيلد في شبه الجزيرة الجنوبية في ريكيانس.

توجَّها إلى الجنوب الغربي على طريق شبه الجزيرة الجنوبية في يوم مظلم تخترق فيه الشمس طبقة السُحُب السميكة هنا وهناك لتعكس ضوءاً متألقاً عن سطح البحر، واغتنَم فلوڤنت فرصة هذه الرحلة ليثقِّف ثورسون عن المعتقدات الشعبية التي صمَدَت لقرونٍ بين الآيسلنديين العاديين، وتناقلتها الأجيال في ليالي الشتاء الطويلة المظلمة عندما كان الناس يعتبرون أن كل صوت تحمله الرياح قد يشكِّل نذيراً لعودةٍ مُرعِبةٍ لروحٍ مصابة بجروح خطيرة، وأن كل رابية أو منكشف صخري قد تشكِّل مأوى لـ شعب *الهولدو*، وأن الأفق مليء بغيلان وجنّ يتحوَّلون إلى صخور عند الشروق، أو بمخلوقات مثل *النيكور*، وهو حصان حوافره مواجهة للخلف يترك أثراً يتلاشى في البحيرات الباردة، أو *التيلبيري*، وهو مخلوق شبيه [أو قرين] يرضع من حلمات على أفخاذ النساء. لقد نشأت هكذا حكايات خيالية من علاقة الإنسان بالطبيعة، ومن صراع الآيسلنديين الشاق للصمود في بيئة قاسية، ومن خوفهم من ظلمة الشتاء. وقد أدّى دمج كل ذلك بحُبهم لرواية القصص وخيالهم الخصب إلى نشوء عوالم عجيبة يمكن أن تبدو للناس حقيقية مثل عالمهم الفعلي.

"لكن كل ذلك من الماضي طبعاً؟"، قال ثورسون وهما يدخلان المطار. "يبدو مثل شيء مأخوذ من الماضي السحيق".

"نعم، أتوقع أن يجرفه العالم العصري كلياً"، قال فلوڤنت. "رغم أن عدداً مذهلاً من الناس لا يزالون يصدِّقون وجود شعب الهولدو".

زكَن خلف حظيرة كبيرة، وأدار رأسه ليتأمل ثورسون، فقد بقي الكندي هادئاً معظم فترات الرحلة، ومن الواضح أن ذهنه شاردٌ.

"وليس شعب الهولدو فحسب"، أضاف فلوفنت بعد تفكير عميق. "فالعديد من الآيسلنديين العاديين لا يزالون يصدِّقون كل أنواع المخلوقات والحكايات الشعبية. يبدو أن المعتقدات القديمة متجذّرة عميقاً فيهم".

قيل لهما أين يمكنهما إيجاد مراقب العمّال الآيسلندي براندور المسؤول عن الطاقم الصغير لصيانة مطار پاترسون فيلد الذي تم تشييده قبل سنتين على مستنقعات نجردڤيكورفتجار في منطقة كانت تسمّى سابقاً سڤيدننغار على إسم طيّار يافع مات أثناء خدمته في آيسلندا. يحوي پاترسون فيلد الطائرات المقاتِلة الأميركية التي تدافع عن الجنوب الغربي للبلاد، وهو أحد مطارين في المنطقة، حيث أن المطار الآخر ميكس فيلد، الذي يحوي القاذفات وطائرات النقل، سُمّي على إسم طيّار يافع آخر فَقَد حياته عند الساحل الآيسلندي.

عندما وَصَل فلوفنت وثورسون، وجدا الطاقم مشغولاً في وضع علامات جديدة على المدرَج، فتولّى فلوفنت الكلام وطلب التحدّث مع مراقب العمّال.

"ماذا تريد منه؟"، سأل رجلٌ ذو كرش كبير يرتدي قبعة مسطّحة قذرة ويقبض على سيجارة بين أصابع بدينة وقصيرة، ويراقب الرجال يعملون وهو يتكئ على شاحنة جيش خضراء. كان أسلوبه فظّاً لدرجة أن فلوفنت تخلّى عن أي محاولة لأن يكون مهذّباً.

"هل أنت براندور؟".

"لماذا تسأل؟"، قال الرجل ثم خلع قبعته وحكَّ رأسه الأصلع.

"نودّ أن نتحدث معك عن الفترة التي كنتَ فيها مسؤولاً عن طاقم الطريق في أوكسافيوردور منذ بضع سنوات. نفضّل أن نتكلّم في مكان لا يسمعنا فيه أحدٌ".

راح الرجل ينظر إليهما إلى أعلى وأسفل، ويتأمّل الملابس المدنية للرجل الأكبر سناً والزيّ الرسمي للأصغر سناً وطَوق الشرطة العسكرية على ذراعه. توقف العمّال عما يفعلونه لكي يحدِّقوا بالواصلَين الجديدَين.

"أوكسافيوردور؟ عن أي شيء يدور هذا؟".

"هلاّ رافقتنا إلى الحظيرة؟"، سأل فلوفنت. "يمكننا عندها أن نشرح لك على

انفراد".

تردَّد براندور غير أكيد مما يجري، لكن حشريته ازدادت كثيراً الآن. في النهاية، وبعد أن صاح برجاله ليُقلعوا عن كسلهم ويعودوا إلى عملهم، دعا فلوفنت وثورسون إلى ركوب شاحنته، فجلسا بجهد على المقعد الأمامي وقادهما براندور المسافة القصيرة إلى الحظيرة. بعدما أصبحوا في الداخل، وقف ثورسون قرب الباب ليضمن أن أحداً لن يزعجهم في المكتب الصغير، وارتمى براندور على الكرسي الوحيد، ودخلَ فلوفنت الذي تُرك واقفاً صُلب الموضوع فوراً.

"هل تتذكَّر اختفاء شابة من مزرعة في منطقة أوكسافيوردور أثناء عملك هناك مع طاقم الطريق؟".

"هل تقصد الفتاة التي رمت نفسها في الشلال؟".

"هل فعلَت ذلك؟".

"هذا ما ظنّه البعض".

"إذاً فالقضية مألوفة لك؟".

"أتذكَّر ذلك جيداً. حادثة مؤسفة جداً هزَّت الناس حقاً، مثلما يمكنك أن تتخيّل". أخرجَ سيجارة من رزمةٍ بأصابع مدخّنٍ سميكةٍ صفراء. "لكن ما علاقتي بذلك؟".

"هل كنتَ تعرفها؟".

"لا".

"هل كان أي شخص من طاقمك يعرفها؟".

"ليس على حد علمي. هل تقصد أن أحد عمّالي قَتَلها؟".

"من أين أتيتَ بهذه الفكرة؟".

"سرت إشاعات كثيرة وقتها".

"مثل ماذا؟".

"أنها رمت نفسها في ديتيفوس بسبب قلب مجروح. لم يعرف أحدٌ ماذا حلّ بها، لذا اضطروا أن يملأوا الفراغ".

"أنا لا ألمّح إلى أن أي شخص قَتَلها"، قال فلوفنت. "هل تكلَّم أحدٌ من رجالك عنها على مسمعك؟ قبل اختفائها أو بعده؟".

"حسناً، شعروا بالصدمة والحزن مما جرى، مثلما تتوقع، وأتذكّر أننا شاركنا في فريق البحث، لكن إذا كنتَ تلمّح إلى أن أحد رجالي أذاها، فلن أصدِّق ذلك ولو للحظة واحدة".

"إذاً فأنتَ لم تسمع أي تعليقات عنها اعتبرتها غريبةً، أو غير ملائمة، أو غير طبيعية قليلاً؟".

"لا أعرف إلى أين تريد أن تصل يا صاح"، قال براندور وهو يأخذ مجّةً من سيجارته. "هل عثرتم على الفتاة؟".

هزَّ فلوڤنت رأسه. "هل تتذكّر سماع أي كلام عن المعتقدات الخرافية المحلية؟"، تابَع يقول. "عن شعب الهولدو، مثلاً؟".

"لا"، قال مراقب العمّال بتعبيرٍ أظهَرَ أنه لم يعد يفهم غاية كلام فلوڤنت.

"هؤلاء الرجال الذين يعملون تحت إشرافك هنا في پاترسون فيلد، هل كان أحدٌ منهم معك في الشمال؟".

"لا، كلهم من شبه الجزيرة الجنوبية، وأغلب الطاقم في الشمال كانوا من السكان المحليين".

"سمِعنا عن وجود جنود بريطانيين في المنطقة"، قال ثورسون متدخّلاً.

"نعم، لديهم قاعدة في كوياسكر"، قال براندور. "فتيان جيدون، لكن معظمهم يفتقرون للخبرة، ولا يزالون مصدومين من إيجاد أنفسهم هناك في هكذا مكانٍ ناءٍ لعينٍ".

"هل تورّطوا مع الفتيات المحليات؟".

"أجرؤ على قول ذلك، لكنني لم ألحظ أي شيء".

"هل تعرف إن اختلطت بهم الفتاة المعنية؟".

"لا، يجب أن تتكلَّم مع عائلتها. لماذا تسألني؟".

"هل تعرف عائلتها؟".

"لا. كل ما أعرفه هو..."

"ماذا؟".

"أنهم من خيرة الناس"، قال براندور. "قوم محترمون. إنه لأمر فظيع رؤية مدى الضرر الذي ألحقته بهم تلك الحادثة".

"هل تتذكّر أي زوّار مرّوا صُدفةً في المنطقة في ذلك الوقت؟"، سأل فلوڤنت.
"لا شكّ أنه كان هناك الكثير من المصطافين في المزارع".
"نعم، كان هناك الكثير من القادمين والذاهبين، ولم يكن يسعنا ألا نلاحظ ذلك لأننا كنا نعمل على الطرقات".
"هل وجدتَ أي شيء غير اعتيادي؟".
"لا... غير اعتيادي؟".
رمى فلوڤنت لمحةً نحو ثورسون كما لو أنه أراد أن يقول له إنهما يضيعان وقتهما مع براندور.
"لستُ متأكداً ماذا تقصد بشيء غير اعتيادي"، أضاف مراقب العمّال. "بالطبع كان هناك كالعادة عددٌ من الأشخاص المهمين الذي يتسكّعون في الأرجاء طوال الصيف. مستفيدون من الحرب من ريكيافيك أتوا إلى هناك لصيد سمك السلمون. ومجموعة أخرى من أكوريري؛ ومدير التعاونية، تلك المؤسسة التي تُمضي وقتها في مصّ دم المُزارعين – رأسماليو التعاونية. آه، نعم. سيطرد الرفيق ستالين أولئك النبلاء في الحال، وقد وضعوا اثنين أو ثلاثة من الشرطة العسكرية في جيوبهم".
"رأسماليو التعاونية؟".
"نعم، أنتَ تعرف ذلك الصنف من الناس".
"والشرطة العسكرية المحلية؟".
"لا أعرف من أين أتوا، لكنني أظن من الشمال. سمِعت قصصاً عنهم في المقاطعة – عن كل احتساء الشراب الذي يجري في أكواخ صيد السمك. ذلك النوع من الفِسق الذي لا يتمتّع به العمّال أبداً. لا، نحن لا يُتوقع منا إلا دفع الفواتير فحسب".
"لم تؤذِ الفتاة بنفسك؟"، قاطعه ثورسون.
"يا للهول، لا!".
"هل أنت مهتم بالتراث الشعبي الآيسلندي؟"، سأل فلوڤنت.
"بماذا؟".
"شعب الهولدو؟ الأقزام؟ هل يهمّك هذا الصنف من الأمور؟".

"أنا؟ لا. على الإطلاق. ليس لديَّ الوقت لهكذا هُراء".

"حسناً"، قال فلوفنت وهو يتبادل النظرات مع ثورسون. "أعتقد أننا اكتفينا، ولا نريد إبقاءك هنا طوال اليوم. شكراً على وقتك".

نهض براندور وخرَجا معه، ووجدوا أن كل الطائرات قد خرجت في مهام استطلاعية والمكان هادئ جداً، والميكانيكيون يستريحون ويدخّنون ويلعبون الطرنيب، وهناك راديو يبث إحدى أغاني غْلنّ ميلر.

"لكن كان هناك فتى في طاقمي مهووس بذلك الصنف من الأمور"، قال براندور وهو يُقحم نفسه في الشاحنة.

"ماذا؟"، سأل ثورسون.

"الأقزام وما شابه. كان طالباً في كلّية أكوريري – من الصنف الذي يحبّ الكتب. شخص منعزِل وغريب الأطوار قليلاً، وقد اعتاد الفتيان على مضايقته، فينادونه الأستاذ مثلاً، وأمور أخرى غير مؤذية أبداً. لكنه كان عاملاً مجتهداً، ولا يمكن انتقاده على ذلك".

"وكان مهتماً بشعب الهولدو؟".

"نعم، بالحكايات الشعبية وكل تلك الأمور. اعتبرَ أنه يعرف مكان تواجد بعض منازل الأقزام على الطريق. شخص غريب الأطوار قليلاً هكذا، إذا كنتَ تفهم قصدي، لكنه غير مؤذٍ أبداً".

"هل تعرف أين يمكننا العثور عليه؟"، سأل فلوفنت.

"إذا لم تخنّي الذاكرة فقد توجَّه جنوباً ليدرس في الجامعة"، قال براندور، ثم شغَّل المحرِّك مُحدثاً هديراً صاخباً، وغيَّر ترس الشاحنة إلى الاتجاه الخلفي، وخبطَ باب السائق، وأطلَّ من النافذة المفتوحة. "لكن ليست لديَّ أي فكرة ما الذي حلّ به".

27

رحَّبت بيرغيتا، جارة ستيفان، بكونراد ترحيباً ودوداً، ولم تبدُ متفاجئة من رؤيته مرة أخرى. جلس على أريكتها، وسألته عن حُسن سير التحقيق، وما إذا اقتربت الشرطة من معرفة ما الذي حصل لستيفان، فقال لها إنه لا يمكنه الإجابة عن الشرطة حقاً بما أنه ينظر إلى القضية على مسؤوليته الخاصة بشكل رئيسي، نظراً إلى أنها تمسّه شخصياً، ولو بطريقة بعيدة جداً فحسب. بدت متحمّسةً فوراً، لذا قدَّم لها كونراد سرداً موجزاً عن قضية روزاموندا، متجاهلاً تدخّل أبيه، وقائلاً فقط إنه تعرَّف على والدَي روزاموندا، وإنه بدا له أن القضية لم تُحلّ أبداً بما أنه لا يوجد سجل لها في أرشيف الشرطة، رغم أنه من الممكن أن الجيش الأميركي يُخفي بعض الأوراق إذا كانوا قد عالجوا المسألة بأنفسهم. وقد عرَف كونراد أن مارتا تنوي إرسال طلب إلى السلطات الأميركية للحصول على معلومات.

"هل سمعتِ ستيفان يتكلَّم يوماً عن قضية روزاموندا؟"، سأل.

"لا، أبداً. لماذا يجب أن... هل كانا يعرفان بعضهما؟".

"هل تعرفين ماذا فعل ستيفان خلال الحرب؟".

"ليس حقاً. فقط أنه كان مرابِطاً في ريكيافيك".

"على ما يبدو أنه كان في الشرطة العسكرية الأميركية"، قال كونراد. "وحادثة وفاة روزاموندا هي إحدى القضايا التي حقَّق فيها. ألم يُخبرك أبداً؟".

بدا أن بيرغيتا غير مُدركة كلياً لعمل ستيفان في الشرطة، فهو لم يذكر لها ذلك أبداً، بل تكلَّم قليلاً جداً في الواقع عن سنوات الحرب. "لم تكن لديَّ أي فكرة"، قالت. هل تعتقد الشرطة... هل تعتقد أن هناك رابطاً بين القضية وطريقة موته؟".

"لا يمكنني طبعاً التكلّم عن التحقيق، ما عدا قول إن الشرطة تستكشف عدة خيوط، وتأخذ عوامل مختلفة بعين الاعتبار، من بينها، مثلاً، الطريقة التي عُثر عليه فيها".

"على السرير؟".

"ممدَّدٌ بتلك الطريقة على ظهره، وهو يبدو مُسالِماً تقريباً".

"ألم يتعرَّض للخنق؟"، سألت بيرغيتا.

"كل الأدلة تشير إلى ذلك بالطبع"، قال كونراد. "وأحد الاحتمالات التي نفكّر فيها - أحد العوامل التي ذكرتُها - هو حالته الذهنية قُبيل موته. وهناك عامل آخر هو عمره الكبير، ثم هناك مسألة عما كان ينوي أن يفعل قُبيل وفاته، وكذلك آراؤه بشأن الموت. هل يصدف أنك تعرفينها؟ هل تكلَّم يوماً عن الطريقة التي يريد أن يغادر بها هذه الحياة؟".

"لا أفهمك".

"حسناً، مثلاً، هل تعرفين إن أراد أن تُحرَق جثته أو يُدفَن؟".

"لم يتكلَّم عن ذلك أبداً"، قالت بيرغيتا. "على الأقل ليس لي".

"لم نستطع العثور على وصية في شقته. هل تعرفين إن أعدَّ واحدةً؟".

"لا، ليست لديَّ أي فكرة".

"هل تناقشتما يوماً في مسائل مثل الانتحار بمساعدة الغير؟".

لم تُجب بيرغيتا فوراً، ثم قالت أخيراً، "لماذا تسأل؟".

"هل تناقشتما بذلك؟".

"هل لديك أي سبب يجعلك تعتقد ذلك؟".

"لا، أبداً، لكننا نعرف أنكِ لا تعارضين الفكرة بالمبدأ"، قال كونراد. "سمِعنا أنكِ، أو كنتِ، من مؤيّدي الانتحار بمساعدة الغير، وعملك كممرِّضة لا شكّ جعلكِ تقابلين مرضى ميؤوساً من شفائهم يعانون من آلام مُبرحة. لقد أردتِ أن يتوفر لهم خيار الرحيل بطريقة لائقة".

"أنت محقّ بأنني أؤيّد تشريع الانتحار بمساعدة الغير"، قالت بيرغيتا. "مثلما هو الحال في هولندا وعدة دول أخرى. ليس هناك أي شيء شرير في المسألة".

"وأنتِ -"

"لم أساعد أي شخص على إنهاء حياته"، قالت بيرغيتا، "إذا كان ذلك ما تلمّح إليه. هناك فرق كبير".

"إنني لا ألمّح إلى أنكِ فعلتِ ذلك".

"لماذا تسألني إذاً عن الانتحار بمساعدة الغير؟".

"كم كنتِ وستيفان قريبين من بعضكما؟".

"قريبين؟".

"عندما مات. ما كانت طبيعة علاقتكما؟ أو عندما كان زوجك إيولفور لا يزال حيّاً؟".

نهضت بيرغيتا عن كرسيها. "أعتقد أنه من الأفضل أن ترحل".

"لماذا؟".

"لأنه ليس لديَّ أي شيء آخر أقوله لك".

لم يتزحزح كونراد من مكانه، فقد كان مستعداً لردّة فعل مماثلة. "اعذريني، لم أقصد إزعاجك حقاً، لكنها فقط إحدى النقاط التي تدرسها الشرطة وأردتُك أن تعرفي ذلك".

"لا يمكنك أن تأتي إلى هنا وتتّهمني بهكذا أمر"، قالت بيرغيتا. "الانتحار بمساعدة الغير! لم أفعل أي شيء لستيفان. أعوذ بالله. لم يكن مريضاً حتى".

"هل كان يؤيّد الفكرة؟".

"يؤيّد؟".

"فكرة الانتحار بمساعدة الغير".

"لا أعتقد أنه كان يعارضها، لكن الموضوع لم يُطرَح أبداً".

"لقد فقدتِ زوجكِ –"

"لماذا تجرّه إلى ذلك؟".

"أنا –"

"هل تلمّح إلى أنني قَتَلتُه أيضاً؟".

"لا. لم أقصد إزعاجك صِدقاً".

تذكَّر أن أول مرة التقى فيها بيرغيتا، ذكرَت له أن زوجها إيولفور كان على علاقة طيبة مع ستيفان، وأنهما أصبحا يلتقيان كثيراً بعد وفاة زوجها، لكنها لم تُعطه أي تفاصيل عن طبيعة علاقتهما. لقد عاشا مقابل بعضهما لسنواتٍ، وحصل الكثير من الذهاب والإياب بين شقتيهما، وقد نقل عنها أحد الشرطيين اللذين عثرا على الجثة قولها إن ستيفان مسرور بلا شكّ لحالة السلم التي هو فيها الآن.

"هل كنتِ وستيفان أكثر من مجرد جارين؟".

أومأت بيرغيتا برأسها. "كان منعزلاً جداً، وفقط بعد وفاة إيولفور أن... أقصد، نادراً ما أخبرنا عن نفسه. وبعد أن ترمَّلتُ، تعرَّفتُ عليه بشكل أفضل قليلاً. بدأ يزورني أكثر، ودون أن ندري انتهى بنا المطاف أن..."، سكتت وألقت نظرة سريعة على كونراد. "هل خُيِّل إليك أن...؟".

"إنني أحاول فقط أن أفهم طبيعة علاقتكما".

"لم تكن مثلما تظن".

"ما نوع العلاقة التي نشأت بينكما بعد وفاة زوجك؟".

"كنا صديقين".

"لا أكثر من ذلك؟".

"لا".

"هل أنتِ متأكدة؟".

"ماذا تقصد؟ بالطبع أنا متأكدة. لم يكن ستيفان ميّالاً بتلك الطريقة".

"ميّالاً بتلك الطريقة؟".

حملَقت فيه بيرغيتا. "سألتني عن أصدقائه"، قالت بعد لحظة. "أظن أنك رأيتَ الصورة الفوتوغرافية التي يُبقيها في الجارور قرب سريره".

"نعم".

"ذاك كان صديقه".

تخيَّل كونراد الرجل الأنيق في الصورة. "و؟".

"صديقة العزيز جداً".

"تقصدين أن ستيفان كان...؟".

"نعم".

"دعيني أفهم هذا جيداً. إنك تُخبِريني أن مَن في الصورة حبيبه؟".

"نعم. لذا آمل أن تفهم أنه ما كان يمكن أبداً أن ينشأ أي شيء غير الصداقة بيني وبين ستيفان".

"ماذا حصل للرجل؟ لصديقه؟".

"مات من قصور في القلب بعد بضع سنوات على تعرّفهما على بعضهما، وكانا بالطبع قد أبقيا علاقتهما سرية تماماً، مثلما فعل الناس في تلك الأيام. وبُعيد

وفاة صديقه، وضَّب ستيفان أمتعته وانتقل إلى هڤيراغردي، وعاش لوحده منذ ذلك الحين، وعزل نفسه عن الناس، وكوَّن صداقات قليلة".

"هذا لا يفاجئني. لقد أبقى الصورة في جارورٍ بدلاً من عرضها على الملأ".

"نعم، وأظن أنها عادة قديمة من الحقبة التي كان عليهم إبقاء ذلك النوع من الأمور سرياً".

"لا شكّ أن علاقتك به كانت وثيقة جداً لكي يُطلعك على سره".

"لقد... أصبحنا معجبَين ببعضنا في السنوات القليلة الماضية وأفتقده كثيراً، لكنني لم أُقم أي علاقة أبداً بينما كان إيولفور حيّاً، ناهيك مع ستيفان، إذا كان هذا ما تلمِّح إليه. وفكرة أنني لعِبتُ دوراً في موت ستيفان سخيفة ومنافية للعقل".

"هل لديه أي أنسباء – أقصد الرجل الذي في الصورة؟ أي شخص يمكنني التحدّث معه؟ أي شخص بقي ستيفان على اتصال به؟".

"يبدو أنه كان لديه أخ، لكنه تُوفِّي، ولا أعرف عن أي شخص آخر".

"إذاً فستيفان لم يُخبرك أبداً أنه كان شرطياً هنا في ريكيافيك خلال الحرب؟".

"لا، لم يذكر ذلك أبداً، فهو لم يحبّ أن يتكلّم عن تلك الأيام".

"هل لديك أي فكرة عن السبب؟".

"لا، شَعَرتُ فحسب أنه لم يحبّ الإسهاب في الكلام عن سنوات الحرب، ولم أسمعه أبداً يذكر أي فتاة تدعى روزاموندا".

"ماذا كان يفعل في الأسابيع والأشهر التي سبقت وفاته؟ هل ذكرَ لكِ كيف يُمضي وقته؟"، سأل كونراد.

"ألم نناقش هذا من قبل؟"، سألت بيرغيتا بصوتٍ مرهقٍ، فقد بدا أن زيارة كونراد أجهدتها، واستطاع أن يرى أنها تتوق للتخلّص منه ومن كل أسئلته المتطفّلة في حياتها الخاصة.

قرَّر كونراد إنهاء المقابلة فنهض، لكن بدا له أن بيرغيتا لم تُنهي ما لديها.

"كنتَ تسأل عن زوّار أو أشخاص التقى بهم"، قالت. "عندما فكَّرتُ بالأمر بعد ذلك، تذكَّرتُ قوله لي قُبيل وفاته إنه التقى امرأة أخبَرته شيئاً، ولم يعرف ماذا يفعل به. قال إنه حصل منذ فترة طويلة الآن... لا أعرف إن كان لهذا أي تأثير على القضية التي ذكرتَها".

"مَن هي تلك المرأة؟".
"أعطته بعض المعلومات عن متجر خياطة قديم".
"متجر خياطة؟".
"صحيح. قال إنه لم يعد موجوداً. أقصد المتجر. وكانت ذروته خلال الحرب".
"هل لديكِ أي فكرة ما كانت تلك المعلومات؟".
"لم يشرح لي، بل قال فقط إن الأوان فات على الأرجح".
"هل تعرفين مَن هي تلك المرأة؟".
"لا، لكن وبعد التفكير في المسألة الآن، أظن أنهما كانتا اثنتين، وإحداهما تدعى غيرلوغ أو إسم غير اعتيادي مثل هذا".
"منذ متى حصل ذلك؟".
"آه، أظن منذ حوالي ثلاثة أسابيع".
"وليست لديكِ أي فكرة عن فحوى الموضوع؟".
"لا، أخشى أنني لا أعرف".

أمضى كونراد أمسيته يبحث عن معلومات عن شركات الخياطة القديمة، ووجد مما استطاع أن يكتشفه أنه كانت هناك عدة متاجر تقدِّم خدمات إصلاح وخياطة في ريكيافيك خلال الحرب ولعدة سنوات بعدها، فالخيّاطات في ذلك الزمن كنَّ جزءاً من الحياة اليومية بما أنه لم يكن يتوفر الكثير من الملابس الجاهزة في المتاجر، والناس معتادون على شراء أقمشة وتحويلها إلى فساتين ومعاطف أو أغطية أسرّة وستائر، والمتاجر الكبيرة تقدِّم خدمات خياطة خاصة بها، باستخدام الأقمشة التي تبيعها، وهذا أمرٌ لم يعد رائجاً منذ مدة طويلة.

شرِب كونراد كوب شرابه «الذراع الميتة» دفعةً واحدةً، وشَعَر أنه ثَمِلَ قليلاً، وشردت أفكاره عائدةً به إلى أبيه وعالم الأرواح، إلى البقايا البشرية التي أُعيد دفنها بناءً على توصية النفسانيين، وإلى العظام التي لم يُعثر عليها أبداً.

عندما أنهى القارورة، راح يفكِّر بما كشفته له بيرغيتا عن ثورسون وحبيبه، وتذكَّر البُقع الصغيرة على صورة الشابّ في الجارور، وكان قد افترَض أن شيئاً سُكب عليها، لكنه أيقن الآن أنها آثار دموع ثورسون.

28

بما أن غيرلوغ ليس إسماً شائعاً، قرّر كونراد أن أفضل خيار لديه هو أن يتصل بكل الأسماء غيرلوغ المذكورة في دليل الهاتف الإلكتروني المنشور على الانترنت، ويسأل إن يصدف أنه كانت لهنّ علاقة بخيّاطة قديمة في ريكيافيك، وأنهن سمِعن برجل يدعى ثورسون، وإذا كان الأمر كذلك، إن كنَّ قد التقينه قُبيل وفاته. لم يستطع أن يجد أي غيرلوغ مذكور أن وظيفتها "خيّاطة"، وافترَض أن المصطلح لم يعد يُستخدَم منذ وقت طويل على أي حال. وإذا تبيَّن له أن المرأة التي يبحث عنها سابقة لدليل الهاتف، سيكون عليه أن يتعقّبها بوسيلة أخرى غير مباشرة.

بدأ يعمل على لائحة أسماء غيرلوغ بطريقة نظامية عند استراحة الغداء في اليوم التالي، فقد أطال في النوم على غير عادته حيث أنه أوى إلى السرير في وقت متأخر، ولم يستطع أن ينام رغم كل شراب العنب، وبقي مستيقظاً لساعاتٍ وهو مكتئب من مصير العجوز ثورسون. فكّر بحبيب ثورسون، وكيف يبدو أن المهندس عاش لوحده منعزلاً عن العالم منذ أن فَقَده. ثم انتقلت أفكاره من هناك إلى علاقة ثورسون ببيرغيتا، وسأل نفسه إن كان هناك أي احتمال، رغم إنكارها المُطلَق، أنها يمكن أن تكون قد ساعدته في رحيله كفعل رحمةٍ.

لقد استيقظ ولديه صُداع ما بعد الثمالة، فشرِب عدة فناجين قهوة، مع ابتلاع كوب ماء بين كل فنجان وآخر، لكنه وجد أن شهيته مسدودة. جلَس يحدِّق في الفراغ إلى أن استجمَع قوته أخيراً ليبدأ مهاتفة الأسماء غيرلوغ. هناك أرقام خطوط أرضية وهواتف جوّالة مذكورة لمعظمهن، لذا إذا لم يُجبنَ على أرقام منازلهن، سيجرِّب أرقام هواتفهن الجوّالة. سيدّعي أنه أحد معارف ستيفان – وسيتجنَّب أي ذكر لـ "ثورسون" – ويشرح أنه يحتاج إلى التحدّث مع امرأة تدعى غيرلوغ تواصلت معه مؤخراً. أجابت معظم النساء على مكالمته، لكن إحداهن لم تكن قادرةً على الردّ عليه في حينه، فعاودت الاتصال برقمه وسألته إن حاوَل الاتصال بها. كلهن لا يعرفن ستيفان ثورذارسون، لكن اثنتين تذكَّرتا أنهما ربما

سمِعتا الإسم في نشرة الأخبار. لم تدم المحادثات طويلاً، ولم تُبدي النساء اهتماماً كبيراً بمعرفة هوية كونراد. "لا شكّ أنك حصلت على الرقم الخطأ"، هو الجواب الأكثر شيوعاً الذي تلقاه منهن. فقط امرأة أو امرأتان من النساء اللواتي بدَونَ كبيرات في السنّ أظهرنَ فضولاً في معرفة المزيد عنه، لكنه لم يضيِّع وقته في الشرح، فعندما يجد أنهن لا يعرفن ستيفان، يُنهي المكالمة بسرعة.

استهلكت المهمة معظم وقت بعد الظهر، وراح يستمع إلى الراديو بين المكالمات، أو يقلِّب الأوراق، أو يضيِّع الوقت في التجوّل على الانترنت. ثم رنَّ هاتفه في وقت متأخر من بعد الظهر.

"نعم، مرحباً"، ردَّ.

"هل حاوَل شخصٌ من هذا الرقم الاتصال بي؟"، سأل صوت أنثى تبدو مسنّة.

"هذا ممكن"، قال كونراد. "هل إسمك غيرلوغ؟".

"نعم، مَن معي من فضلك؟".

"إسمي كونراد. آسف لإزعاجك هكذا لكنني من معارف ستيفان ثورذارسون، وقد مات مؤخراً".

"آه؟".

"ربما رأيتِ ذلك في نشرة الأخبار. يبدو أنه قُتل في منزله، وأظن أنكِ تكلَّمتِ معه قبل وقت قصير على وفاته".

"نعم، تكلَّمتُ معه"، قالت المرأة. "فقد اتصل بي، مثلك تماماً".

"حقاً؟".

"نعم، وليست لديَّ أي فكرة كيف عثر على إسمي. لم يشرح لي، بل قال فقط إنه سمِع أنني عرَفتُ امرأة يحاول التواصل معها".

"إذاً فأنتما لم تلتقيا؟".

"آه لا، تكلَّمنا فقط على الهاتف".

"عما سألك بالضبط؟".

"ذكّرني بإسمك من فضلك؟".

"إسمي كونراد وكنتُ أعرف ستيفان. إنني أساعد الشرطة في التحقيق في موته".

"هل عرَفتم ما الذي حصل؟".

"لا، ليس بعد. هل يمكنكِ أن تُخبِريني لماذا أراد التكلّم معك؟".

"كان يحاول العثور على صديقة قديمة لي"، قالت غيرلوغ. "احتجتُ إلى وقت طويل لأفهم ماذا أراد في الواقع، لكن كل شيء اتّضح في النهاية. لقد سمِع أنني قد أكون قادرةً على جعله يتواصل معها، وهو لم يكن يعرف إسمها حتى".

"وما هو إسمها؟".

"صديقتي؟ تدعى پترا. الأمر يتعلق بأمها، هذا ما أخبَرتني إياه پترا بعد ذلك. كان يطرح أسئلة عنها". ثم سكتت غيرلوغ كما لو أنها أنهت ما لديها لتقوله.

"ماذا بشأن أمها؟"، سأل كونراد.

"أم پترا؟".

"نعم".

"كانت تدير متجر إصلاح وخياطة خلال الحرب، وكان ستيفان مهتماً جداً به لسبب من الأسباب".

"بمتجر الخياطة؟".

"نعم، وتحديداً بفتاة كانت تعمل هناك تدعى روزا-شيء، أعتقد أن هذا ما قالته پترا. لقد اتّصلت بي بعد أن أنهيا مكالمتهما، فقد عرَفت أنني أعطيتُه إسمها".

"هل يمكن أن يكون الإسم روزاموندا؟".

"نعم، روزاموندا، هذا صحيح".

"ماذا بشأنها؟".

"لقد عُثر عليها مقتولةً خلف المسرح الوطني خلال الحرب. هل يبدو هذا مألوفاً؟".

"نعم، في الواقع"، قال كونراد. "لماذا كان ستيفان مهتماً جداً بها؟".

"لا أدري، لكنه طرح أسئلة كثيرة عنها. ربما يجب أن تتكلّم مع پترا بنفسك. هل تريد رقمها؟ لقد دوّنته هنا في مكان ما. لحظة من فضلك..."

29

من الواضح أن پترا لم تنسج على منوال أمها: فلم تصبح خيّاطة ولم تُكمل إدارة متجرها. في الواقع، وبناءً على ملابسها، بدا جلياً أنها لا تهتمّ للموضة أبداً. وعندما جال كونراد بنظره في أرجاء منزلها، لم يستطع أن يرى أي أعمال تطريز، أو أي دليل على حماستها للحِرف اليدوية، بل بدا له كما لو أنها لا تزال تتمرَّد على كل شيء مثّلته أمها، رغم تخطيها منتصف عمرها بمقدار جيد، وقد تبيَّن له أنها أكبر منه ببضع سنوات وأخذت لنفسها تعليماً، مثلما يُقال عن الأشخاص الذين يبقون في المدرسة ليخضعوا لامتحانات قبولهم في الجامعة، لكنها لم تُكمل دراستها إلى الجامعة، بل استقلّت زورقاً إلى أوروبا وأخذت تسافر، قبل أن تعود إلى الوطن وتشغَل وظيفة إدارية في المستشفى الوطني، حيث عمِلت معظم فترات مسيرتها المهنية إلى أن حصل الانهيار المصرفي، وقد فُصلت عندها من العمل نتيجة خفض عدد الوظائف في القطاع الصحي. وهي بالإضافة إلى ذلك مطلَّقة مع أربعة أولاد، وما وصفَته بكومة أحفاد فاتنين.

سرعان ما اكتشف كونراد أنها لا تضجر أبداً من التكلّم عن نفسها، لكنها تتردَّد في مقاطعة الحديث. إنها تعيش في مبنى سكني في الطرف الشرقي كانت قد انتقلت إليه بعد طلاقها حيث إنها أُجبرَت على التخلّي عن منزل العائلة المنفصل الكبير في منطقة غارذابارير الراقية. يبدو أنها وزوجها ضجِرا من بعضهما البعض بسرعة بعدما طار أولادهما من العش.

عندما حصل كونراد أخيراً على فرصة لينطق بكلمة، اتّضح له أن پترا مهتمة جداً بموت ستيفان، وطرحت أسئلة كثيرة بَذَل قُصارى جهده ليُجيب عليها دون إفشاء أي تفاصيل قد تهدِّد التحقيق، قائلاً فقط إن ظروف وفاة ستيفان غير اعتيادية جداً، وإن تحقيق الشرطة يُحرز تقدّماً جيداً، وهو نفسه ليس ضالعاً فيه بشكل مباشر، لكن طُلب منه أن ينظر إلى إحدى نواحي القضية. وقد أثبتت پترا أنها لا تقلّ فضوليةً عن كونراد نفسه وأمطرته بوابل من الأسئلة حاوَل الردّ

عليها بقدر ما يستطيع، وهو يشعر أنه من العدل أن يكون ودوداً ولو قليلاً، نظراً إلى أنه أتى إلى هنا ليستخلص معلومات منها.

نجح بعد طول انتظار من أن يوجِّه الحديث إلى زيارة ستيفان، وأخبرته پترا أنه زارها منذ حوالي أسبوعين قبل أن تقرأ نبأ وفاته في الصحيفة، وقد تعرَّفت عليه فوراً عندما ملأت صورته كل وسائل الإعلام، لكن لم يخطر ببالها أبداً أنها قد تكون قادرةً على مساعدة الشرطة في تحقيقاتها.

لقد أدارت أمها متجر خياطة حتى منتصف الستينات عندما باعته بعد أن أصبحت الثياب المستورَدة الرخيصة شائعة نوعاً ما في ذلك الوقت، وازداد كثيراً عدد المتاجر التي تبيعها، وبدأت المتاجر الكبرى التي تقدِّم خدمات إصلاح وخياطة تُغلق أبوابها الواحدة تلو الأخرى. وقد ماتت والدة پترا عام 1980، ثم مات أبوها لاحقاً.

پترا وغيرلوغ صديقتان منذ الكلّية، وقد أخبَرها ستيفان أنه أثناء دردشته مع إحدى معارفه المهندسات القدامى التي تعرف غيرلوغ جيداً، ذكرت له بطريقة أو بأخرى أنها كانت تعرف والدة پترا التي أدارت متجر خياطة خلال الحرب. بدا لستيفان أن ذلك المتجر مألوف لديه، وأصبح يقظاً جداً قائلاً إنه متيقّن أنه التقى المالكة ذات مرة.

"هل تعرفين أين التقى ستيفان تلك المهندسة؟"، سأل كونراد.

"في جنازة، حسبما أخبَرني. فقد قرأ نعي امرأةٍ كانت تعمل لدى أمي، وذهَب إلى جنازتها لسبب من الأسباب، وقابل المهندسة صُدفةً هناك".

"إذاً فالمرأة عمِلت لدى أمك خلال الحرب؟".

"نعم، خلال الحرب، وأظن لعدة سنوات بعدها. كل ذلك مشروح في النعي".

"و...؟".

"كانت صديقة تلك الفتاة روزاموندا التي قُتلت، وستيفان استجوبها وقتها فيما يتعلق بتحقيق الشرطة، أو هذا ما جعلني أعتقده. لقد صادف ذِكر متجر الخياطة في النعي، وأظن أنه شَعَر برغبة عارمة ليعرف المزيد عنها، ربما لأنه تذكَّرها من الأيام الخوالي. على أي حال، قرَّر حضور الجنازة، وقابل صُدفةً المهندسة التي يعرفها – لا أعرف كيف – وبدأت تُخبره كيف أنها التقت المرأة الميتة، وعن الرابط

بمتجر خياطة أمي. ثم صدفَ أن ذكرت المهندسة غيرلوغ وأننا صديقتين... ثم كلمة من هنا وكلمة من هناك، أو هذا ما أخبَرني إياه، وأنا لا أعرف حجم الحقيقة في ما قاله لي".

"أشكّ كثيراً بأنه كان يكذب"، قال كونراد. "يبدو لي أن ستيفان كان رجلاً نزيهاً تماماً".

"نعم، هكذا بدا لي أنا أيضاً"، قالت پترا. "قال إنه استجوب أمي وقتها، برفقة رجل آخر، شرطي نسيتُ إسمه، كجزء من التحقيق بجريمة القتل".

"هل أتى لزيارتك بشأن شيء محدَّد؟"، سأل كونراد. "أي شيء مرتبط بالتحقيق مباشرة؟".

"لا، لا أعتقد، ليس في البداية على أي حال. قال إنه يفكّر بروزاموندا من وقت لآخر، وإنه سيكون ممنوناً لو أُتيحت له الفرصة أن يلتقي بي. كان مهذّباً جداً، ولا يمكنك أن تخمّن عمره أبداً من مجرد النظر إليه، ولم يبدُ مُصاباً بالتهاب المفاصل أو الوهن أبداً، لكنه قال عندها إنه لطالما عاش حياةً صحيةً".

"نعم، بدا سليماً صحياً لرجل في مثل سنّه".

"نعم، لذا... ندِمتُ على التسبّب له بصدمة".

"صدمة؟".

"لم أعتقد أن ذلك مهمٌ أبداً، لكن من الواضح أنه صدمه بشكل مختلف تماماً، وتحمَّس فجأة، وبدأ يقول إنه لا يمكنه فهم أمي، وكيف أمكنها أن تفعل شيئاً كهذا – بعدم إخبارهم".

"ماذا؟ ماذا فعلت؟ لم تُخبرهم عن ماذا؟".

"عن شيء صغير أخبَرتني إياه أمي بعد ذلك بعدة سنوات. كنتُ قد أصبحتُ كبيرةً في الواقع حين أخبَرتني، ولم يخطر ببالي أبداً أنه أمر مهم".

"ماذا أخبرتكِ وجعل ستيفان متحمِّساً جداً؟"، سأل كونراد وهو يكافِح ليُخفي نفاد صبره.

"تحتاج إلى فهم أمي حقاً، وقد حاوَلتُ جعله يرى ذلك"، قالت پترا. "كانت امرأة مضحكة من بعض النواحي، ويجب أن تكون على معرفة جيدة بها لكي تقدِّر طريقة عمل ذهنها، خاصة في الأيام الخوالي، فيما يتعلق بزبوناتها. أعترف

أنها كانت متكبِّرة جداً، فهكذا كان الناس في تلك الأيام، ينظرون بازدراء كبير إلى الآخرين، ويسمّونهم العامة، الخ، وهي مثلاً كانت لا تزال تستخف بموظفات المتجر حتى وفاتها. لقد كانت أسيرة سلوكها، ولا تُطاق فيما يخص معارفها الاجتماعية، فتذكر أسماء مشاهير للتباهي دائماً، وتتبجّح كيف أن فلانة زبونة لديها وتعامِلها دائماً كمساوية لها - وهكذا صنف من الأمور. كما تقول، 'تتردَّد دائماً على متجري'، كلما ذُكرت عجوزةٌ شمطاء مغرورةٌ في الحديث".

غير متأكد كلياً من مدى صلة كل هذا بموضوعه، شَعَر كونراد أنه من الأفضل له أن يُبقي فمه مغلقاً، فهو الآن يفهم على الأقل سبب الغياب الكامل لأعمال التطريز في منزلها، وبدأ يلمس برودة جليّة في موقف پترا تجاه أمها.

"مثلاً، كانت معتادة أن تعامل بعض زبوناتها معاملة تمييزية، وقد شَعَرت أن الثقة هي الركن الأساسي لمهنتها، وبقيت تحترم ذلك المبدأ حتى وفاتها. هذه هي الطريقة التي عمِلت بها، ولم تثرثر عن زبوناتها أبداً، وشَعَرت أنها جزء من حياتهن الخاصة تقريباً، وأنهن يثِقن بها، ويأتين إليها بحاجاتهن بسبب ذلك التكتّم خصيصاً".

"لكن كيف أثّر ذلك على ستيفان؟ لماذا أزعجه ذلك؟".

"آه، لا، لم يكن بسبب ذلك - ليس بسبب طبيعتها، بل بسبب ما لم تُخبرهم إياه".

"وماذا كان؟".

"الأمر يتعلق بروزاموندا. لا أعرف حقاً لماذا بدأتُ أُخبره ذلك - أقصد، ستيفان. لا أعرف لماذا كان يجب أن يكون مهماً جداً".

"*ماذا* أخبرته؟"، سأل كونراد وقد بدأ ينفد صبره حقاً.

"أن أمي قالت إنها صادفت روزاموندا ذات مرة في الباحة التي خلف المتجر تبكي وشعرها أشعث، حسب تعبير أمي، وقد رفَضت روزاموندا أن تُخبرها ما الخطب، لكن أمي أعادتها إلى منزلها على أي حال لأن المسكينة كانت في حالة يُرثى لها، وكل ما عرَفته أمي هو أن روزاموندا ذهَبت في وقت سابق من ذلك اليوم لتوصيل فستان إلى منزل في البلدة، وكانت قد عادت للتو من هناك عندما رأتها أمي في الباحة. لم تتطرق الفتاة إلى الحادث مرة أخرى أبداً، لكنها رفضت

بشكل قاطع أن تقوم بأي عمليات توصيل أخرى إلى ذلك العنوان بالذات، ولم تناقش أمي المسألة مع أي شخص أبداً لأنها لم تعرف القصة الكاملة. لقد أخبَرتُ ستيفان أن هذا الأمر نموذجيٌ، فأمي ما كانت لتشكّ بأولئك الأشخاص أبداً، ولو بعد مليون سنة".

"لماذا تشكّ؟".

"بسبب ما حصل للفتاة لاحقاً".

راح كونراد يحدِّق بيترا عندما بدأ مغزى قصتها يتضّح له تدريجياً، ووثاقة صلتها بالتحقيق وبثورسون. كيف شَعَر عند عِلمه هذا التفصيل بعد مدة طويلة على وقوع الحدث؟ وفقاً ليترا، شكَّل له ذلك صدمةً، على أقل تقدير.

"هل اعتقدت أمك أن هناك صلة بين الحادث وموت روزاموندا؟"، سأل أخيراً.

"اشتبهت أمي بأنها ربما مرَّت بتجربة بغيضة في المنزل، وبمجرد الاحتمال نغَّص عليها حياتها في سنواتها الأخيرة".

"هل حصل ذلك قبل وقت قصير على مقتل روزاموندا؟".

"نعم، قبله ببضعة أشهر"، قالت بترا. "لم تتقصَّد أمي أن تُخبِرني، بل باحت به عن غير قصد، وقد شعرتُ أنه جعلها مكتئبة، لكن من الواضح أن التكلّم عنه جعلها تشعر بعدم الارتياح، لذا لم أعلِّق على الموضوع".

"لماذا كانت روزاموندا تبكي؟ ولماذا رفضت الذهاب إلى ذلك المكان بعدئذ؟".

"لم تعلم أمي، فقد لزمت روزاموندا الصمت ولم تقل كلمة أخرى عن المسألة. أمي تعرَف مَن هم أولئك الأشخاص – كانوا زبائن مهمين، ولم ترغب أن تصدِّق أنه يمكنهم إساءة معاملة الفتاة، وقد جهدت لعدم لفت أي انتباه إلى الحادث. سيكون عليك أن تفهم أمي، فبنظرها، زبوناتها أشخاصٌ لا يمكن المساس بهم".

"هل كانت أمك الشخص الوحيد الذي عرَف؟".

"نعم، أنا متأكدة من ذلك تماماً".

"إذاً فروزاموندا كانت تختبئ في الباحة وهي تبكي وشعرها أشعث؟".

"ظنَّت أمي أنها تعرَّضت لاعتداء، لكن عندما حاوَلت أن تساعدها، رفضت روزاموندا، لذا تركت أمي الأمور عند ذلك الحدّ. وأعتقد أنها ندِمت على قرارها

لاحقاً بعدم فعل المزيد للفتاة".

"وكانت قد عادت للتو من توصيل الفستان إلى منزل تلك الزبونة؟".

"نعم. لكن أمي ما كانت لتشتبه بهم أبداً، فهذه هي طبيعتها".

"ومع ذلك كان الموضوع لا يزال يقضّ مضجعها؟".

"نعم، على ما يبدو. كانت لا تزال تفكّر فيه قبل وفاتها مباشرة".

30

لم يكن الشابّ الذي يناديه طاقم الطريق في الشمال "الأستاذ" في منزله، وهو عبارة عن شقة قبو ضيقة وضيعة في أولدوغاتا، عندما وصل فلوفنت وثورسون إلى هناك، وكانا قد أسرعا عائدين إلى ريكيافيك بعد لقائهما براندور في پاترسون فيلد وحصولهما منه على إسم الشابّ كدليل جديد. وبناءً على ذاكرة مراقب العمّال الضبابية بأن الفتى ذهب جنوباً للدراسة، توجّها مباشرة إلى مبنى الجامعة الجديد في غرب البلدة، حيث اكتشَفا أنه في السنة الثانية اختصاص بالتاريخ الآيسلندي. سُمح لهما برؤية جدول حصصه، واستنتَجا أنه غادر على الأرجح لهذا اليوم، ولم يُبدِ مكتب الجامعة أي اعتراض على إعطائهما عنوانه.

جلَس فلوفنت وثورسون في السيارة المركونة على مرمى حجر من القبو، وراحا يراقبان المارّة في الشارع يسيرون على عجلة من أمرهم مع حلول الغسق، وهما لا يزالان ينتظران الطالب. لقد تكلّما مع بقية النزلاء، لكنهما لم يحصلا على معلومات كثيرة منهم، فالطالب سكنَ في القبو في احتفال الشتاء الماضي، ولم يُحدث أي ضجة أو يسبِّب أي متاعب أبداً، بل العكس هو الصحيح في الواقع، فهو يُعتبر شاباً هادئاً ومهذّباً ومُسالِماً تماماً، ولم يشعروا أبداً أنه زير نساء، أو حتى يواعد أي فتيات. بالطبع أن كونه طالباً لن يوفّر له الوقت لذلك النوع من الأمور، فهو غارق في كتابٍ دائماً، رغم أن لديه هوايةً واحدةً على الأقل بعيداً عن دراساته وهي مراقبة الطيور، حيث يرون من وقت لآخر منظاراً ذا نوعية جيدة يتدلّى على رقبته بحبل جلدي فيعرفون أنه ذاهب في إحدى جولاته لمراقبة الطيور في شبه جزيرة سلتيارنرنس القريبة أو أبعد من ذلك.

أراد فلوفنت أن ينتظرا ليريا إن كان الشابّ سيعود إلى منزله قبل أن يحاولا تعقّبه بوسائل أخرى، لكن جهاز التدفئة في السيارة لا يعمل بشكل صحيح وقد انخفضت الحرارة مع حلول المساء، لذا جلَسا هناك ينتظران وهما يشعران ببرد قارس وجوع قوي. معظم الناس يتناولون العشاء عند ساعة كهذه، لذا بالكاد

كان هناك أي شخص في الأرجاء، وتذكَّر فلوفنت أباه الذي انتظَر دائماً عودته إلى المنزل قبل أن يتناول الطعام، رغم أن فلوفنت بقي يُخبره بشكل متكرر أن يبدأ بالأكل من دونه، ثم تخيَّل العجوز يأخذ قيلولة على الأريكة في المطبخ وهو مُنهَك بعد مشقّة يوم طويل على أرصفة المرفأ.

"إذا تبيَّن أنه رجلنا، لا داعي لأن تتورَّط في الأمر أكثر من ذلك"، علَّق فلوفنت بعد صمت طويل. "لن يكون للجيش أي علاقة بالقضية".

"لما لا ننتظر ونرى؟"، قال ثورسون.

"نعم، بالطبع، لكن يبدو لي كما لو أن تركيز التحقيق ابتعد عن مسؤوليتك – أقصد مسؤولية الجيش".

"هذا ما يبدو"، أقرَّ ثورسون. "لكن رغم ذلك، أودّ رؤية خاتمة هذه القضية، إذا لم يكن لديك مانع".

"لن أمانع"، قال فلوفنت. "كل مساعدة ممكنة أتقبّلها بكل امتنان".

"جيد".

"اعتقَدتُ أنه ربما لديك أمور أخرى تُشغِلك أهم من هذه القضية، وقد بقيتَ هادئاً بشكل غير عادي طوال اليوم".

"نعم، آسف، هناك أمور كثيرة تُشغِل بالي".

"بالطبع، لا شكّ أن لديك قضايا كثيرة خاصة بك عليك الاهتمام بها"، قال فلوفنت. "وأجرؤ على القول إنها ليست سهلة أيضاً".

"أصبتَ تماماً".

فلوفنت محقٌّ بأنه بقي مشتت الذهن طوال اليوم، فهناك عشرات آلاف الجنود المكتظين في منطقة محصورة، وكل يوم تقع حوادث جديدة تلفت انتباه الشرطة العسكرية بشكل حتمي. الشجارات الطفيفة أمر شائع – ويتم القبض على مثير المتاعب دائماً – لكن بعض الحالات مُخزنة أكثر، مثلما قد تتوقع عندما تكون المعنويات منخفضة، فالعالم في حالة حرب والشباب الذين يُرسلون عبر المحيطات والقارات ليحاربوا العدو ليسوا كلهم مؤهَّلين بنفس الدرجة لهذه المهمة. بالتأكيد هناك المتهوِّرون الذين يتلهّفون لخوض المعارك ونيل فرصة إطلاق النار على العدو، لكن الآخرين يعيشون مرتعبين مما يخبئه لهم المستقبل وهم بعيدون عن أحبائهم،

بعيدون عن الحالة السويّة، بعيدون عن الحياة التي عرَفوها. والليلة التي عُثر فيها على جثة روزاموندا، كان ثورسون في خليج ناوثولسفيك، على الجهة الأخرى لأوسكجوليد، في مجموعة الأكواخ المصنوعة مسبقاً التي تضم المحطة البحرية. أثناء قيادته إلى هناك، تذكَّر ثورسون اليوم الذي سنحت له فيه فرصة إلقاء نظرة خاطفة على ونستون تشرشل عندما توقَّف في آيسلندا في أغسطس 1941، في طريق عودته من اجتماع منتصف الأطلسي مع الرئيس روزفلت، لكن ثورسون مستدعى حالياً إلى ورشة لتصليح الأحذية داخل أحد الأكواخ اختار فيها جندي يافع أن يُنهي حياته بدلاً من أن يواجه رشّاشات العدو. لقد أتى ذلك الفتى، الذي بلغ العشرين من عمره للتو، من بلدة صغيرة في كنتاكي، وقد وصفه أصدقاؤه بشخص مبتهِج وودود، لكن خائف، مثل الكثيرين غيره، من أن يُرسَل إلى الجبهة بعد أن انتشرت إشاعات عن نقل وشيك للجنود من آيسلندا إلى بريطانيا استعداداً لغزو الحلفاء لفرنسا. لم يستطع أحدٌ إيجاد تفسير آخر لتصرّفه اليائس، فهو لم يترك أي رسالة انتحار، ولم يكن لدى أي من أصدقائه أي فكرة أنه ينوي أن يفعل ذلك، رغم أنه بدا في الأسابيع الأخيرة قلِقاً ومتخوّفاً على مستقبله. لم يظنوا أنه فعل ذلك بسبب قلبٍ مجروحٍ، فلم تكن لديه حبيبة في الوطن، ولم يكن على علاقة بأي فتيات آيسلنديات، وقد وجدوا أن محفظته تحتوي على بضعة دولارات وصورة فوتوغرافية لأمه وأختيه.

"تلك القضايا صعبة دائماً"، قال فلوثنت عندما شرَح ثورسون عن الشابّ.

"إنها صعبة حتماً"، قال ثورسون. "الكثير من الفتيان خائفون".

"ماذا عنك؟ هل تفكّر في الأمر كثيراً".

"ليس حقاً. لديَّ ما يكفيني لأفكّر فيه".

"هل كنت تعرف الجندي من معسكر ناوثولسفيك؟".

"لا أبداً. وفقط البارحة علِمتُ أنه مرَّ بوقت عصيب منذ وصوله إلى هنا".

"حقاً؟".

"نعم، بقي يتعرَّض لتنمُّر بغيض".

"لماذا؟".

"أخبَرني رجل في سريته أن السبب هو لأنه لم يكن من محبي السيدات، بل

العكس تماماً –"

"هل هذا هو؟"، قاطَعه فلوڤنت وهو ينكزه.

رفع ثورسون نظره سريعاً ورأى شاباً يقترب عبر أولدوغاتا. إنه طويل وأشقر الشعر، ويرتدي سترة سميكة محشوة بالريش وحذاءً متيناً، ويحمل منظاراً في إحدى يديه. خطا بخطوات كبيرة على الطريق وهو مُخفِض رأسه ومستغرق في التفكير، ثم استدار لينزل المسار الضيق الذي يؤدي إلى باب القبو.

خرَج فلوڤنت وثورسون من السيارة وتبِعاه على مسافة قصيرة. دخل الشابّ منزله وقبل أن يُغلق الباب، ظَهَرا له عند المدخل مما جعله يجفل تماماً عندما لاحا له من الظلمة. من الواضح أنه لم يكن يتوقع أي زوّار.

"ماذ...؟"، قال وفمه فاغر للرجلين.

"مساء الخير يا سيدي. هل يصدف أنك جوناتان؟"، سأل فلوڤنت.

"أنا؟ نعم".

"نحن من الشرطة، ونودّ أن نتكلّم معك عن قضية نحقّق فيها. هل تمانع لو دخلنا يا سيدي؟".

"الشرطة؟"، ردَّد جافلاً. "أي قضية؟".

"هل يمكننا الدخول لدقيقةٍ؟".

راح الشابّ ينظر نظرات فاحصة من فلوڤنت إلى ثورسون، وبدا حائراً كلياً.

"أي قضية؟"، سأل مرة أخرى.

"تتعلق بشابة تدعى روزاموندا"، قال ثورسون.

"وشابة ثانية من أوكسافيوردور تدعى هروند".

كان الطالب قد بدأ يهمّ بخلّع سترته، ولا يزال يحمل المنظار في يده، لذا وَضَعه جانباً، ثم علَّق سترته على وتدٍ، وفلوڤنت وثورسون ينتظرانه.

"نعم، آسف، تفضّلا"، قال الشابّ. "لا أرى ما... كيف يمكنني مساعدتكما. هل قلتما إنكما شرطيان؟".

"هل كنتَ تراقب الطيور يا سيدي؟"، سأل فلوڤنت وهو يومئ نحو المنظار.

"كنتُ أراقب طيور الغاق في سلتيارنرنس. اسمع، لا داعي لمناداتي 'سيدي'".

"هل أنت مهتم بالطيور؟".

"نعم".

"أخبِرني، هل عمِلت ضمن طاقم الطريق في أوكسافيوردور أو حولها منذ حوالي ثلاث سنوات؟"، سأل فلوفنت وهو يُغلق الباب خلفهم. قاد الشابّ زائرَيه غير المتوقعَين إلى غرفة صغيرة للنوم والجلوس تحتوي على سرير نقّال في إحدى زواياها يتألف من لحاف وبطانيات، ومكتب تحت نافذة مرتفعة في الجدار، ورفوف كتب على جدارَين، كما احتوى القبو الضيق على مطبخ صغير جداً وحمّام أصغر حتى.

"كنتُ أعمل على الطرقات هناك، نعم".

"علِمنا أنك من الشمال"، قال ثورسون. "هل تعلَّمتَ في المدرسة هناك؟".

"نعم، هذا صحيح. في كلّية أكوريري".

راح فلوفنت يتأمل الغرفة الصغيرة، وجال بنظره على الكتب الموضوعة على الرفوف والمكتب، والملفات، والمواد المرتبطة بدراسة جوناتان، وآلة كاتبة قديمة تحتوي على ورقة مكتوبة عليها بضعة أسطر قبل الاستسلام لسحر طيور الغاق في سلتيارنرنس. بجانب الآلة الكاتبة، يوجد منفضة تحتوي على أعقاب عدة سجائر، وعلى جهتها الأخرى هناك علبة لاكي سترايك وعلبة ثقاب.

حدَّق فلوفنت بعلبة السجائر، ثم نظر إلى ثورسون الذي لاحَظها أيضاً.

"ما الذي تعمل عليه؟"، سأل فلوفنت وهو يومئ إلى الآلة الكاتبة.

"إنني أكتب أطروحةً لشهادتي في التاريخ الآيسلندي في الجامعة. ماذا تريدان مني بالضبط؟ ما... لماذا أنتما هنا؟".

"هل كنتَ تعرف فتاةً تدعى روزاموندا؟"، سأل ثورسون.

"لا".

"هل أنت متأكد من ذلك؟".

"نعم، ينبغي أن أعي هكذا أمر. لا أعرف أي شخص بهذا الإسم".

"وماذا بشأن هروند؟".

راح الشابّ ينظر إلى فلوفنت يبحث بين الملفات الموضوعة على مكتبه، ثم تقدَّم إلى خزانة الكتب وراح يتفحَّص عناوين الكتب.

"هل تعرَّفتَ على فتاة تدعى هروند عندما كنتَ تعمل على الطرقات في أوكسافيوردور؟"، حاوَل ثورسون مرة أخرى.

بقي الطالب يثبّت نظره على فلوفنت. "عما تبحث؟"، سأل كما لو أنه لم يسمع سؤال ثورسون.

"هذه الكتب...؟".

"ما بها؟".

"عما تكتب؟"، سأل فلوفنت وهو يستدير نحوه.

"إنني أكتب أطروحةً"، كرَّر جوناتان. "إنها عن... حسناً، أمور متنوعة".

"هل تجمِّعها؟".

"لا، لستُ هاوي تجميع. الكثير منها تأتي من مكتبات، وأحتاج إليها لبحثي".

استدار فلوفنت إلى الرفوف مرة أخرى، وأخرجَ كتاباً وفتحه.

"من الواضح أن مراقب العمّال لم يكذب".

"مَن؟".

"مراقب العمّال المسؤول عن طاقم الطريق. قال إنك مفتون بالتراث الشعبي".

"عما تتكلَّم كل هذه الكتب؟"، سأل ثورسون.

"معظمها يتمحور حول الحكايات الشعبية والأساطير الآيسلندية"، ردَّ فلوفنت وهو ينظر إليه نظرة ذات مغزى. "قصص عن الأشباح، وصخور الأقزام، والأرض المحرَّمة، وشعب الهولدو"، أضاف وهو يقرأ من صفحة محتويات المجلد الذي يُمسكه.

"أستخدم الكتب لبحثي"، قال الطالب. "أطروحتي تتعلق بالمعتقدات الشعبية الآيسلندية، من المستوطنات حتى يومنا الحالي".

"هل كنت تعرف هروند، الفتاة التي ذكرتُها؟"، سأل ثورسون عائداً إلى موضوعه السابق.

راحت نظرات جوناتان تتنقَّل ذهاباً وإياباً بين الرجلين. "أعرف مَن كانت"، أقرَّ أخيراً. "هل تقصد الفتاة التي يُقال إنها رمت نفسها في ديتيفوس؟".

أومأ فلوفنت برأسه.

"أُدرك مَن كانت، لكنني لم أعرفها أبداً".

"هل تعرف إن كانت مهتمةً بالحكايات الشعبية؟".

"إن كانت مهتمة بها؟".

"نعم".

"لماذا... لم أفعل أي شيء لإيذائها إذا كان هذا ما تسأل عنه. أنا لم ألمسها أبداً. ألهذا السبب أنتما هنا؟".

"لماذا تعتقد أن شخصاً أذاها؟"، سأل فلوفنت. "نحن لم نقل أي شيء يمكن أن يوحي لك بهكذا فكرة".

راحت نظرات جوناتان تتنقّل باضطراب من أحدهما إلى الآخر في غرفة النوم والجلوس الضيقة والوضيعة تلك، كما لو أن الجدران تُطبِق عليه.

"لا أعرف شيئاً عنها"، قال محتجّاً. "أُقسِم بذلك".

31

تحرَّك ثورسون بشكل غير ملحوظ تقريباً ورابَطَ عند باب الرواق، وأخذ فلوقنت يتأمل الشابّ الذي بدا مضطرباً الآن بعد أن أدرك سبب زيارة الشرطيين، وراحت عيناه تتنقّلان ذهاباً وإياباً بين فلوقنت وثورسون، وحدَّب جسده الضامر بطريقة دفاعية. لقد فاجأهما إنكاره الشديد المباغت وأثار شكوكهما، وأي شخص سيظن أنه كان يتوقع أسئلة عن علاقته بهروند عاجلاً أم آجلاً.

سأله فلوقنت إن كان يمانع من مرافقتهما إلى فريكركيوفيغور ليدردشوا براحة أكثر عن اهتمامه بالتراث الشعبي ومعرفته بهروند، فرفَض بتهذيب قائلاً إن لديه أموراً أخرى عليه القيام بها وإن لا علاقة له بقضيتها على الإطلاق. أصرَّ فلوقنت وثورسون، وأبلغاه أخيراً أنه إذا لم يرافقهما طوعاً، سيضطران إلى استخدام القوة.

نجَحا في نهاية المطاف في إقناعه بأن يأتي معهما، فارتدى جوناتان سترته مرة أخرى، ورافَقهما إلى السيارة. قادوا بصمت إلى فريكركيوفيغور حيث جلسوا في مكتب فلوقنت الذي أغلَق الباب جيداً وراءهم.

"هل سترمياني في السجن؟"، سأل جوناتان عندما سأله ثورسون إن كان هناك أي شيء يريده، مثل قهوة أو كوب ماء.

"هل هناك أي سبب لماذا علينا أن نفعل ذلك؟"، سأل ثورسون.

"لا، هذا... هذا كله مجرد سوء تفاهم".

"هل لديك عائلة هنا في ريكيافيك؟"، سأل ثورسون.

"لا".

"أي أصدقاء إذاً؟ أي شخص تودّ إبلاغه أنك تجلس معنا هنا؟".

"لا، أودّ فقط أن أعود إلى المنزل في أسرع وقت ممكن، إذا لم يكن لديكما مانع. لا أحتاج إلى أي شيء ما عدا الارتياح من هذه المسألة. ولا أحد آخر يحتاج إلى أن يعرف بالتأكيد؟".

"يحتاج إلى أن يعرف ماذا؟".

"أنكما أحضرتماني للاستجواب؟".

"لا"، قال فلوفنت. "ليس بالضرورة. هل الفكرة توتّرك؟".

"أفضّل ألا يعلم الناس في الجامعة أن الشرطة استجوبتني. هذا كل شيء. لا أزال لا أفهم لماذا أردتما أن أرافقكما إلى هنا، فأنا لم أرتكب أي خطأ".

"حسناً، هذا جيد، هذا ممتاز"، قال فلوفنت. "هل يمكنك أن تُخبِرنا كيف عرَفت هروند؟".

"صادفتُها بضع مرات. كانت هناك محطة وقود مرفقة بمطعم على مقربة من مخيَّمنا، وعندما أذهب إلى هناك في المساء أحياناً، أجدها هناك - إحدى صديقاتها تخدم في المتجر - وندردش معاً. قالت إنه لا تحصل أمور كثيرة في الريف، وسألتني عن الحياة في أكوريري، وعن الجنود، الخ. أعتقد أنها أرادت أن تنتقل للعيش هناك، أو ربما حتى في مكان جنوبي ريكيافيك".

"هل أخبرتها عن افتتانك بشعب الهولدو؟".

"أبدت اهتماماً كبيراً عندما علِمت أنني أدرس في الجامعة، وأخبَرتُها أنني أريد دراسة التاريخ الآيسلندي، وربما إجراء بعض الأبحاث عن المعتقدات الشعبية و... ذلك الصنف من الأمور".

"هل القصص عن اعتداء شعب الهولدو على البشر مألوفة لديك؟"، سأل ثورسون.

"هناك أمثلة عن ذلك، نعم".

"هل أخبرتها أي قصص مماثلة؟".

"لا أتذكَّر إن... ربما تكلَّمنا عن ذلك، لكنني نسيتُ".

"هل كانت تصدِّق وجود كائنات خارقة؟ وجود الأشخاص المختبئين؟".

"أعتقد... أنها تمتّعت بذهن منفتح تجاه هذا الموضوع"، قال جوناتان. "وقد صدمتني بأنها ساذجة قليلاً وغير دنيوية... إبنة الطبيعة".

"ماذا تقصد بالضبط؟".

"حسناً، كانت متجذّرة جداً في الريف، وترعرعت قريبةً جداً من الطبيعة، وتعرف كل شيء عن النباتات والطيور، وهكذا - لا أعرف كيف أعبِّر عن الأمر - إنها... لا يمكنني أن أشرح حالتها أفضل من وصفها بإبنة الطبيعة. الأشخاص

الذين مثلها يجدون على الأرجح أنه أسهل لهم أن يصدِّقوا الظواهر الخارقة، وأن يمضوا وقتاً أطول منا جميعاً في التفكير بالأقزام والعفاريت والجنّ".

"وهل أنت تصدِّق تلك الأنواع من الظواهر؟".

"لا"، قال جوناتان بحزم. "ما عدا كمرآةٍ للمجتمع البشري. أظن أن الحكايات الشعبية توفّر لنا نظرة ثاقبة إلى عقلية الإنسان العادي، ويمكنها أن تكشف مقداراً كبيراً عن مواقف الناس عبر القرون، سواء خوفهم من المجهول، أو رغبتهم بحياة أفضل، أو أحلامهم بعالم أفضل، ويمكنها أن تُخبرنا الكثير سواء بشكل مباشر أو غير مباشر عن الحياة في الماضي. هكذا هي نظرتي إليها، وليست كقصص حقيقية أو تمثيلات للواقع".

"وهل نظرت إليها هروند هكذا أيضاً؟".

"لا يمكنني أن أعطيك جواباً بسيطاً على هذا السؤال".

"لكنها كانت إبنة الطبيعة؟".

"نعم، هذا كان انطباعي".

"هل تعرَّضت هروند يوماً ما لتحرُّشٍ من قِبل – ماذا سنسمّيها – كائنات خارقة؟"، سأل فلوفنت.

"تحرُّش؟ لا، لا أظن ذلك ولو للحظةٍ، لكن ليكن واضحاً رجاءً أنني لم أعرفها جيداً، بل بالكاد عرفتُها في الواقع، فقد التقينا بضع مرات فقط ودردشنا قليلاً، ولا يمكنني القول إنني تعرَّفتُ عليها حقاً، لذا فأنا ربما أحمِّل أقوالها من المعاني أكثر مما يجب. اسمعا، لا أعرف ماذا تريدان مني، وأنا لا أفهم هذه الأسئلة. ما علاقة الحكايات الشعبية بأي شيء؟".

"هل شاركك أحد الأعضاء الآخرين من طاقم الطريق اهتمامك بالتراث الشعبي؟"، سأل فلوفنت.

"لا. لا أحد منهم".

"وهل كان أحدهم متورّطاً مع تلك الفتاة؟".

"ليس على حد علمي".

كان جوناتان قد أخذ معه علبة سجائره لاكي سترايك عند خروجه من منزله، فأخرج منها سيجارة الآن وأشعلها، وأخذ مجّة طويلة، ونفخ دخانها، فدفَع

فلوثنت منفضةً صوبه.

"سجائر جيدة؟".

"نعم، رائعة. حصلتُ عليها من صديق لي في الجامعة – أخته تواعد جندياً أميركياً".

"هل أنت متأكد تماماً أنك لم تعرف فتاةً هنا في ريكيافيك تدعى روزاموندا؟"، سأل ثورسون.

"نعم، أنا متأكد".

"عمِلت خيّاطةً".

"لا، لا أعرف أي شخص بهذا الإسم... أليس هذا، ألم يكن هذا إسم المرأة التي عُثر عليها خلف المسرح؟".

"هذا صحيح".

"لماذا تسألني عنها؟".

"لم يكن لدى روزاموندا أي اهتمام بشعب الهولدو أو بالحكايات الشعبية، ومع ذلك فقد تعرَّضت مثل هروند لتجربة غريبة مرتبطة بهم، ونتساءل إن كان بمقدورك أن تسلِّط لنا بعض الضوء على ذلك".

"ما كان نوع تلك التجربة؟".

"قبل أن تختفي هروند، وضَّحت أن شخصاً من شعب الهولدو اعتدى عليها"، قال فلوثنت وهو ينحني فوق المكتب. "وقالت روزاموندا إن الرجل الذي اغتصَبها أخبَرها أن تُلقي اللَوْم على شعب الهولدو. قصتهما متشابهتان جداً لدرجة أن المرء يظن أنهما وقعتا ضحية نفس المُرتكِب. لقد حصل الاعتداءان المزعومان بحيث فصلت بينهما ثلاث سنوات، وقد حصل أحدهما في أوكسافيوردور حيث صدفَ أنك كنتَ تعمل ضمن فريق لبناء الطرق، وحصل الآخر هنا في ريكيافيك حيث صدفَ أنك تدرس في الجامعة. لقد تأكدنا أنك عرَفت إحدى الفتاتين، وها أنا الآن أسألك مرة أخرى: هل كنت تعرف روزاموندا؟".

بينما كان جوناتان يستمع إلى فلوثنت، بدأ يتضّح له تدريجياً ماذا كان الشرطيان يسعيان إليه حقاً عندما أتيا إلى منزله، ولماذا أحضَراه إلى مكتبهما.

"هل أنا رهن الاعتقال؟"، سأل مذعوراً.

"هل هناك أي سبب يجعلك تعتقد أنك يجب أن تكون قيد التوقيف؟"، سأل ثورسون.

"هل... هل تصدِّقان فعلاً أنني أذيتُ الفتاتين؟ أنني... أنني... قتلتهما؟".

"هل فعلتَ ذلك؟"، سأل فلوقنت.

كانت دهشته جليّة، لكن شيئاً في سلوكه أعطى الانطباع أن هناك كذباً في كلامه.

"لا"، صاح جوناتان وتطاير بُصاق من فمه. "هل أنتما مجنونان؟".

"هل أقنعتَ هروند بأن تكذب بشأن اعتداء أحد الأشخاص المختبئين عليها، لكي تستّر على ما فعلتَه بها؟".

"أن تكذب بشأن الأشخاص المختبئين؟".

"هل كرَّرتَ فعلتك مع روزاموندا عندما انتقلتَ للعيش هنا في ريكيافيك؟".

"لا!".

"هل فرضتَ نفسك على الفتاتين؟".

"فرضتُ نفسي؟ لا! لقد فهمتما كل شيء بشكل خاطئ. إنه... لا يمكنني أن أصدِّق أنكما جدّيان. لا أصدِّق. هذا... هذا جنون"، قال جوناتان وهو ينهض عن كرسيه. "عليَّ أن أعود إلى المنزل. أحتاج إلى العمل على أطروحتي و... لديَّ أمور كثيرة لأفعلها. أنا مشغول جداً لهذا".

أسرعَ نحو الباب لكن ثورسون سدَّ له الطريق، وأمسك له ذراعه، وأعاده إلى الكرسي، وأجلسه عليه بالقوة، ولم يُبدِ جوناتان أي مقاوَمة.

"أخشى أنه لا يمكنك العودة إلى المنزل بعد"، قال ثورسون بهدوء. "ليس قبل أن تسنح لنا الفرصة لنتحدَّث أكثر".

32

سمِع فرانك رادي خُطى تقترب، وفكّر في سرّه أن صوتها يُظهِر أنها لرجلين على عجلة من أمرهما. توقفت خارج زنزانته، وسمِع جلجَلة مفاتيح وهو ممدَّد على فِراشه يدخِّن ويقرأ كتاب قصص مصوَّرة إباحية، فأسند نفسه على مِرفقه متوقعاً أن يُطلق سراحه في أي لحظة لأنه ضيَّع ما يكفي من وقت في السجن، فالقانون حسب عِلمه لا يمنع أن يتّخذ المرء إسماً مستعاراً لنفسه ويكذب على الفتيات الآيسلنديات، وما كان يجب أن يُسجن ولو ليوم واحد لهذا النوع من الهُراء. لقد قال رجال الشرطة إنهم يتحقّقون من سجله الجنائي في الولايات المتحدة. حسناً، حظاً سعيداً لهم فلن يجدوا شيئاً. وقالوا إنه لا يزال مشتبهاً به في قتل الفتاة التي عثر عليها مع إنغيبورغ. يا له من عذرٍ واهٍ. ليس لديهم أي شيء ضده.

كان قد أصبح واقفاً على قدميه حين فُتح الباب وظَهَر حارس السجن – مع ثورسون.

"أنت؟"، صاح فرانك.

"نريد أن نطلب منك أن تعمل لنا معروفاً".

"معروفاً؟ ما رأيك أن تعمل لي معروفاً وتدعني أخرج من هنا؟ لكم من الوقت سأبقى مرمياً في هذا الجحر؟".

"هيا رافقني في نزهة"، قال ثورسون. "وسنرى".

حدَّق به فرانك للحظة دون أن يُجيبه، فآخر شيء يريده هو أن يفعل أي معروف لهذا السافل ثورسون، لكن الرتابة من جهة أخرى تُفقده عقله، لذا لن يمانِع الذهاب في نزهة في السيارة، رغم أنه ليست لديه أي فكرة عن هدفها.

"لقد نفدت مني السجائر"، قال وهو يحدِّق بالحارس.

"يمكننا شراء بعضها على الطريق"، قال ثورسون.

"أي نوع من النزهات؟".

"هناك شيء أريدك أن تفعله لي".

توقّدت حشرية فرانك وقال، "لم ألمس تلك الفتاة، بل عثرتُ عليها فقط، وهذه ليست جريمةً".

"لا، أنت محقّ"، قال ثورسون. "هذه ليست جريمةً".

"إذاً، ماذا تريدني أن أفعل؟".

"هيا بنا، هذا لن يستغرق حقاً أي وقت أبداً".

تبَعه فرانك في الممر، وأغلق الحارس باب الزنزانة واستدار ليراقبهما يرحلان.

"هل الأمر يتعلق بتلك الفتاة التي كنتُ معها؟"، سأل فرانك بينما فتَح له ثورسون باب الراكب. "إنغيبورغ؟".

"لا".

انطلَقا نحو وسط البلدة.

"تدّعي أنني جعلتُها حُبلى"، أضاف فرانك بعد صمت طويل.

انعطف ثورسون بالجِيب نحو هڤيرفيسغاتا، وتوجَّها إلى المسرح الوطني. "وهل فعلتَ ذلك؟"، سأل.

"لا، لا مجال أبداً أن تورّطني بذلك"، قال فرانك. "كيف أعرف عدد الشباب الآخرين الذين ضاجعتهم؟".

"لا أظن أنها كانت تواعد أي رجال آخرين"، قال ثورسون. "تبدو لي شابة صادقة جداً ظنَّت أنها وجدت رجلاً محترماً مثلها، لكنني أعتقد أنها أخطأت في ذلك".

"هل تكلَّمت معها؟".

"قليلاً. أسوأ ما في الأمر بالنسبة لها هو الكذبات. الطريقة السيئة التي عامَلتها بها. لا أظن أنها كانت تتوقع الكثير عندما أخبَرتك عن الطفل، بل شَعَرت فقط أنك ينبغي أن تعرف، وأعتقد أنها أرادت نصيحتك – رغم كل شيء".

"لقد أعطيتُها نصيحتي".

رَكَن ثورسون على مسافة قصيرة من متراس أكياس الرمل أمام المسرح. لم يتوقَّع أي متاعب من فرانك، لكنه أراد أن يُبقيه في مزاج تعاوني، لذا كبتَ غضبه ولم يضع له الأصفاد، وبذلَ قُصارى جهده ليواصل استرضاءه. لم يكن هناك أي شرطي آخر على مرأى منهما.

"ماذا نفعل هنا؟"، سأل فرانك.

"هيا"، قال ثورسون. "سنذهب إلى الجهة الخلفية".

تردَّد فرانك. "لماذا؟".

"لا تقلق فأنا لا أخبئ لك أي مفاجآت، ولا أحاول توريطك بأي شيء. أريدك فقط أن تفعل لي معروفاً صغيراً".

"أي معروف؟".

"تعال معي".

تبَعه فرانك مُحتاراً إلى الجهة الخلفية للمبنى نحو المدخَل حيث عثر وإنغيبورغ على الفتاة الميتة، وطلب منه ثورسون أن يقف حيث كان يقف تلك الليلة، ففعلَ فرانك ذلك. عندها أخرجَ ثورسون المِشعل الذي أحضَره معه وأومضه عدة مرات في اتجاه سكوغاسوند. بعد تأخير قصير، ظَهَر شكلٌ طويلٌ ذو كتفين منحنيين يدخِّن سيجارةً عند ناصية ليندارغاتا وسكوغاسوند، وبدا كفافه ملحوظاً بوضوح في الظلمة، والتوهُّج الباهت لعمود الإنارة البعيد في سكوغاسوند يُلقي صورته الظليّة على الأرض. هناك عمود إنارة آخر في ليندارغاتا يبعُد بضعة أمتار عن الناصية، لكنه لا يزال محطماً مثلما كان ليلة العثور على جثة الفتاة.

"هل هذا هو الرجل الذي رأيتَه على الجانب المقابل للشارع؟"، سأل ثورسون.

بقي فرانك ينظر إلى الشكل لبرهةٍ ثم أجاب، "إذا قلتُ إنه هو، هل ستُخرجني من السجن؟".

"ماذا تقصد؟".

"إذا سايرتُك في هذا؟".

"لا تقل ما تعتقد أنني أريد سماعه"، قال ثورسون بغضب. "لا علاقة لهذا بمسايرتي، بل أخبِرني فقط ما تعتقد أنك تتذكَّره".

هزَّ فرانك رأسه.

"إنني لا أساومك"، قال ثورسون. "أخبِرني إن كنتَ تعتقد أنه نفس الرجل الذي رأيتَه واقفاً عند الناصية تلك الليلة، وأنا هنا لا أعقد اتفاقاً معك. هل هذا هو المكان الذي كان يقف فيه عندما رأيتَه؟".

نظرَ فرانك عبر الطريق. "نعم، كان يقف هناك".

"و؟".

"الضوء ضعيف"، قال فرانك، "وكنتُ على عجل طبعاً، لكنني أظن إنه نفس الشابّ".

"هل أنت متأكد؟".

"نعم، أظن ذلك".

"ألقِ نظرة جيدة وحاول أن تتذكّر ماذا رأيتَ".

فعل فرانك مثلما أمره ثورسون، وبقي يتأمل الشكل عند الناصية لدقيقة أو دقيقتين. "لا يمكنني أن أكون متأكداً مئة بالمئة أنه الشابّ الذي رأيتُه"، قال في نهاية المطاف. "ولا يمكنني أن أُقسِم على ذلك، لكنه ممكن".

"حسناً"، قال ثورسون. "سأطلب منك أن تشيح بنظرك لثانيةٍ فقط".

فعلَ فرانك مثلما طُلب منه، وأومَض ثورسون المِشعل مرة أخرى ثلاث مرات واختفى الشكل من الناصية، ليحل محله شكل آخر. عندها طلبَ ثورسون من فرانك أن يستدير مرة أخرى.

"أم هذا هو الشابّ الذي رأيتَه؟".

الرجل الواقف عند الناصية هذه المرة أقصر، وظهره محدودبٌ أكثر، وبدا أكبر في السنّ بكل تأكيد.

تأمله فرانك لعدة ثوانٍ. "ماذا تريدني أن أقول؟".

"أريدك أن تقول الحقيقة".

"لا"، قال فرانك أخيراً. "الشابّ الآخر يشبه الرجل الذي رأيتُه أكثر بكثير".

رأى فلوفنت مِشعل ثورسون يومض للمرة الثالثة، وعلِم أن الأمر انتهى وأن فرانك أدلى بإفادته وأنه، بناءً على الإشارة، تعرّف على جوناتان. عندما رأى ثورسون يأخذ فرانك بعيداً، لوّح لأبيه الذي كان لا يزال يقف عند الناصية حاملاً سيجارةً بأنهم أنهوا مهمتهم.

"لقد انتهينا"، نادى. "يمكنك العودة الآن".

كان جوناتان يقف إلى جانب فلوفنت، فقد أتى معهما بملء إرادته وبقي يُعلن براءته طوال الطريق، ووافق بلا أي اعتراض على الوقوف عند الناصية مقابل المسرح حيث ادّعى فرانك أنه رأى رجلاً يقف ليلة عثوره وإنغيبورغ على الجثة،

كما أشعَل سيجارةً مثلما طُلب منه، وراح يدخِّنها على مهلٍ. وكان فلوفنت قد اصطحب أباه في طريقهما إلى هناك، وسأله إن كان يمكنه أن يساعده في أمرٍ، فأبدى له كل استعداده بالطبع، وبعدما وَقَف جوناتان عند الناصية لبرهةٍ، أخذ العجوز مكانه حاملاً السيجارة بيده، رغم أنه لم يدخِّن في حياته كلها. لقد شَعَر فلوفنت أنه من الأفضل إعطاء فرانك نقطة مقارنة.

"ماذا حصل؟"، سأل جوناتان. "ماذا اكتشفتما؟".

"هيا بنا يا بُنيّ"، قال فلوفنت وهو يقود جوناتان إلى السيارة، فقد خشي أن يضطر إلى إطلاعه على الخبر: كل ما لدى جوناتان ليتطلّع إليه الآن هو زنزانة في سكولافوردستيغور.

33

إنها المرة الثانية في غضون أسابيع التي يزور فيها شخصٌ غريبٌ منزل پترا ليطرح أسئلة عن أمها، وقد استمَع الرجلان إلى ما لديها لتقوله في المرتين، وبدَوا مذهولين تماماً. أول مرة كان عجوزاً مهذّباً قرَع على بابها، ودردش معها عن كل شيء في الدنيا قبل أن يدخل أخيراً صُلب الموضوع ويسألها عن أمها وعن روزاموندا، وقد صُدم صدمةً كبيرةً عندما أخبَرته عن الفتاة. والرجل الآخر الآن – قال إنه يدعى كونراد – يجلس على نفس الكرسي، واستطاعت أن تصدمه أيضاً.

لم تستطع پترا أن تفهم ما المهم في القصة التي أخبَرتهما إياها، لكنها لم تعرف الكثير عن القضية. وقد شرَحت للرجلين أن أمها على حد علمها بالكاد تكلّمت عن روزاموندا، إما لها أو لأي شخص آخر، لذا لا يمكنها حقاً الإجابة على أسئلتهما، وهي لم تتكبّد أبداً عناء أن تُلمّ بتفاصيل القضية، بل كل ما عرَفته في الواقع هو أن أمها هي أحد الأشخاص الذين استجوبتهم الشرطة عن جريمة قتل ارتُكبت خلال الحرب، ولم تعرف حتى إن حُلّت يوماً أم لا.

لقد شكّت أن لدى العجوزة أسبابها لعدم رغبتها بمناقشة القضية، وفي المرات النادرة التي سألتها فيها پترا عن موت روزاموندا، أثناء قراءتها عن جريمة قتل في الصحيفة مثلاً، شَعَرت بتردّد أمها لإعادة فتح الموضوع، لكن لم يخطر ببالها أبداً أن أمها ربما تتكتّم على معلومات يمكنها إلقاء ضوء جديد على القضية.

راحت تنظر إلى كونراد بفضول بعد أن روت له بضمير حي كل شيء تعرفه بأكبر دقة ممكنة، تماماً مثلما فعلت سابقاً مع العجوز ستيفان. لقد بدا لها الرجلان مهتمين إلى حد مذهِل بأمها وروزاموندا، وكانت متلهّفة لمساعدتهما.

"هل كان شائعاً أن تتصرَّف النساء اللواتي يعملن لدى أمك بتلك الطريقة؟ أن يرفضن توصيل البضائع إلى الزبونات؟"، سأل كونراد.

"لا أدري".

"وقد وجدت أمك أن ردّة الفعل تلك غريبة جداً، أليس كذلك؟".

"حسناً، نعم، لقد أعطتني هذا الانطباع، لكنني أعتقد أن السبب الرئيسي هو لأنه كان من النادر جداً أن تعصاها إحدى موظفاتها، خاصة عندما يتعلق الأمر بمهمة بسيطة كهذه".

"ولم تشرح لها روزاموندا؟".

"لا، لكن مثلما قلتُ لك فإن أمي اعتبرت أنها تعرَّضت لتجربة بغيضة في ذلك المنزل عندما وجَدتها تبكي".

"هل تعرفين إن نَوَى ثورسون – ستيفان – أن يتصرّف بوحي هذه المعلومة؟".

"لا، لكنه بدا منزعجاً جداً عندما أخبَرتُه إياها، رغم أنه لم يشرح السبب، وأنا، مثلما قلتُ لك، أعرف مقداراً قليلاً جداً عن القضية. ثم غادر بعدها بوقت قصير، ولم يعاود التواصل معي مرة أخرى أبداً".

"أي منزل رفَضت روزاموندا أن تزوره؟"، سأل كونراد. "مَن عاش هناك؟".

"قالت أمي إنها تعرف تلك المرأة جيداً، ولم تعلَم يوماً أنها عاملت روزاموندا بفظاظة، عِلماً أن أمي لم تطرح الموضوع معها بالطبع، وهي لم تُخبر أحداً أبداً، لذا فإن تلك العائلة كانت غافلة تماماً عن وجود مشكلةٍ. كان زوج المرأة سياسياً، نائباً في البرلمان، وفقاً لأمي، لهذا السبب لم ترغب إثارة ضجة حول المسألة".

"نائب في البرلمان؟".

"نعم، وقد مات منذ سنواتٍ، وقالت أمي إنه كان شخصاً ذا مقام رفيع في ذلك الوقت، وقد شاركت زوجته في كل أنواع اللجان، وكانت عضوةً في معهد النساء، الخ. كانتا زميلتين في جمعية خيرية، وهي متأكدة تماماً أنه عضوٌ في جمعية البنّائين السرية أيضاً، وقد أصبح إبنهما وزيراً لاحقاً".

"ورفَضت روزاموندا توصيل فستانٍ إلى الزوجة؟".

"نعم. ليس فستاناً فقط، بل أغطية أسرّة أيضاً. بضاعة فاخرة جداً، وفقاً لأمي، والأحرف الأولى لإسمَي الثنائي مطرَّزة على اللُحُف وأغطية الوسائد – تتذكَّر ذلك بشكل واضح، فأمي لطالما افتخرت كثيراً بنوعية خيّاطاتها".

"وهل جفلَ ستيفان عندما أخبَرته هذا؟".

"بصراحة، بدا مذهولاً"، قالت پترا. "بقي يسألني أسئلة، مثلما تفعل الآن، وبقي يكرِّر نفس الأسئلة كما لو أنه أراد أن يتأكد أنه فهِم بشكل صحيح".

"لكنكِ لم تعرفي أي عمل، إن وُجد، كان ينوي أن يقوم به؟".
"لا، على الإطلاق".
"ولم يعاود التواصل معك مرة أخرى؟".
"لا".
"لكنكِ أعطيته أسماء أفراد تلك العائلة؟".
"نعم".
"هل كان سيستفسر عنها؟".
"لا أدري". سكتت پترا قليلاً، ثم أضافت: "شعرتُ..."
"نعم؟".
"شعرتُ أنه لم يكن راضياً على طريقة معالجة القضية في ذلك الوقت، وإلا لما زارني من الأصل".
"هل يمكنكِ أن تكوني أكثر دقةً؟".
"أعتقد أنه زارني لهذا السبب، فقد شَعَرتُ أنه اعتبر أن القضية لم تُغلق، وأنه حزين من طريقة تركه لها. وحتى قبل أن أُخبره عن روزاموندا، شَعَرتُ أن هناك أمراً لا يزال يزعجه بعد كل تلك السنوات، وبدا لي كما لو أنه يبحث عن طمأنينة أنه فعلَ الصواب".
"هل قال لك ذلك صراحةً؟"، سأل كونراد.
"لا، ولم أسأله"، ردَّت پترا. "كان مجرد حدس، لكن يمكن أن أكون مُخطئة".
"كما لو أن ضميره يؤنّبه بشأن نقطة معيّنة في القضية؟".
"هذا كان حدسي. أنه غير سعيد بما آلت إليه الأمور، وأنه أصبح حتى أقل سعادة بعد الذي أخبرتُه إياه، وغادر وهو يتمتم شيئاً عن طالبٍ".
"حقاً؟".
"لم أفهم ما الذي قاله بالضبط، لكنني سمِعتُه يقول 'الطالب'".
"الطالب؟".
"نعم".
"أي طالب؟".
"لا أدري، ولا أعلم أبداً ما الذي كان يُزعجه، لكن المسكين بدا مكروباً بحقّ".

34

لم يُبدِ جوناتان أي مقاوَمة عندما اقتاداه عبر أبواب السجن في سكولافوردستيغور، لكنه احتجّ على احتجازه في الطريق إلى هناك، قائلاً إنه يحتاج إلى العودة إلى المنزل، فلديه أمور كثيرة عليه أن يُنجزها، ولديه محاضرات في الصباح الباكر، وأنه متلهّف لمساعدة الشرطة، لكنه لا يملك الوقت الكافي الآن. كان مهذّباً، ولم يلجأ إلى الوقاحة أبداً، بل إلى التوسّل، كما لو أنهما سيعملان معه معروفاً كبيراً إن أخليا سبيله. أخبَره فلوفنت أن الوقت متأخر على الأرجح لمتابعة المقابلة تلك الليلة، لكنهم سيستأنفون دردشتهم عند الصباح، وعليه أن يبقى في زنازين الشرطة حتى ذلك الوقت.

"لكن لديَّ محاضرات عند الصباح"، تضرَّع جوناتان.

"ربما من الأفضل أن تأخذ يوم عطلة غداً"، قال فلوفنت.

"لكن ليس لديَّ الوقت لآخذ يوم عطلة".

دوَّن حرّاس السجن دخوله في سجلاتهم، ورافَقوه إلى زنزانةٍ وفلوفنت يسير خلفهم، وحافظ جوناتان على سيل متواصل من الاحتجاجات. وعندما سأله فلوفنت إن كان هناك أي شخص يريد إبلاغه عن ظروفه، هزَّ جوناتان رأسه ببساطة كما لو أنه لا يزال غير قادر على استيعاب فكرة أنهم سيسجنونه.

"لا أريد أن يعرف أي شخص"، قال. "هذا مضحك. ستضطرون بالتأكيد إلى إطلاق سراحي عند الصباح؟".

أمسَك ذراع فلوفنت عندما فُتح باب الزنزانة. "أرجوك لا تحبسني هنا".

"سنُجري دردشة أخرى صباح الغد يا بُنيّ"، قال فلوفنت. "لقد تأخر الوقت، وأخشى أن الأمور يجب أن تجري بهذه الطريقة. لا مفرّ من ذلك".

"لكنني لا يمكنني أن أتحمّل هذا"، قال جوناتان بصوتٍ مختنِقٍ. "لقد حصل خطأ فظيع، ولا أفهم لماذا تعاملونني بهذه الطريقة. أنا لم... أنا لم أفعل أي شيء".

"إذاً سنسوّي كل شيء غداً"، قال فلوفنت بإيماءة طمأنة. "لا تقلق. إذا كنت لم ترتكب أي خطأ، ستتمكن من العودة إلى المنزل قريباً، ولن يكون لديك ما تخاف منه في تلك الحالة".

"أتوسَّلك ألا تفعل هذا بي، رجاءً".

أُغلق الباب على جوناتان.

"لا تحبسني هنا!"، رفع صوته للمرة الأولى مخترقاً باب الزنزانة، فتلكَّأ فلوفنت في الخارج للحظة أو لحظتين، ثم عاد أدراجه في الرواق وصدى بكاء يتردَّد خلفه.

شَعَر وثورسون أنه ليس لديهما بديل على احتجاز جوناتان بسبب تراكم الأدلة ضده، فهو عرَف هروند، وتعامل معها خلال فترة عمله على الطرقات في الشمال، وهو شخص متحمّس للتراث الشعبي الآيسلندي، وخبير فيه عملياً. وقد قال فرانك رادي إن الاحتمال كبير بأنه الرجل الذي لمحه واقفاً عند ناصية سكوغاسوند ليلة العثور على جثة روزاموندا. كما أن جوناتان يدخّن سجائر لاكي سترايك، تماماً مثل أعقاب السجائر التي وجَدوها في الشارع. صحيح أن هذا الصنف من السجائر شعبي جداً، لكن بعد اعتبار كل الظروف والملابسات فهي تشكِّل دليلاً آخر ضد جوناتان كونه يدخّنها.مكتبة سُر مَن قرأ

"أظن أن فرانك ليس أكثر شاهد موثوق في العالم"، علَّق ثورسون وهما يعاودان الخروج إلى سكولافوردستيغور.

"هل تركته يذهب؟".

"أخبَرتُه أنه يمكنه إعادة الالتحاق بفوجه، فليس هناك سبب لاحتجازه أطول من ذلك. على أي حال، لا يبدو أنه اعتدى على روزاموندا، ولم نجد أي شيء يدعم هذه النظرية، ولم يصلنا بعد أي خبر من الولايات المتحدة عن صحيفة سوابقه".

"لكنه اعتبر أن جوناتان يمكن أن يكون الشخص الواقف عند الناصية؟".

"نعم، بدلاً من أبيك، على أي حال".

"أخبَروني خلال تدريبي في إدنبرة أن المجرمين ينجذبون أحياناً إلى مكان ارتكابهم جريمتهم، بالأخص في حالات القتل أو الحوادث الخطيرة الأخرى".

"لذا تعتقد أن جوناتان ربما يكون قد انجذب إلى المسرح؟".

"من الصعب الجزم، فالمجرمون يعودون لعدة أسباب متنوعة، والذنب أحدها، حيث يقضّ مضجعهم بشكل متواصل إلى أن يصبحوا على شفير تسليم أنفسهم - وبعضهم يسلّمون أنفسهم فعلاً. هناك سبب آخر هو الخوف من انكشاف أمرهم، حيث يخافون من أنهم تركوا شيئاً يُثبِت عليهم الجُرم في مسرح الجريمة، فيريدون العودة إلى هناك للتحقّق من ذلك".

"لذا تعتقد أن الرجل الواقف عند الناصية هو قاتل روزاموندا؟ سواء كان جوناتان أم لا؟".

هزَّ فلوفنت كتفيه. "هل أخبرتَ فرانك أن يتحاشى النساء الآيسلنديات من الآن وصاعداً؟".

"ما نفع ذلك؟".

"إفادته ليست كل شيء"، قال فلوفنت. "أقوى رابط بين جوناتان والفتاتين هو الحكايات الشعبية، وهذه هي أكثر نقطة يجب أن نركّز عليها عندما نستجوبه".

"لدينا الرابط مع هروند"، قال ثورسون. "كل ما نحتاج إليه حقاً هو ربطه بروزاموندا. هل هناك أي سبب لتأجيل تفتيش شقته؟".

ألقى فلوفنت نظرة سريعة على ساعته. "تأخر الوقت كثيراً"، قال وهو يفكّر بأبيه. "ربما يجب أن نؤجّل ذلك إلى صباح الغد، قبل أن نتكلّم مع الفتى".

أومأ ثورسون برأسه. كان اليوم طويلاً، وهو مُتعَب، لذا قادا إلى وسط البلدة حيث افترقا. قال فلوفنت إنه يريد السير إلى منزله، فلديه أمور كثيرة ليفكّر فيها، وتوجّه ثورسون إلى فندق بورغ على أمل أن يتناول شيئاً على العشاء قبل أن ينام. إنه يمكث هناك لبضع ليالي بينما تخضع الثكنات لبعض التعديلات، وهذا لا يزعجه أبداً، ما عدا عندما تخرج جلسات احتساء الشراب عن السيطرة في عطل نهاية الأسبوع.

المطعم مزدحمٌ لكنه وجَد طاولةً محايدةً، وقرّر أن يطلب طبق لحم ضأن مشوي. بدأ النادل يعتذر بإنكليزية ركيكة أن المطبخ أغلق أبوابه، فردَّ ثورسون بالآيسلندية وسأله إن كان بإمكانه أن يُعدّ له وجبة خفيفة بدلاً من ذلك بما أنه نزيل في الفندق، فوعده النادل أن يرى ماذا يمكنه أن يفعل.

استرخى ثورسون على كرسيه وراح يراقب الغرفة المزدحمة، ولاحَظ المالك، وهو رجل طويل وضخم وعريض الكتفين، يتحدَّث مع نادل عند باب المطبخ. المالك بطلٌ سابقٌ في فن المصارعة الآيسلندية القديمة المعروفة بـ *غليما*، وقد جالَ العالم في شبابه مبارزاً كل المتحدّين، ووصلت شهرته حتى حدود مانيتوبا، وكسب أموالاً كافيةً من كل تلك الجولات بحيث أنه استطاع أن يبني هذا الفندق عند عودته إلى الوطن، وهو يديره الآن بمهارة كبيرة.

المطعم مزدحم جداً هذه الليلة بجنود أميركيين، أغلبهم ضباط، ترافقهم عدة نساء آيسلنديات يخترق زعيق ضحكاتهن زئير أصوات الذكور بين الحين والآخر. كان ثورسون معتاداً جداً على ما يسمى «الحالة»، فقد حطَّت على مكتبه في مقر الشرطة العسكرية قضايا عديدة تتعلق بعلاقات بين جنود ونساء آيسلنديات. وفي محاولة صارمة منها لمواجهة المشكلة، أعدَّت السلطات الآيسلندية محكمة أحداث للبتّ في القضايا المتورّط فيها قاصرون، لكن المبادرة لم تدم طويلاً بما أن هناك حلولاً قليلةً متوفرةً غير نفي الفتيات اليافعات إلى الريف لإبعادهن عن جو الإغراءات. القوانين تمنع إحضار نساء إلى الثكنات، والعمر الأدنى للسماح بدخول قاعات الرقص هو السادسة عشرة، لكن لا يتم عملياً مراقبة تطبيق هاتين القاعدتين، ويندلع شجار بين السكان المحليين والجنود بين الحين والآخر، وحصلَ أن سعت بعض النساء إلى توجيه تُهم بسبب الطريقة التي عوملن بها. كما أن الحالات التي يتبيَّن فيها أن الجنود متزوجون في وطنهم شائعة جداً، وشكَّلت بالتأكيد مصدراً للضيق والحزن.

سألته أمه في رسائلها عن رأيه بوطن أسلافه، وهو يعرف أن والديه يفتقدان آيسلندا أحياناً، ولطالما تحدّثا إيجابياً عن وطنهما وعن بقية الآيسلنديين. لقد هاجَرا في شبابهما في بداية القرن بحثاً عن حياة أفضل في العالم الجديد، ومن حُسن حظهما أن أُعطيا قطعة أرض جيدة عند وصولهما إلى كندا. لوالدة ثورسون أنسباء في مانيتوبا فرّوا من حياة الفقر في آيسلندا قبل عدة عقود، وقد استقبلوا المهاجِرَين اليافعَين استقبالاً حاراً. والداه عاملان مجتهدان، وسرعان ما ثبّتا قدميهما في بلدهما الجديد، ورغم أنهما يفكّران بالوطن في أغلب الأحيان ويفتقدان العائلة والأصدقاء، إلا أنهما لم يندما أبداً على قرارهما بالرحيل. راسلهما

ثورسون قائلاً إن معظم الآيسلنديين لا يزالون فقراء جداً، لكن أحوالهم تحسَّنت كثيراً مع اندلاع الحرب بسبب توفّر وظائف كثيرة ذات راتب جيد للجميع الآن، وبالنتيجة، بدأ الناس يتدفّقون من الريف إلى ريكيافيك بحثاً عن حياة أفضل – منازل جديدة، وفرص لم تتوفر لهم أبداً من قبل، ومستقبل أكثر إشراقاً. تجاهَل أن يذكر «الحالة»، مفضِّلاً عدم إفساد الصورة الوردية لوالديه عن البلد القديم، لكنه قال إن الاحتلال شكَّل نقطة تحوُّل كبيرة في تاريخ البلاد لدرجة أن تغيُّره بشكل نهائي أمر محتوم، فالمجتمع الزراعي التقليدي الذي عرَفه والداه يختفي سريعاً.

أنهى ثورسون وجبته الخفيفة، وعاد إلى غرفته، وأوى إلى السرير وهو يمكنه سماع الصدى المكتوم لصخب المطعم بسبب الإسراف في تناول الشراب، وراح يفكّر بمنزله في كندا على غرار عادته عندما يكون وحيداً. لقد روى له والداه حكايات كثيرة عن وطنهما القديم، وذكرياتهما مَشوبة بحنين إلى الوطن، لكن المجتمع الذي انتظَره لم يشبه قصصهما كثيراً. ومن لحظة وصوله، انتابه شعور محتوم بأنه في بلد مختلف كلياً عن الذي غادره والداه.

في الصباح الباكر، ذهب فلوڤنت وثورسون إلى غرفة جوناتان الصغيرة ليبحثا عن دليل حاسم بأنه عرَف روزاموندا دون أن تكون لديهما أي فكرة دقيقة عما يبحثان، ولن يعرفا إلى أن يجداه. لقد أعطاهما جوناتان المفاتيح بنفسه ليلة أمس قائلاً إنه مرحَّب بهما أن يفتشا غرفته، لكن همّه الرئيسي هو أنهما سيلخبطان له الأوراق على مكتبه: الملاحظات والمراجع والمواد الأخرى التي رتّبها بعناية. عرض عليهما أن يرافقهما ويبرهن لهما أنه ليس لديه شيء ليخفيه، لكنهما رفضا. "ربما لاحقاً"، قال فلوڤنت.

بدت لهما غرفة النوم والجلوس الصغيرة جداً أنها بالضبط نوع الأماكن الذي تتوقع أن يعيش فيه طالب جامعي مدمن قراءة ومنهمِك جداً في أبحاثه لكي يهتمّ بالعناية بنفسه ومحيطه، فبالإضافة إلى مجلدات الحكايات الشعبية والأساطير الآيسلندية، وجَدا مجموعة من الأعمال الأدبية الأخرى المرتبطة بدراساته في القسم الآيسلندي، وكذلك كتباً ومقالات مكرَّسةً لهوايته الأخرى: الطيور. عندما زاراه سابقاً في ذلك المساء، ادّعى أنه كان يراقب طيور الغاق، وعثر فلوڤنت على

مقالة صغيرة كتبها جوناتان عن ذلك الطائر تقول إنه كبير وأسود وذو شكل يعود إلى ما قبل التاريخ تقريباً، مع باع جناح عريض ومخالب، بحيث يبدو مذهلاً في طيرانه، وأنه غطّاس جيد.

اكتشَفا في خزانة الكتب ملف رسوم تمهيدية رسمها جوناتان عن طائر الغاق وطيور بحرية أخرى، وقد أظهرت لهما أنه يمتلك مهارة لا بأس بها في فن الرسم – وحتى موهبة فنية – وبعضها مطلي بألوان مائية صافية تُبرز كل التفاصيل.

"عمل جيد"، علّق ثورسون.

"الفتى فنان"، وافَقه فلوثنت الرأي وهو يرفع أحد الرسوم ويتفحَّصه عن كثب.

"روح حسّاسة، ربما".

أعاد فلوثنت الصورة إلى مكانها وتفحَّص الغرفة، وهو يُدرك رعشة الإثارة في معدته التي شعر بها عندما استيقَظ هذا الصباح، وها هي قد عادت إليه الآن. "لا يوجد شيء هنا يوحي أنه يعتدي على النساء ويؤذيهنّ".

"لا"، قال ثورسون. "إنه طالب بريء. مُراقِب طيور ومدمن قراءة يصدف أنه مهتم بالتراث الشعبي الآيسلندي".

"كانوا يقولون –"

"لا تُخبِرني – في شرطة إدنبرة؟"، قال ثورسون مُكملاً الجملة.

ابتسم فلوثنت. "كانوا يقولون إنه عليك أن تتجاهل كل شيء ما عدا دليلاً قاطِعاً، لذا فإن أي حدس قد يكون لدينا عن الفتى، أو منزله، أو مهارته في الرسم، أو حقيقة أنه مدمن قراءة بريء، هو خارج عن الموضوع وغير ذي صلة".

"أليست هذه مجرد سخرية اسكتلندية؟".

"إنهم مُلِمّون بشتى الأمور"، قال فلوثنت.

بدأ يفحص المواد ويتصفّح الأوراق التي جمَعَها جوناتان لأطروحته إلى أن وقع نظره على مقال عن شعب الهولدو بدا له أنه مأخوذ من السجلات القديمة للمحكمة. خط اليد غير مقروء تقريباً، لذا بعد التحديق به لبرهةٍ، أقلع فلوثنت فوراً عن محاولته قراءته، وقرَّر أن يأخذ الصفحات معه ليدرسها على راحته.

راح ثورسون في تلك الأثناء يفتّش في خزانة ملابس صغيرة في الرواق. فتَحها ليجد قميصين، ومئزراً طويلاً مطوياً، وبعض الجوارب الملفوفة. ثم رفع سروالاً أنيقاً

مرمياً متجعِّداً في القعر، وبحَث في جيوبه، وقلبها من الداخل إلى الخارج، ولاحظ أثناء فعله ذلك مِزقاً عند منفرج الساقين تم إصلاحه بمهارة بحيث بالكاد يمكن رؤيته.

بعد عشر دقائق، وجدا فاتورة خدمة إصلاح السروال مدفونةً في أحد جوارير المطبخ.

35

لم ينم جوناتان ولو للحظة خلال ليلته في الزنزانة، وقد سمِعه الحرّاس يتمتم لنفسه ويبكي بهدوء. وعندما أُحضر له الفطور إلى زنزانته، سأل عن الشرطيين اللذين أحضَراه إلى هنا فقد أراد إيصال رسالة إليهما بأنه لا يجب أن يفوّت حصصه، وأنه يجب أن يكون في محاضرة الآن، ويأمل أن يُطلق سراحه في أسرع وقت ممكن، وبدا لهم أنه لا يزال لا يُدرك خطورة موقفه. شهيته مسدودة وبالكاد لمسَ فطوره وهو عبارة عن عصيدة مع شرحتَي نقانق كبد وكوب حليب.

عندما وَصَل فلوفنت وثورسون إلى السجن نحو الظهيرة، وجدا أنه نام أخيراً، لكنه استيقظ جافلاً عندما دار المفتاح في القفل وفُتح باب زنزانته. استوى جالساً على السرير، وراح يحدِّق دامعاً بالشرطيين الواقفين عند الباب.

"لا شكّ أن النعاس غلبني".

"هلاّ أتيتَ معنا؟"، قال فلوفنت. "هناك غرفة يمكننا أن نتكلّم فيها".

"هل ستطلقان سراحي؟"، سأل جوناتان وهو ينهض.

"سندردش قليلاً"، قال فلوفنت. "نحتاج إلى أن نسألك بضعة أسئلة عن الفتاتين، ثم سنرى بعد ذلك".

"لقد شرَحتُ لهؤلاء الرجال أنه ليس لديَّ الوقت لهذا فقد فاتتني بعض محاضراتي من قبل".

ومع ذلك فقد رافَقهما في الرواق إلى غرفة صغيرة بجانب استراحة الحرّاس تحتوي على طاولة وثلاثة كراسي، وجلسوا كلهم. سأله فلوفنت إن كان يريد بعض القهوة، لكن جوناتان رفَض. بدا هادئاً ورابط الجأش، فقد أفاده نومه رغم قصر مدته. مدَّ فلوفنت يده إلى جيبه، وأخرجَ المقال عن طائر الغاق الذي وجَده في غرفة جوناتان، وسلَّمه إياه.

"أمور مثقِّفة"، قال. "هل كنتَ مهتماً بالطيور دائماً؟".

"نعم، في الواقع. عِلم الطيور هوايتي، ولطالما سحرتني الطبيعة، خاصة الطيور".

"بالأخص طائر الغاق؟".

"لا، الطيور البحرية بشكل عام. الغاق هو... أحبّ مراقبته يطير، بعنقه الطويل، وطريقة هبوطه في البحر. إنه طائر مدهش".

"هل شاركتك هروند اهتمامك بعِلم الطيور؟".

"هروند؟"، قال جوناتان. "لا أعرف، ولا أعتقد ذلك".

"أخبِرنا مرة أخرى كيف عرَفت هروند"، قال فلوفنت.

"لم ألمسها"، قال جوناتان. "آمل أنكما لا تظنّان أنني أذيتُها، لأنني لم أؤذها".

"هل تكلّمتما عن الطيور؟ فقد أخبَرتنا البارحة أنها عرَفت الكثير عن الطبيعة، عن الطيور والنباتات، الخ".

"حسناً، ربما تكلّمنا عنها، لكن لا يمكنني أن أتذكّر حقاً".

أومأ فلوفنت برأسه بتفهُّم، وبقي ثورسون صامتاً بجانبه. جالساً أمامهما على الجهة الأخرى للطاولة، راح جوناتان يروي مرة أخرى كيف تعرَّف على الشابة التي كانت معتادة أن تتسكّع في محطة الوقود، وبدت روايته متناغمة إلى حد كبير مع الرواية التي قدَّمها البارحة: يدردشان من وقت لآخر، وتسأله أسئلة كثيرة عن أكوريري لأنها أرادت أن تنتقل جنوباً إلى ريكيافيك، وكانت منفتحة على فكرة أن الأشخاص المختبئين موجودون حقاً.

"وقد طُرِح الموضوع لأنها عرَفت اهتمامك بهكذا أمور؟"، قال فلوفنت بعدما انتهى جوناتان من الكلام.

"نعم. عرَفت أنني أدرس في الجامعة، وقد أخبَرتُها أنني أريد قراءة التاريخ الآيسلندي".

"هل اعتبرتَها موضوعاً لبحثك؟"، سأل ثورسون.

"موضوعاً لبحثي؟ لا".

"حسناً، لكنها أخبَرتك أفكارها عن شعب الهولدو، أليس كذلك؟".

"نعم، أظن ذلك".

"وماذا كانت؟".

"كل الأمور الاعتيادية عن التلال المسحورة وصخور الأقزام، وكانت تعرف الكثير من القصص أيضاً، لكن لا شيء خارج عن المألوف".

"هل التقت أياً من الكائنات الخارقة بنفسها؟".
"لم تقل لي".
"لم تناقشه معك؟".
"لم تذكر ذلك أبداً، لا".
"ولم يتحرَّش بها أبداً كائنٌ خارقٌ بأي طريقة من الطرق؟"، سأل فلوڤنت.
"لقد سألتني هذا من قبل، وأجبتُك أنه ليست لديَّ أي فكرة".
"لم تُخبِرك؟".
"لا".
"هل أنت متأكد من ذلك؟".
"نعم. على أي حال، أنا لا أصدِّق هذا الصنف من الأمور. وإذا حصل ذلك معها فهو من نسج خيالها".
"آه، هذا صحيح، أنتَ لا تصدِّق وجود هكذا مخلوقات، وهي تنتمي بكل معنى الكلمة إلى عالم القصص الخرافية".
"نعم. بالطبع. ولستُ على دراية بنوع الحقد الذي تقصده في حكايات شعب الهولدو، فهي في النهاية حكايات ترويها النساء في الأغلب، وتنقلها الأم إلى أولادها، وهذه هي الطريقة الأساسية التي صمَدَت بها على مرّ الزمان. ولأنها بقيت حيّة عبر الأجيال بفضل النساء فهي تعكس نظرةً أنثويةً للعالم، وتُظهر الهموم القريبة على قلوبهن، وتميل إلى أن تكون قصصاً عن أحباب خائنين، وإنجاب الأولاد، وتعرض الرُضَّع".
"تعرض الرُضَّع؟"، استعلَم فلوڤنت.
"بعض الأمور لا تتغيَّر كثيراً".
"ماذا تقصد؟"، سأل ثورسون.
راح جوناتان ينظر من أحدهما إلى الآخر محاولاً أن يجعل نفسه مفهوماً. "تصوِّر أغلب القصص قَدَر النساء القاسي، مثل إنجاب ولدٍ خارج إطار الزواج والاضطرار إلى التخلّص منه. كان تعرض الرُضَّع مرادفاً للإجهاض في تلك الأيام، وهو بالطبع أمر مروِّع، ووفَّرت قصص شعب الهولدو طريقةً للتستّر على الواقع المرير وتخفيف حدّة الكَرْب الذهني بأن قدَّمت عالماً بديلاً تُنجب فيه النساء

أولاداً من رجال وسيمين لطيفين من العِرق المختبئ شكّلوا نقيضاً لنظرائهم البشريين الوحشيين. يُترك الرُضَّع في الهواء الطلق ليجدهم آباؤهم، فيكبرون أعزّاء بين شعب أبيهم، وحتى قد يعودون إلى العالم البشري ذات يوم. بمعنى آخر، تخدم القصص كوسيلة لتخفيف حدّة تجربة مُحزِنة".

"رجال وسيمون لطيفون؟"، كرَّر ثورسون.

"كالأميركيين"، قال جوناتان.

"هل هم شعب الهولدو الجديد؟".

"إن جاز التعبير".

"ما شعورك حيال ذلك؟"، سأل ثورسون.

"أنا؟ ليس لديَّ رأي".

"هل تورَّطتَ مع أي نساء شخصياً؟".

"ما علاقة هذا بأي شيء؟ لماذا تسألني هذا السؤال؟".

"ربما كل شيء نسأله له علاقة، وربما لا شيء مما نسأله"، قال فلوفنت. "سنكون ممنونين لو أعطيتنا جواباً مباشراً على السؤال".

"لم تكن لديَّ حبيبة أبداً"، قال جوناتان.

"وماذا بشأن هروند؟".

"ماذا بشأنها؟".

"هل كنتَ معجباً بها؟".

"لا"، قال جوناتان. "بالكاد عرَفتُها".

"هل كانت تطارد الجنود في الشمال؟".

"ليس على حد علمي".

"هل اعتديتَ على هروند؟".

"لا، لم أفعل ذلك".

"هل رفضتك؟".

"رفضتني؟".

"ذكرنا روزاموندا البارحة"، قال ثورسون.

"نعم".

"ادّعيتَ أنك لم تعرفها".

"نعم، لم أعرفها".

"ولم تكن لديك أي فكرة أين تعمل؟".

"لا".

"أخبِرني ماذا تفعل إن احتاجت ملابسك إلى إصلاح؟".

ارتبك جوناتان من السؤال وأجاب، "أنا... ماذا أفعل؟".

"إذا ظهر ثقبٌ في سروالك مثلاً، أو احتجتَ إلى ترقيع مِرفق مئزرك الطويل. هل أنت بارع باستخدام الإبرة والخيط بنفسك؟".

راح جوناتان ينقِّل نظره متعجّباً من فلوفنت إلى ثورسون وبالعكس. "لماذا... لماذا تسألني هذا؟".

"لستَ بارعاً كثيراً بالخياطة، أليس كذلك؟"، قال فلوفنت.

"لا".

"وروزاموندا عمِلت خيّاطةً في متجر في ريكيافيك يدعى «الغرزة» يقدِّم خدمة إصلاح أيضاً. هل يُنعش لك هذا ذاكرتك؟".

"أخذتُ سراويلي لإصلاحها مرةً"، تلعثَم جوناتان.

"هل أخذتها إلى ذلك المتجر المدعو «الغرزة»؟".

"هذا ممكن".

"ممكن؟".

"نعم".

"ربما هذه ستُنعش لك ذاكرتك".

أخرجَ فلوفنت الفاتورة التي عثرا عليها في منزل جوناتان ووضعها على الطاولة أمامه. عليها ختم «الغرزة»، وتُظهر تقاضي كلفة إصلاح سروالٍ. مدَّ جوناتان يده إلى الفاتورة، لكن ثورسون سبقه وانتزع الورقة، ورفعها له.

"نعم، هذا صحيح".

"هل كنتَ تعلم أن روزاموندا تعمل في ذلك المتجر؟".

"لا أعرف أي فتاة تدعى روزاموندا، ولا أفهم لماذا تحتجزونني هنا. لم أرتكب أي خطأ، وكل ما أريده هو أن ينتهي كل هذا".

"من المستحسن لك أن توكّل محامياً في هذه المرحلة"، قال فلوڤنت.

"لا أريد محامياً، ولا أعرف أي محامين. أريد العودة إلى المنزل، وليس لديَّ أي وقت لهذا. عليكما أن تفهما أنني بريء، ولم أفعل أي شيء. عليكما أن تصدِّقاني". نهض جوناتان وأضاف، "لا يمكنكما إبقائي هنا، ولا يحق لكما احتجازي. أنا ذاهب".

نهض فلوڤنت وثورسون أيضاً، وراقبا جوناتان يسير إلى الباب غير المقفل. فتَحه وكان على وشك الخروج إلى الرواق عندما أمسَك ثورسون ذراعه.

"أفلتني".

"أخشى أنه لا يمكنك المغادرة بعد"، قال فلوڤنت.

بدا جوناتان للحظةٍ وكأنه سيحاول الفرار، ثم هدأ كما لو أنه عدل عن رأيه بعد أن رأى أنهم يفوقونه عدداً.

"لا تفعل هذا بي"، قال متوسِّلاً. "دعني أذهب".

"آسف يا بُنيّ"، قال فلوڤنت. "إنني أعتقلك بشبهة قتل روزاموندا، وليس لدينا أي بديل. أنصحك أن تتعاون معنا، كما أنصحك بشدة أن توكّل محامياً".

بعد ساعةٍ، جلس فلوڤنت في مكتبه في فريكركيوفيغور، وانكبَّ يعمل على الملاحظات التي وجَدها في غرفة جوناتان، والتي هي عبارة عن تقرير خربَشه الطالب على خمس صفحات بخط يد بالكاد مقروء، لكن فلوڤنت شَعَر أنه يستطع أن يستخلص لُبّ الموضوع، لذا قرَّب مصباح المكتب، وسلَّط ضوءه على الصفحات غير المرقّمة، واحتاج إلى بعض الوقت ليفهم الترتيب الذي عليه أن يقرأها به. بدا له الأسلوب مألوفاً من السجلات القديمة للمحكمة التي يستشيرها من وقت لآخر، وسرعان ما أدرك أن الصفحات تصف حالة اغتصاب من القرن التاسع عشر. وكلما استطاع فلوڤنت أن يفك التشفير أكثر، كلما أصبح مُقتنِعاً أكثر أنه قبضَ على الرجل الصحيح.

أغلق كونراد أحد جوارير خزانة الملفات، وفتح الجارور التالي دون أن يفقد أمل العثور على تقرير للشرطة عن موت روزاموندا. وجدَ إفادة الشاهد التي علِم منها إسم إنغيبورغ في مجلد فارغ معلّم فقط برقم قضية ومحفوظ تحت سنة 1944. بعد أن تصفّح كل شيء استطاع أن يجده في أرشيف تلك السنة دون أن يحقّق أي نجاح، حاوَل أن يوسّع بحثه ليشمل الملفات من السنة التي تسبق 1944 والسنة التي تليها، في حال كان قد وُضع أيٌ من المستندات في المكان الخطأ، فلا بدّ أن تكون الشرطة قد وضعت تقارير عن هكذا جريمة كبرى، والعثور عليها مسألة وقت فقط لا غير.

بقيت أفكاره تعود إلى وصف پترا لاضطراب ثورسون المسنّ عندما علِم أن روزاموندا كانت خائفة من دخول منزل معيّن في ريكيافيك هو، وفقاً لوالدة پترا، منزل عائلة بارزة: عضو في البرلمان وزوجته، من دعائم المجتمع، زبائن مهمين بقيت مالكة متجر الخياطة المتكبّرة تفتخر أنهما من زبائنها. عضوان في جمعية خيرية، والزوج ربما كان عضواً في جمعية البنّائين السرية، حسبما قالت پترا. وبما أنها كانت قد أعطت ثورسون إسميهما، فمن الآمن نوعاً ما افتراض أنه حاوَل أن يتواصل مع العائلة بعد سبعين سنة على وقوع الحدث.

"سرّني قدومك"، قالت پترا لكونراد أثناء مغادرته. "آمل أن أكون قد تمكّنتُ من مساعدتك. بصراحة، بقيت أمي منزعجة جداً من كل هذا قبل وفاتها، وبقيت تشعر بتأنيب الضمير لحجبها المعلومات".

"بالتأكيد لم يكن هناك داعٍ لذلك"، رَدَّ كونراد فلم يعرف ماذا يقول غير ذلك.

"بقيت تخشى أن تكون قد سبَّبت متاعب لأحدٍ ما عن غير قصد"، قالت پترا، "لكنها شَعَرت أن الأوان فات لتكفّر عن ذنبها، وبقيت يائسة لكي تريح ضميرها. هل تعتقد أن ستيفان – ثورسون – قُتل بسبب ما كانت تعرفه؟".

"آه لا، هذا غير محتمل للغاية"، قال كونراد بإيماءة طمأنة، رغم أنه بدأ يتساءل ذلك سراً.

"أو ربما عانى شخصٌ آخر لأنها التزَمَت الصمت؟ رغم أن أمي لم تعتقد أنه تم اعتقال أو محاكمة أي شخص على جريمة القتل".

"لا، لا يمكنني إيجاد أي دليل على ذلك أيضاً".

"ربما كان عليها أن تقول الحقيقة كاملة".

"حسب قولك، يبدو أنها تردَّدت في التبليغ عن شكوك لا أساس لها من الصحة، ولا شكّ أنها شعرت أنها في مأزق حقيقي".

"هل تعتقد أنك ستعرف يوماً ما الذي حصل؟".

"مَن يدري؟ ربما فات الأوان الآن".

أخرَج كونراد ملفاً تلو الآخر، وراح يتصفَّح محتوياته بحثاً عن أي ذِكر لروزاموندا أو ثورسون أو طالبٍ مرتبطٍ بالقضية، وبقي يقع بين الحين والآخر على إسم المحقق فلوفنت الذي كان يُجري التحقيق مع ثورسون، لكن ليس في قضية لها علاقة بروزاموندا أبداً. لقد حقَّق فلوفنت في كل أنواع الجرائم الروتينية: سطو، تهريب، سرقة سيارات، حالات اعتداء، وكذلك الحادث الخطير الغريب، إلى أن اختفى إسمه من السجلات بُعيد الحرب.

أثناء تصفُّح كونراد الملفات من زمن الاحتلال، راح يفكِّر بما يعرفه عن «الحالة»، فقد قرأ مؤخراً مقالاً في صحيفةٍ عن الإجحاف الذي بقيت النساء الآيسلنديات اللواتي خالطن جنوداً يعانين منه لعدة سنوات بعد انتهاء الحرب، ووصمة العار التي لحقت بالأولاد الذين نتجوا عن تلك العلاقات، رغم أن المواقف تغيَّرت ولانت تدريجياً مع مرور الوقت وبفعل تأثير الحركة النسوية. وفقاً للمقال، الحرب أعتقَت النساء الآيسلنديات من سلطة الرجال في المجتمع الزراعي القديم، وقد شكَّلت درجة الاستقلالية التي تمتَّعن بها والتي لم يسبق لها مثيل أحد أسباب الامتعاض الشرِس من «الحالة». في النهاية، المرأة التي تغسل الثياب لصالح الجيش أصبحت سيدة أعمال مستقلة ذات مدخول يفوق مدخول أخواتها غير الماهرات بعدة أضعاف. وهكذا لم تعد النساء خاضعات للسلطة التقليدية لسيد البيت، وغير ملزمات أن يجدن زوجاً فور بلوغن سن البلوغ، بل وجَدن أن لديهن الحرية

في خوض غمار المغامرات، وفي الذهاب إلى مناطق نائية وهنَّ يتأبطنَ ذراع رجل من عالم آخر. بالإضافة إلى ذلك، ومثلما أشارت النساء أنفسهن، فإن الجنود الأجانب – المهذّبين والنظيفين وذوي المعشر الحلو – بدوا كأمراء من القصص الخرافية بالمقارنة مع الرجال الآيسلنديين المتوفرين.

مبتسماً لنفسه عند تذكّره مواطنيه الجلفين، استمر كونراد يعود بالزمن بحثاً عن معلومات عن فتاة ربما دفعت ثمناً باهظاً لتلك الحرية المُكتشَفة حديثاً، وعاد وصولاً إلى سنة 1941 حيث اكتشَف ورقتين طليقتين مكتوبتين بخط اليد غير موضوعتين في ملفٍ، وغير مدوَّن عليهما التاريخ أو إسم المؤلف، ويبدو أنهما وُضعتا في المكان الخطأ بينما كان أحدهم يفرِّغ الملفات القديمة أو يُجري عملية نقل، وربما نسي رميهما فحسب. خط اليد أنيق ومقروء، وبدا أن الصفحتين تلخِّصان مقابلةً مع رجلٍ لم يُذكَر إسمه، وليستا تقريراً رسمياً بل أشبه بملاحظات الشرطي لنفسه يقول فيها إن الرجل أُحضِر للاستجواب ووُضع مُكرهاً في زنزانةٍ في سكولافوردستيغور، وتبيَّن خلال الاستجواب أنه عرَف 'الفتاة في الشمال' – هكذا أشارت إليها الصفحتان – وأجرى إصلاحاً لبعض الملابس في متجر يدعى «الغرزة» كانت روزاموندا تعمل فيه. وتابَعت الملاحظات تقول إنه طالب تاريخ آيسلندي في جامعة آيسلندا، ولديه اهتمام خاص بالتراث الشعبي والأساطير، ويكتب أطروحة عنها. وقد أُضيفت جملةٌ في الأسفل بحبر مختلف لكن بنفس خط اليد بدت على خلاف مع النبرة الجافة للنص السابق، كما لو أنها فورة نابعة من قلب المؤلف: *ما حصل مأساويّ*.

هذا كل ما قالته الصفحتان. تفحَّص كونراد بعض التقارير المطبوعة على الآلة الكاتبة والموقَّعة من فلوفنت، واستنتَج عند مقارنتها بالملاحظات أن خط اليد على الورقتين الطليقتين يمكن أن يكون خط يده. تابَع يفتِّش في خزائن الملفات، ويفتح الجوارير، ويتصفَّح التقارير، لكنه لم يعثر على شيء مثير للاهتمام. ورغم أن الإشارة إلى الفتاة في الشمال بدت محيِّرةً، إلا أنه بدا أن الطالب المذكور مشتبهٌ بقتله روزاموندا، لكن من الواضح أن القضية لم تُحَلّ نتيجة اعتقاله، بما أنها لم تذهب إلى المحكمة أبداً، ولم تثبت التهمة على أحد، بل بدا كما لو أن التحقيق توقف فجأة. هل هناك أي احتمال أنهم استطاعوا ربط المشتبه به

بالعائلة ذات النفوذ التي ذكرَتها پترا؟ ففي النهاية هناك عضو في البرلمان متورِّط في القضية، لذا هل من الممكن أنه تم إيقاف التحقيق نتيجة ضغطٍ سياسيٍ؟

طالب في التاريخ الآيسلندي.

طالب.

هل هذا المشتبه به غير المسمى هو الطالب الذي تمتم عنه ثورسون أثناء مغادرته منزل پترا؟

عندما اتّضح له بعد ساعتين أنه لن يصل إلى أي نتيجة، تخلّى كونراد عن تحرياته وذهَب لزيارة مارتا التي أخبَرته بتجهّم أنهم لا يحقّقون أي تقدّم في التحقيق، ورأى على مكتبها كومة أشرطة من كاميرات المراقبة القريبة من منزل ثورسون، ومدوَّنة عليها أسماء متجرٍ ومصرفٍ ومدرسةٍ.

"لقد بدأنا نخوض بصعوبة في هذه الكومة"، قالت مارتا وهي تومئ إلى كدسة الأشرطة بينما ارتدت معطفها. "في حال لمحنا أحد المشتبه بهم المعتادين، لكن ما عدا ذلك، ليست لديَّ أي فكرة عما نبحث".

"حظاً سعيداً"، قال كونراد.

"هل عندك أي شيء لنا؟".

"لا شيء ملموس".

"بدأنا نظن أن العجوز انتحر"، قالت مارتا.

"خنق نفسه؟ هل هذا ممكن؟"، سأل كونراد بارتياب.

"فكِّر بالمسألة يا كونراد"، قالت مارتا. "كان عجوزاً ومرهَقاً". لقد تأخرت على اجتماعٍ، وبدا واضحاً أنه ليس لديها الوقت لتتكلّم. "لقد وصلنا إلى طريق مسدود، فلم نستطع إيجاد أحدٍ لديه أي سبب ليؤذيه، ولم يحصل دخول قسري، ولم يُسرَق أي شيء. ما الدافع؟ ليست لدينا أي فكرة على الإطلاق. ليست لديه عائلة هنا، ولا دائرة أصدقاء على حد علمنا، ولا شيء يتطلّع إليه ما عدا تمضية بقية أيامه وهو يذبل في دار للمسنّين. هل تفهم ما أقصده؟".

"خطأ"، قال كونراد. "خطأ تماماً. هذا بعيد كلياً عما كان يدور في رأسه، بل كان لديه على العكس تماماً ألف سبب ليعيش، فقد انخرط بكل جوارحه في دراسة تلك القضية القديمة بشأن الفتاة التي خلف المسرح، وهي قضية حقّق فيها

بنفسه عندما كان شرطياً عسكرياً خلال الحرب، ولديّ سبب لأعتقد أنه كان يُحرز تقدّماً في تحقيقاته. هناك ستجدين سبب وفاته. هناك ستجدين الدافع".

"حسناً"، قالت مارتا. "هل يمكنك أن ترسل لنا تقريراً موجزاً؟ سنلقي نظرة عليه".

رنّ الهاتف الذي على مكتبها، ولحظة رفعها السمّاعة، رنّ جوّالها.

"أيام كتابتي التقارير ولّت"، قال كونراد باقتضاب. "تعرفين أين تجدينني".

وغادر.

راح يتساءل بعد ذلك إن كان يمكنه اكتشاف أي معلومات إضافية من ڤيغا، لذا زارها مرة أخرى في دار المسنّين، ووجد الأروقة تعجّ بالمقيمين، والعديد منهم يسيرون ببطء شديد بمعاونة أجهزة المساعدة على السير، والموظفون يتجاوزونهم ذهاباً وإياباً حاملين صواني وأوعية، والأجواء عابقة بموسيقى من جهاز راديو في مكان ما. رأى ڤيغا مستلقية في بقعتها الاعتيادية، غافلةً عن كل شيء، فتردَّد كونراد في إزعاجها، وجلس بجانب سريرها. لقد أخبَره الممرِّض الذي استشاره أنها لا تتلقى أي زيارات أبداً، لذا فقد تفاجأ الناس عندما جاء مسنٌّ محترمٌ ليجلس معها منذ أسبوعين، والآن كونراد يزورها للمرة الثانية.

مرَّت حوالي عشرين دقيقة وهو جالسٌ هناك يتصفَّح مجلة اجتماعية مملة بشكل لا يُصدَّق عندما سمِع العجوزة تتحرَّك، فوَضَع المجلة من يده، وفتَحت ڤيغا عينيها ونظرت إليه.

"ڤيغا؟"، قال كونراد.

"من أنت؟"، سألت بضعف.

"إسمي كونراد. أتيتُ لرؤيتك ذاك اليوم".

"آه؟".

"هل تتذكَّرين؟".

هزَّت ڤيغا رأسها. "من أنت؟"، سألت مرة أخرى.

"إسمي كونراد. بالطبع لن تتذكَّريني، لكنني كنتُ أعيش قربك في الأيام الخوالي".

لم تُظهِر ڤيغا أي دلالة على تعرّفها عليه، سواء من الماضي أو من زيارته

الأخيرة لها.

"زرتُك ذلك اليوم لأسألك عن رجل أتى لرؤيتك يدعى ستيفان. كان في الشرطة العسكرية ومرابِطاً هنا خلال الحرب ويستخدم إسماً هو ثورسون. هل تتذكَّرين زيارته لك؟ هل تتذكَّرين التكلّم معه؟".

"هل أعرفك يا سيد -؟"، سألت ڤيغا بنبرة رسمية فجأة.

"لا، أشكّ أنك تتذكَّرينني فهذا حصل منذ زمن طويل جداً. لقد أراد ثورسون ذاك أن يعرف إن كنتِ قادرة على مساعدته في قضية حقَّق فيها خلال الحرب تتعلق بشابة عُثر عليها مخنوقة خلف المسرح الوطني. عندما زرتُك مؤخراً، ذكَرتِ لي شيئاً عن فتاة أخرى -"

"هل أنت من الإدارة؟".

"لا، أنا مجرد زائر عادي"، قال كونراد. "لا أعرف إن تكلَّمتِ مع ثورسون أبداً، لكنكِ أخبَرتني عن فتاة أخرى اختفت كلياً. قلتِ إنهم لم يعثروا على عظامها أبداً، وذكَرتِ شعب الهولدو".

"اعتدى عليها أحد أفراد شعب الهولدو". رفعت ڤيغا نفسها عن وسادتها بصعوبة، وركَّزت عينيها على وجه كونراد.

"مَن؟".

"الفتاة في الشمال. كانت تدعى هروند. لم يعثروا عليها أبداً. رمت نفسها في الشلال. هل كان أبوكَ وسيطاً روحياً؟".

"لا"، قال كونراد بارتباك.

"بلى، كان وسيطاً روحياً".

"لا، كان -"

"وسيط روحي مزيَّف!".

"لا، لم يكن كذلك، بل كان عضواً في جمعية الأبحاث النفسانية..."

"كان محتالاً"، همسَت ڤيغا وهي تعاود الاتكاء على وسادتها. "كان قذراً، حثالةً، تافهاً".

"ڤيغا؟".

لم تُجِبه، وتهدَّل جفناها مرة أخرى.

"ڤيغا؟".

بعد ثلاثة أرباع الساعة، نهض كونراد ورحل، وڤيغا لا تزال تغطّ في نوم عميق رغم أنه بقي يجلس بجانبها بانتظار أن تستيقظ لكي يستطيع أن يسألها المزيد عن الفتاة هروند. لقد وجد أن كل شيء قالته له غامضٌ من جهة أن أحد أفراد شعب الهولدو اعتدى على هروند، وأنها رمت نفسها في شلالٍ، ولم تكن لديه أي فكرة عما تتكلّم. هل هروند هي نفس الفتاة التي أشارت إليها في الزيارة السابقة، نفس الفتاة التي اختفت ولم يُعثر عليها أبداً؟

جلس في سيارته، ومدَّ يده ليدير المحرِّك عندما تذكَّر فجأة صفحتَي الملاحظات اللتين عثر عليهما في أرشيف الشرطة، واللتين بدتا مكتوبتين بخط يد فلوفنت. لقد ذكرتا أن المشتبه به يعرف 'الفتاة في الشمال'.

هل تلك الفتاة هي هروند هذه؟

تذكَّر رواية أبيه عن جلسة تحضير الأرواح مع والدَي روزاموندا. فبسبب الغضب الذي انفجر خلال انعقادها، لم يعلم أحدٌ غيره أن الوسيط الروحي المخزي شَعَر بحضور فتاة أخرى لقيت مصيراً وحشياً أيضاً، وتساءل كونراد، الذي لم يكن ساذجاً، إن كان يقصد الفتاة التي أشارت إليها ڤيغا بإسم هروند.

المرأة أصغر سناً قليلاً من كونراد، وقد شغلت عدة وظائف مكتبية على مر السنوات، آخرها في قسم الضمان الاجتماعي، واقترَحت عليه أن يلتقيا في مقهى في وسط البلدة. رغم أن والدَيهما عمِلا معاً حيث تآمرا للاحتيال على الأبرياء، إلا أن كونراد لم يتكلّم معها أبداً من قبل. إسمها آيغلو، وهي الإبنة الوحيدة للوسيط الروحي الذي عقد جلسة تحضير الأرواح لوالدَي روزاموندا.

شرَح لها عبر الهاتف أنه عثر على نعي أبيها على الانترنت وحصل على إسمها منه، وأخبَرته آيغلو أن أباها تردَّد دائماً في التكلّم عن عمله كوسيط روحي، لكن تبيَّن أنها مطّلعة على قضية روزاموندا، وقالت إنها تساءلت أحياناً كيف انتهت. أبلَغها كونراد أنه يبدو أنه تم التخلي عن التحقيق، وأن القضية لم تُحَلّ أبداً.

"إذاً أنت إبنه"، هو أول ما قالته وهما يتصافحان في المقهى، وتمسّكت بيده عندما حاول سحبها، وبقيت تتفحَّصه للحظةٍ قبل أن تفلت يده فجأة. "عليَّ أن أُقرّ أنني شعرتُ ببعض الفضول بعدما تكلَّمنا على الهاتف".

"فضول؟"، قال كونراد وهما يجلسان.

"كاد أبوك يدمِّر أبي"، قالت. "وأردتُ أن أرى كيف تبدو".

"آمل ألا يكون أملك قد خاب كثيراً".

"سنرى، فتلك الأنواع من عيوب الشخصية تميل إلى أن يتوارثها الأبناء".

"عيوب الشخصية؟ ماذا تقصدين؟".

"لم يتناول أبي أي شخص بالسوء أبداً، لكن هذا ما قاله عن أبيك – أنه شخص سيئ. هل تربَّيتَ على يده؟".

"لا أرى ما... ما علاقة هذا بأي شيء".

"تريد أن تنهال عليَّ بالأسئلة، فلماذا لا يجب أن أردّ لك المعروف؟".

"الموضوع ليس عني".

"هل أنت متأكد؟".

"نعم".

"لماذا نحن هنا إذاً؟ أليس بسبب أبيك؟ وجلسة تحضير الأرواح تلك؟ ألم تتصل بي لهذا السبب؟".

راحت آيغلو تتأمله باهتمام وهي تنتظر ردّه. إنها امرأة صغيرة الحجم وذات شعر داكن، وكل ملابسها سوداء تقريباً، وبدت أصغر سناً بكثير من عمرها الحقيقي، وعيناها ساطعتان وثاقبتان تحت جبهتها العالية، وحركاتها رشيقة وحاسمة، كما أنها سريعة البديهة، وتدخل صُلب الموضوع مباشرة. لقد أبلَغت كونراد عبر الهاتف أنها سارت على خُطى أبيها فعمِلت نفسانيةً لبعض الوقت، وراح كونراد يلهو بفكرة أن يسألها إن ورثت موهبتها من أبيها، لكنه تردَّد. وأضافت أنها غير مشهورة، وأنها التزمت الصمت بشأن ما سمّته 'موهبتها السماوية'.

"اتصلتُ بكِ بشأن روزاموندا"، قال كونراد. "أردتُ معرفة إن أخبركِ أبوكِ أي شيء عنها ذات يوم. إن أجرى بحثاً عن أيٍ من تفاصيل قضيتها قبل أن يعقد جلسة تحضير الأرواح. بمعنى آخر، إن كان لديه أي اطلاع سابق".

"ألم يكن ذلك عمل أبيك؟ أن يجمِّع المعلومات؟".

"أظن ذلك"، قال كونراد. "لقد أخبَرني أنهم اعتادوا الغشّ في الجلسات، وعن جلسة تحضير الأرواح تلك بالذات، لكنه لم يُخبِرني أي شيء عن روزاموندا، لذا فأنا أتساءل إن كان أبوك..."

"أنت لا تصدِّق أياً من هذا، أليس كذلك؟"، قالت آيغلو. "النفسانيين. جلسات تحضير الأرواح".

"لا".

"ولا تصدِّق حتى أن هناك حياةً بعد الموت؟".

"لا".

"هل أنت متأكد؟".

ابتسم كونراد. "نعم".

"لا يمكن أن تكون مشكِّكاً مثلما تقول وإلا لما كبّدتني عناء القدوم إلى هنا. هل أنت متأكد أنك لا تملك بعضاً من الحاسّة السادسة بنفسك؟".

"هل تكلَّم أبوك يوماً عن روزاموندا؟"، سأل كونراد ليغيِّر الموضوع بسرعة.

"لا، ليس حسبما أذكُر، لكنه أخبرني عن جلسة تحضير الأرواح تلك قائلاً إن أباك أجبره على العمل معه. هل كنتَ تعرف ذلك؟".

"لا".

"لقد عرَف شيئاً سرياً عن أبي – لا أدري ما هو – فأجبره على المشاركة في الخدعة. كان أبي يملك الموهبة، لكن ذلك لم يكن كافياً لأبيك فقد أراد نتائج باهرة لكي يدفع الناس أكثر. تعرَّفا على بعضهما عبر جمعية الأبحاث النفسانية، وأُقرّ لك أن أبي كان ضعيفاً ويتوق إلى تقدير الآخرين له، كما كان يعاني من مشكلة إدمان على الشراب حيث اعتاد احتساءه لأيام متواصلة، فيغيب لعدة أسابيع كل مرة، ويبقى فاقد الوعي لأيامٍ أحياناً، لكنه كان رجلاً طيباً في أعماقه، ولم يتقصَّد إيذاء أي شخص، وقد امتلك بعض المميزات كوسيط روحي، مثل حساسية مرهفة لا يملكها الجميع، وتعاطف لحاجة الناس إلى أجوبة".

"هل تعرفين لماذا أخبَر أبي أنه شَعَر بحضور فتاة أخرى خلال جلسة تحضير الأرواح تلك لروزاموندا؟"، سأل كونراد. "من أين جاء ذلك التفصيل؟ أو مَن كانت؟ أبي لم يعطه أي معلومات عن فتاة ثانية، وكانت هناك مع روزاموندا على ما يُظَنّ، وقد رافقها شعور قوي بالبرد. هل تكلَّم أبوك عن ذلك يوماً؟ هل عرَف أكثر مما أفصح عنه؟".

"لقد عرَف ما الذي شَعَر به"، قالت آيغلو، "لكنك لا تصدِّق كل ذلك، أليس كذلك؟ لقد قرَّرتَ من قبل أن كل شيء قاله كذبٌ، لذا لا يمكنني أن أتخيّل لماذا تسألني".

"حسناً، لا أعرف كيف أفسِّر ذلك"، قال كونراد، "لكن الغريب هو أنه ربما كانت هناك فعلاً فتاة ثانية مرتبطة بقضية روزاموندا. فتاة لم يُعثر عليها أبداً. لذا أردتُ أن أتأكد إن كان لدى أبيك أي اطلاع سابق بذلك".

جفلت آيغلو ووَضَعت كوب قهوتها من يدها. "لم تكن لديَّ أي فكرة أنها مرتبطة بقضية روزاموندا"، قالت. "هل تعرف كيف؟".

"هذا ما أحاول معرفته. اعتقَدتُ أن والدَينا ربما امتلكا معلوماتٍ داخليةٍ، مثلما جرى عندما ادّعيا الإحساس بقفّازات أبو إلهام أو بحطام السفينة".

"ادَّعيا؟ لقد امتلك أبي طاقات نفسانية، وإذا قال إنه شَعَر بحضور فتاة أخرى

مع روزاموندا، فهو لم يخترع ذلك. لم يكن كذّاباً مَرَضياً، خلافاً لـ..."

"أبي؟".

"نعم".

"إذاً تقولين إنه شَعَر بحضور فتاةٍ؟ مَن كانت؟ هل ناقش ذلك معكِ يوماً؟ هل من الممكن أن إسمها كان هروند".

"لم يعرف إسمها، لكنها زارته بقوة خلال جلسة تحضير الأرواح تلك. لم تكن لديه أي فكرة مَن هي أو ما الذي حصل لها، وكل ما عرَفه هو أنها حزينة وتشعر بالبرد. لقد تكلَّم عن القشعريرة التي ذكرتَها. عن البرد القارس".

"إذاً فهو لم يعرف أكثر من ذلك؟".

"لا".

"ولا كيف ماتت؟".

"لا".

"هل سمِعتِ عن رجل يدعى ستيفان ثورذارسون، أو ثورسون، مثلما كان يُعرَف في الأيام الخوالي؟".

"ثورسون؟ لا".

"ألم يتواصل معك؟".

"لا".

"وأبوك مات منذ سنوات طبعاً".

"نعم"، قالت آيغلو. "كان... انتحاراً. بقي في حالة سيئة لفترة طويلة، ولم يستطع إيجاد أي سلام في روحه، مثلما كانت أمي معتادة أن تقول. في الواقع، حصَل ذلك بعد وقت قصير على سماعه خبر وفاة أبيك".

"أبي؟".

"ألم يُطعَن حتى الموت قرب المَسلَخ؟".

"نعم. لكن ما علاقة هذا بأبيكِ؟".

"قالت أمي إن الخبر صدَمَه. ومرّت بضعة أشهر فقط بين ذلك و... وفاته".

"لكنهما لم يكونا على تواصل أبداً، أليس كذلك؟".

"لستُ على عِلم بهذا، لكنني لا أعرف كل شيء. لم أعرف أبي جيداً فقد

كنتُ يافعةً جداً، لكن أمي أخبَرتني أن خبر طعن أبيك صدمه صدمةً كبيرةً، وقد افترَضت أن ذلك لأنهما عمِلاً معاً ذات مرة، لكن... ربما الأمر انطوى على أكثر من ذلك".

"ماذا تقصدين؟".

"لا أدري"، قالت آيغلو. "أخشى أنني على جهل تام، وكل ما أعرفه هو أنه من الواضح أن أبي لم يكن بخير، فلا أحد سليم عقلياً يتصرّف هكذا".

بقيت تجلس هناك لبرهةٍ شاردةً في الذكريات الحزينة التي أثارها كونراد، ثم دفَعَت كرسيها إلى الخلف فجأة، ونهضت قائلةً إن عليها الرحيل.

"آسفة أنني لم أستطع مساعدتك أبداً"، أضافت.

"شكراً للقائي على أي حال"، قال كونراد وهو ينهض أيضاً، وصافحها مرة أخرى. انتهت المصافحة سريعاً هذه المرة، وقد تجنَّبت نظراته المحدِّقة.

"آمل أنني لم أزعجك"، قال. "لم تكن هذه نيّتي حقاً".

"لا... لا، على الإطلاق"، قالت آيغلو.

أدركَ أنها لاحظت ذراعه الذابلة خلال حديثهما، وحاوَلت عدم التحديق بها. "عليَّ أن أكون في مكان آخر"، أضافت وأسرعَت في الخروج من المقهى.

عاود كونراد الجلوس، وراح يحكّ ذراعه بذهن شارد وهو يقلِّب كلماتها في ذهنه، ويفكِّر بطريقة تكلّمها عن أبيه. لم يفاجئه ذلك فقد سمِع آراءً مماثلةً من قبل وعرَف من الخبرة – من ذكريات طفولته – كم يمكن أن يكون أبوه غير منطقي وعنيف. لقد حاوَلت والدة كونراد بشكل متكرر أن تعيد زوجها السابق إلى رشده، وأن تُقنِعه بالسماح لإبنهما أن يذهب ويعيش معها، لكن بلا جدوى، وحتى رفَض في إحدى المرات أن يدعها تدخل وتكلِّم كونراد، وتركها واقفةً عند مدخَل القبو. لقد كانت معتادة أن تزورهما وتُمضي بعض الوقت مع كونراد عندما تأتي إلى البلدة من منزلها الجديد في الشرق، وتبدأ بالبكاء أحياناً وتتوسّل أباه ألا يُبعدهما عن بعضهما أكثر من ذلك، لكن أباه ضاق بها ذرعاً في تلك المرة.

"على الأقل دعني أودِّعه"، قالت متضرِّعة وهي تحاول إلقاء نظرة خاطفة على إبنها.

"آه، اخرسي أيتها الحقيرة"، قال أبوه، وخبطَ الباب في وجهها.

38

سرعان ما كشفَ استقصاءٌ بسيطٌ على الانترنت تاريخ وفاة عضو البرلمان وزوجته، وحقيقة أن إرثهما استمرّ عبر عدة أولاد وأحفاد. لا عجب أن أسماءهم بدت مألوفة، فعندما بحث عنها كونراد، تذكّر أن أحد الأبناء كان سياسياً مؤثّراً، ووزيراً، وقيادياً في المجتمع الآيسلندي. ومن أصل أبناء النائب الأربعة وإبنته الوحيدة، لا يزال إبنان فقط حيّين، وقد مات أحدهم في أوائل ستيناته. عندما تفحّص كونراد النعي، رأى أنه تُوفِّي فجأة في منزله، وذُكر أن السبب قلبه الضعيف. لكن الأخ الآخر والأخت عاشا حتى سنّ الشيخوخة، وقد تبعثر المتحدّرون منهم في كل أرجاء البلاد ووصولاً حتى بريطانيا واستراليا.

قرّر كونراد أن خطوته الأولى يجب أن تكون زيارة الأخ الأصغر سناً الذي لا يزال حيّاً، والذي يعيش في مجمّع سكني مخصّص للمسنّين في بلدة بورغارنس الصغيرة على الساحل الغربي. شَعَر أنه في مزاج جيد للقيام برحلة إلى خارج البلدة، لذا رَكِب سيارته في اليوم التالي لزيارته ڤيغا، وتوجّه شمالاً. استغرقت الرحلة حوالي ساعتين بما أنه قرّر عدم سلوك النفق بل سلوك الدرب الأطول ذي المناظر الطبيعية أكثر حول هڤالفيوردور. وجدَ الطريق شبه خالٍ في هذا اليوم الجميل لأن معظم الأشخاص يستخدمون النفق الآن، ولم تكن هناك أي نسمة، وبدا الزقاق البحري ناعماً كمرآةٍ. عَنَّ في باله خلال الرحلة أن يمرّ قرب ثكنات الحرب القديمة التي لا تزال واقفةً فوق محطة الوقود ثيريل التي لم تعد سوى ظلٍ لما كانت عليه في السابق بعد أن تضاءلت معظم حركة السير الآن حول الزقاق البحري إلى حدّها الأدنى.

رأى أن الثكنات القديمة طُلِيَت بالأحمر ورُمِّمت بمحبة، وقد قرأ كونراد مؤخراً أن موظفي محطة صيد الحيتان القريبة يستخدمون بعضها لقضاء الإجازة الصيفية. قاد ببطء عبر المستعمرة الصغيرة محاولاً أن يتخيَّل كيف بدت المنطقة خلال الحرب عندما كان عدد الأكواخ أكبر بكثير، والمكان بأكمله يضجّ بالحياة، والسُفن الحربية الرمادية راسية في الزقاق البحري، بينما الصمت يسود المكان الآن، ولا

يكسره سوى الهدير العَرَضيّ لسيارةٍ مارّةٍ. هناك طائر نورس وحيد يعوم في الرياح فوق محطة صيد الحيتان القديمة كما لو أنه يبحث عن أيام الازدهار التي ولّت.

وَصَل إلى بورغارنس بُعيد الظهيرة، وعثر على شقق التقاعد بسرعة، وتابَع طريقه نزولاً على التلة، وركَن في الخارج. إسم الرجل مدوَّن على نظام الاتصال الداخلي في الردهة، وكونراد لم يبلِّغه بزيارته مسبقاً، لذا لم تكن لديه أي فكرة إن كان سيجد الرجل في منزله أم لا. بعد انتظاره مدةً زمنيةً لائقةً، ضغَط الجرس مرة أخرى لكن لم يُجبه أحدٌ، لذا رنَّ بعدها ما افترَض أنه جرس الشقة المجاورة وردَّت عليه امرأةٌ قالت إنها لم تر جارها ذلك الصباح، لكنه يذهب للسباحة خلال استراحة الغداء في أغلب الأحيان، فشكَرها كونراد، وعاد إلى سيارته، وقاد إلى حوض السباحة.

لطالما أحبَّ بلدة بورغارنس الصغيرة الودودة بدار عبادتها الجميل الجاثم على قطعة أرض يحيطها البحر من جهةٍ وسلسلة جبال من الجهة الأخرى. للبلدة أهمية تاريخية أيضاً فقد ذُكرَت كثيراً في ملاحم القرون الوسطى، والشيء الوحيد الذي يُعتبر أنه يُفسدها هو الدفق المتواصل للسيّاح الذين يملأون مطاعم الوجبات الخفيفة والمقاهي، بما أن بورغارنس هي إحدى محطات الاستراحة الرئيسية على الدروب المتّجهة شمالاً وغرباً.

لم يبدُ أحدٌ من السبّاحين الذين يغادرون الحوض بالعمر الصحيح ليكونوا الرجل الذي يبحث عنه، لذا عاد أدراجه إلى الشارع الرئيسي حيث ارتفعت آماله عندما لمحَ رجلاً مسنّاً يخرج من مركز التسوّق المحلي حاملاً كيساً بلاستيكياً فيه زجاجة شراب بيدٍ وحقيبة رياضية صغيرة باليد الأخرى، لكنها تلاشت مرة أخرى عندما ركِب الرجلُ سيارةً تجلس امرأة خلف مِقوَدها وقادا نحو خارج البلدة.

مرَّ كونراد بجانب شقق التقاعد مرة أخرى، ورنَّ الجرس في الردهة مجدداً، وسمِع فرقعةً حادةً عبر الهاتف الداخلي هذه المرة.

"نعم؟"، دوّى صوتٌ.

"هل هذه شقة ماغنوس؟".

"نعم، أنا ماغنوس".

"آه، إسمي كونراد وأودّ التحدّث معك قليلاً عن والدَيك، إن لم يكن لديك

مانع".

"عن والديَّ؟".

ساد صمتٌ طويلٌ، ثم أزَّ قفل الباب إلى منطقة المصعد. عندما وَصَل كونراد إلى الطابق الثاني، وجدَ ماغنوس ينتظره خارج شقته. تصافحا، ودعاه ماغنوس إلى الدخول وهو يشرح له أنه عاد إلى منزله للتو من السباحة، وادّعى كونراد أنه يسمع بهذا الأمر لأول مرة.

"كيف عرَفت والديَّ؟"، سأل الرجل وهو يُغلق الباب خلفهما ويقود كونراد إلى غرفة الجلوس. "هل أنت أحد أولئك الأخصائيين بعِلم الأنساب؟".

الشقة صغيرة وذات مطبخ مفتوح على غرفة الجلوس، وغرفة نوم صغيرة، ومنظر جميل على الزقاق البحري وجبل هفنرفيال. بدا له أن مالكها ماغنوس يتمتّع بلياقة بدنية جيدة بالنسبة لعمره، وهو رجل مفهم بالحيوية، ذو طول متوسط، وظهر مستقيم، ورأسه أصلع بالكامل، ووجه مستدير. لا شكّ أن السباحة تساعده في الحفاظ على لياقته.

"لا، في الواقع"، قال كونراد، "لستُ أخصائياً بعِلم الأنساب، لكن عندي اهتمام بالقضايا الجنائية القديمة و-"

"القضايا الجنائية؟"، قاطعه ماغنوس.

"هذا صحيح، وإحدى القضايا التي أدرسها حالياً تعود إلى حقبة الحرب العالمية الثانية".

"حقاً؟ ولهذا السبب أنت هنا؟".

"نعم".

"أي قضية؟".

"شابة كانت تعمل خيّاطةً عُثر عليها مخنوقة خلف المسرح الوطني عام 1944. تدعى روزاموندا. أعتقد أن الكثير من المسنّين من ريكيافيك سيتذكّرون الحادث".

"هذا يبدو مألوفاً نوعاً ما"، قال الرجل وهو يعبس قليلاً.

"هل لي أن أسألك إن زارك أحدٌ آخر مؤخراً - زائرٌ مثلي من ريكيافيك - رجلٌ يدعى ستيفان؟".

"ستيفان؟ لا".

"كان يستخدم إسم ثورسون، وهو من المستوطنات الآيسلندية في كندا".

"لا، هذا لا يذكّرني بشيء".

"إذاً فهو لم يأتِ إلى هنا ليتكلّم معك عن القضية؟".

"لا. لا أعرف أي شخص يدعى ستيفان أو ثورسون، وأنا لا أتلقى الكثير من الزوّار هنا. بنتايَ تعيشان في استراليا منذ فترة الركود في أواخر الستينات، ولا يمكنني أن أتكبّد عناء السفر إلى الشمال المتجمّد كثيراً. ماذا... لماذا سيريد ذلك الرجل أن يتكلّم معي؟".

"لقد أتى إلى هنا خلال الحرب، وقد عمِل في الشرطة العسكرية وحقّق في وفاة الفتاة التي ذكرتُها لك".

"إذاً؟ لا أفهمك. أين دوري في كل هذا؟".

"كان لا يزال يحقّق في القضية حتى وفاته منذ أسبوعين. ربما سمِعتَ في الأخبار عن العثور على متقاعد ميتاً في منزله في ظروف مشبوهة. ذاك كان ثورسون".

"أخشى أنني لا أتابع الأخبار كثيراً، ولا أزال لا أفهم ما علاقتي بكل هذا".

"لا، بالطبع، آسف. سأحاول أن أشرح لك. كانت الفتاة التي عُثر عليها قرب المسرح تعمل خيّاطةً في ريكيافيك، في متجر كبير يدعى «الغرزة» لديه عدد كبير من الزبائن – من كل مشارب الحياة، مثلما يُقال. وقد اكتشف ثورسون مؤخراً معلومةً جديدةً بالصدفة هي أن الفتاة رفضت توصيل أي بضائع إلى منزل محدَّد في ريكيافيك مالكوه من الزبائن المنتظمين للمتجر".

"ثورسون؟"، كرَّر الرجل بذهن مشتت.

"هل بدأتَ تتذكَّر الآن؟".

"قلتَ إنه كان في الشرطة العسكرية؟".

"نعم، هذا صحيح، وأظن أنه ارتدى زياً رسمياً في ذلك الوقت. كان في الجيش الكندي، لكن على حد علمي أنه انتُدب إلى القوى الأميركية المرابِطة في ريكيافيك، وخدمَ في الشرطة العسكرية".

لم يدعُ ماغنوس كونراد إلى الجلوس، وكانا لا يزالان يقفان وجهاً لوجه عند الباب.

"ربما تودّ أن تجلس؟"، اقترح كونراد.

"نعم، عليَّ أن أُقرّ أنني مُتعَب قليلاً بعد سباحتي"، قال الرجل وهو يجتاز الغرفة ليرتمي على أريكة. "ماذا قلتَ عن الفتاة؟ أي منزل لم ترغب أن تزوره؟".

"منزل والدَيك، في الواقع. من المرجَّح أنها تعرَّضت لتجربة سيئة عندما أوصلت شيئاً إلى هناك، ورفَضت بعد ذلك أن تقترب من المكان".

لم يبدُ أن الرجل فهِم مضمون الجملة فسأل، "ما الذي ترمي إليه؟".

"أظن أن ثورسون استنتج من ذلك بعد كل تلك السنوات أنه كان لديها سببٌ لتخاف من منزل أهلك".

"تخاف؟".

"نعم، وذلك قد يفسِّر سبب رفضها الذهاب إلى هناك".

"لكن لماذا؟ مما ستخاف هناك؟".

"كنتُ آمل أن تتمكّن من الإجابة على هذا السؤال"، قال كونراد.

"أنا؟ لا أعرف ما الذي تلمّح إليه، ولا يمكنني أن أتخيّل ما الذي سيخيفها في منزلنا".

39

قُبيل المساء في يوم اعتقاله الرسمي، أُقتيد جوناتان إلى نفس الغرفة الصغيرة التي ينتظره فيها فلوڤنت وثورسون. كان قد رفَض أن يأكل، أو أن يتصل بأحد أصدقائه أو أنسبائه، أو أن يزوِّد فلوڤنت بتفاصيلهم، وبدا أنه لا يزال يتصرَّف تحت وهم أنه سيُطلق سراحه في أي لحظة. ورغم أن جوناتان رفَض أن يوكّل محامياً، إلا أن فلوڤنت أجرى الترتيبات اللازمة مسبقاً ليلتقي بممثل قانوني في وقت لاحق من تلك الليلة. لذا بدأ فلوڤنت بمحاولة أن يهدِّئ من روع الشابّ، قبل أن يعود إلى أسلوب أكثر صرامة في الاستجواب.

"إلى أين تذهب لمراقبة الطيور؟"، سأل فلوڤنت بعدما جلسوا.

"شبه جزيرة سلتيارنرنس عادة، وهي أكثر بقعة مُجدية، أو إلى سكارفكليتور في جزيرة ڤيدي، أو خليج ناوثولسفيك".

"هل تأخذ منظارك معك دائماً؟".

"نعم".

"هل ترى أي شيء غير الطيور في تلك الرحلات؟".

"مثل ماذا؟".

"أشخاص، مثلاً؟".

"نعم، بالطبع. أحياناً".

"جنود؟".

"نعم. إنهم نشطون جداً عند الساحل".

"هل تصادف أي نساء في تلك الرحلات؟".

"لا أراقبهن عن قصد، إذا كان هذا ما تلمِّح إليه. أنا لا أتجسَّس على الناس، ولا أستخدم منظاري لهذا الغرض".

"قلتَ إنه ليست لديك أي آراء عن «الحالة»، عن مخالطة النساء الآيسلنديات للجنود – مواعدتهم، الزواج بهم، الخ. ما شعورك تجاه هذا النوع من التصرّف؟".

"ليس عندي أي شعور حقاً، ولا أفكّر بالأمر كثيراً".

"إذاً فهذا لا يُغضبك؟".

"لا، ولا علاقة لي بذلك، ولا يمكنني أن أفهم سبب طرحك هذا الموضوع. بالطبع... بالطبع أنها مسألة غريبة، وأعرف أنها لا تروق الكثير من الناس، لكنني لا أفكّر فيها أبداً، وهي لا تهمّني حقاً. لذا، ومثلما قلتُ سابقاً، لا أفهم الغاية من السؤال حقاً".

"هل التقيتَ روزاموندا في إحدى رحلات مراقبة الطيور تلك؟".

"لقد أخبَرتُك مراراً وتكراراً أنني لم ألتقِ بها أبداً".

"قبل وقت قصير على وفاتها، أخبَرت شخصاً أنه اعتُدي عليها واغتُصبَت"، قال ثورسون. "وقد أخبَرها المعتدي عليها أن تُلقي اللَوْم على شعب الهولدو. هل يمكنك أن تتخيَّل لماذا أمَرَها أن تقدِّم هكذا تفسير غريب؟".

"لا".

"لقد بذلتَ جهداً خاصاً لتدرس حكايات الأشخاص المختبئين. لماذا تفترض أن ذلك الرجل اللعين تطرّق إليهم؟".

"لا أدري أبداً. لم أعرف الفتاة، ولا أعرف عما تتكلّم".

"لم تعرفها؟".

"لا".

"هل اغتصبتها؟".

"لا. أنا... أنت..."

"هل ضغطتَ عليها لتتخلّص من طفلها؟".

بدا جوناتان عاجزاً عن الكلام.

"هل اعتديتَ عليها، ثم أمَرتَها أن تخترع روايةً عن أن الأقزام اعتدوا عليها وإلا فستندم كثيراً؟".

"لا!".

"لقد استخدمتَ نفس الطريقة منذ ثلاث سنوات مع هروند، أليس كذلك؟".

"لا".

"فرَضت نفسك عليها، ثم أخبَرتها أن تُلقي اللَوْم على شعب الهولدو".

"هذا ليس صحيحاً".

"هل يمكنك أن تُخبِرنا أين هروند؟"، سأل فلوفنت.

"أين هي؟".

"نعم".

"كيف يُفترض بي أن أعرف ذلك؟ لم ألمسها أبداً".

"هل تواصلتَ معها بعد أن أدّعت أنها تعرَّضت لاعتداء؟".

"لا. لقد أخبَرتُكما أنني بالكاد عرَفتُها، فقد صادفتُها بضع مرات فقط في محطة الوقود".

"لقد عرَفت روزاموندا من متجر الخياطة، بالطبع".

"لا".

"كنتَ تأخذ سراويلك إلى هناك لإصلاحها".

"نعم، لكنني لم أعرف أي شخص هناك. الكثير من الناس يأخذون سراويلهم لإصلاحها هناك، ولستُ الوحيد الذي يفعل ذلك".

"يمكن أن تكون قد تعرَّفتَ عليها مثلما فعلتَ مع هروند، دون أن يعرف أي شخص آخر ذلك. وقد وَثِقتَ أن الفتيات سيلتزمن الصمت".

"الفتاة الوحيدة التي تعرَّفتُ عليها هي هروند – كنا ندردش من وقت لآخر مثلما أخبَرتُكما بشكل متكرر – لكنني لم أتعرَّف على روزاموندا تلك أبداً. لماذا لا يمكنكما تصديق ذلك؟ كل هذا مجرد سوء فهم كبير، وبينما تحاولان استيعابه، سأكون ممنوناً لو سمحتما لي بالعودة إلى المنزل".

"ستشعر عائلتها براحة كبيرة إن استطعتَ أن تُخبِرنا أين تعتقد أن جثة هروند موجودة"، قال فلوفنت.

"ألم تستمعا إلى أي كلمة قلتُها؟ لم ألمسها أبداً. أبداً. اسمعا، عليَّ أن أخرج من هنا. لا أشعر أنني بخير، ولا يمكنكما إبقائي هنا. أجد هذا الأمر بأكمله مزعجاً جداً وغير مفهوم تماماً. ليس مفهوماً كيف يمكنكما أن تظنّا أنني قادر على إيذاء شخص آخر. على قتل شخصٍ. هذا... لا أفهم فحسب كيف يمكن أن تدخل هكذا فكرة رأسيكما".

"ربما يجب أن تنتظر وصول المحامي"، قال فلوفنت. "المحامي سيساعدك على

فهم ماذا سيجري بعد ذلك".

"لا أريد محامياً، بل أريد فقط أن تتوقفا عن هذا. أريد العودة إلى المنزل. هناك محاضرات تفوتني، وهذا أمر منافٍ للعقل. هذا جنون تام".

أخرجَ فلوڤنت الآن الصفحات التي عثر عليها في غرفة جوناتان، ووضعها على الطاولة أمامه، عِلماً أن ثورسون كان قد اطَّلع على محتوياتها من قبل. راح جوناتان يحدِّق بالصفحات، وبدا وجهه فارغاً فجأة.

"هل هذه لك؟"، سأل فلوڤنت.

لم يُجب جوناتان.

"هل هذا خط يدك؟".

"نعم"، قال جوناتان. "إنه خط يدي. من أين حصلتَ عليها؟".

"من غرفتك"، قال فلوڤنت. "إذاً فأنت تعرف محتوى هذه الصفحات؟".

"بالطبع أعرف"، قال جوناتان. "إنني أجمِّع مواد لأطروحتي. تقصد أنك أخذتها من غرفتي فعلاً؟".

"هذه القصة مأخوذة من السجلات القديمة للمحكمة، أليس كذلك؟"، قال فلوڤنت.

"نعم".

"بَحَثتُ عن القضية، ووجدتُ أنك نسختها حرفياً تقريباً".

"بالطبع فعلتُ ذلك، فهي مرجع لي".

"هلاّ تكرَّمتَ وأخبرتنا عن موضوع المحاكمة؟".

"يجب أن تعرف ذلك إذا كنتَ قد قرأتها"، قال جوناتان.

"إنها قضية اغتصاب"، قال فلوڤنت.

"نعم".

"تتعلق بشابة وعامل مزرعة".

"نعم".

"ظروف القضية غير عادية جداً على أقل تقدير، وذات صلة بشكل غريب بتحقيقنا الحالي".

"لا أدري".

"هل تريدني أن أُنعش لك ذاكرتك؟"، سأل فلوفنت.

"افعل ما يحلو لك، فما تفعله شأنك لوحدك. أريدكم أن تُطلقوا سراحي فأنا لم أرتكب أي خطأ. أنا بريء".

بقي فلوفنت يتأمل جوناتان للحظةٍ بصمت، ثم بدأ يلخِّص ملاحظات الطالب. يعود تاريخ قضية المحكمة إلى أوائل القرن التاسع عشر وتدور حول شابةٍ تعمل خادمةً في مزرعة في جنوب غرب آيسلندا ترعرعت مع قصص الأقزام، وحتى إنها تعلَّمت تمييز الصخور المحلية والروابي المشهورة بأنها أماكن سكنها. أُرسلت ذات يوم في مأمورية إلى مزرعة أخرى بعيدة قليلاً، وأثناء عودتها إلى المنزل في المساء، التقت عاملاً من مزرعة مجاورة بالقرب من تلة يُقال إن الأشخاص المختبئين يسكنونها. كانت تعرف العامل من قبل فقد حاوَل أن يتودّد إليها في الماضي، لذا عندما بدأ يغازلها، ويحاول مداعبتها، ويراودها عن نفسه، رفَضته بحزم، لكنه أمسكها عندما حاوَلت مواصلة طريقها بقصد أن ينال منها بالقوة، فنشأ عراك عنيف بينهما تلقَّت خلاله عدة جروح على وجهها وجسمها وتمزَّقت ملابسها قبل أن ينجح في فرض نفسه عليها في نهاية المطاف. ثم هدَّدها العامل بأنها ستندم كثيراً إذا بلَّغت عنه – قائلاً إنه يمكنه أن يقتلها بسهولة – وعندما سألته كيف ستبرِّر الحالة التي هي فيها، رفع نظره نحو التلة وقال إنه يمكنها إلقاء اللَوْم على شعب الهولدو. عادت الفتاة إلى المنزل بعد ذلك، وفعلت مثلما أخبَرها الرجل، فصدَّقها البعض ولم يصدِّقها البعض الآخر، من بينهم أمها التي حصلت منها على الحقيقة في نهاية المطاف. في النهاية، تقدَّمت الشابة بشكوى ضد العامل الذي اعترَف بجريمته، ونال العقوبة التي يستحقها.

"هل رويتُ القصة بشكل صحيح؟"، سأل فلوفنت عندما انتهى.

"هذه فقط إحدى نواحي بحثي"، قال جوناتان. "الأشكال المختلفة التي تستطيع المعتقدات الشعبية أخذها. وسجل القضية هو الذي وجَدتُه مثيراً للاهتمام كثيراً".

"إذاً لم يعطك أي أفكار؟".

"يا للهول، لا. لا أفهم... لا أعرف ماذا يُفترَض بي أن أقول. هذا سخيف".

"إذاً لم تطلب من هروند أن تُلقي اللَوْم على شعب الهولدو على غرار المعتدي

في القضية التاريخية؟".

"لا"، قال جوناتان. "لم أفعل شيئاً من هذا القبيل".

"ولم تكرِّر الأمر بأكمله مع روزاموندا؟".

"لا، هذا محض هُراء".

"هل تُخبرني أن الفكرة لم تأتِ من هذه القضية؟"، سأل فلوفنت وهو يلوِّح الصفحات في وجهه.

"لا أعرف عما تتكلّم"، قال جوناتان. "إنك تُربِكني. أريد العودة إلى المنزل فحسب".

"هذا بالضبط نفس نوع الحادث الذي نحقِّق فيه"، قال فلوفنت، "ونجد قصةً عنه فيه غرفتك. صُدفة؟ هل هذا ما تدّعيه؟".

"لا أعرف ما الذي أدّعيه"، قال جوناتان. "لا أعرف ماذا يجري، ولا شيء مما تقوله يبدو منطقياً".

"نودّ أن نتحدّث مع والدَيك"، قال ثورسون. "لما لا تُخبِرنا كيف نتواصل معهما؟".

"لأن لا علاقة لهما بكل هذا".

"لا شكّ أنهما يتساءلان عن أحوالك، وربما هما قلقان بشأنك من قبل. هل تراسلهما بشكل دوري؟".

"لا. أنا... لا أريد أن يعرف أي شخص أنني في السجن".

"وماذا بشأن إخوتك وأخواتك؟ هل أنت على تواصل معهم؟".

"ليس لديَّ أي إخوة أو أخوات".

"إذاً، هل أنت إبنهما الوحيد؟".

"إبنهما الوحيد، نعم"، قال جوناتان مبتسماً ابتسامةً ساخرةً. "هلاّ أطلقتما سراحي؟ هلاّ توقفتما عن توجيه هذه الاتهامات المجنونة؟".

"لما لا تُخبِرنا قليلاً عن نفسك؟"، قال ثورسون. "ساعدنا أن نفهمك بشكل أفضل لكي يمكننا الانتهاء من كل هذا سريعاً".

"ماذا يمكنني أن أقول؟ أنتما تحوِّلان كل شيء ضدي. كل شيء. إذا أخذتُ سراويلي لإصلاحها فإن ذلك يجعلني مجرماً خطيراً وأُسجَن. ماذا يُفترَض بي أن

أُخبركما؟ أنتما تحرّفان كل شيء أقوله".

"حسناً"، قال فلوفنت بلطف. "مثلما تشاء. سنتعقّب والدَيك وندردش معهما سواء أعجبك ذلك أم لا – وقبل أن ينتهي المساء، إذا حالفنا الحظ. كنتُ آمل أن تتمكن من مساعدتنا في تسريع الأمور، لكن مثلما تشاء".

نهض فلوفنت ونادى حارس السجن الذي أتى وأعاد جوناتان إلى زنزانته في نهاية الرواق، ثم سمِعا الباب الثقيل يُغلَق لحظة خروجهما إلى سكولافوردستيغور، فوَقَفا تحت الفانوس الزجاجي الذي يُضيء مدخل السجن يناقشان خطوتهما التالية، وقد بدأت طبقة رقيقة من الثلج تستقرّ على الشوارع والمنازل وتجعل أحجار الأرصفة زلقة تحت الأقدام.

"سنجد صعوبة كبيرة في جعله يعترف"، علّق ثورسون.

"ربما لأنه يعرف أنه في مأزق"، قال فلوفنت وهو يراقب ثلاث سيارات جِيب للجيش تمرّ أمامهما.

لقد لاحَظ تجمُّع السُفن عند مدخل الميناء، والنشاط المتزايد بين القوى المسلّحة، وكل ذلك جزء من التعزيزات للغزو الذي طال انتظاره. إذا نجح الحلفاء في الحصول على موطئ قدم في القارة، واستمر الانسحاب الألماني على الجبهة الشرقية، فلا يمكن أن تكون نهاية القتال بعيدة جداً، وقد تنتهي الحرب في غضون سنة تقريباً، وسيكون قد حلّ أخيراً اليوم الذي ينتظره فلوفنت: هذا لن يخفّف المعاناة المروِّعة في أوروبا والعالم فحسب، بل ستكون هناك فرصة أن يعود المجتمع الآيسلندي إلى حالته المألوفة ما قبل الحرب، لكن هذا تفكيرٌ بالتمني، وكلما طالت الحرب، كلما أصبح مُقتنِعاً أكثر أن لا شيء سيعود إلى سابق عهده أبداً.

بدا أن ثورسون يقرأ أفكار فلوفنت وهو يراقب سيارات الجِيب تختفي عن الأنظار.

"لقد بدأت تحركات الجنود"، قال.

"بداية النهاية؟".

"آمل ذلك".

"هل سترحل؟".

"نعم".

"هل تعرف متى؟".
"في غضون يومين. لقد تلقَّيتُ أوامري هذا الصباح".
"هل ستشارك في القتال؟".
"أتوقع ذلك".
"ليست فكرة لطيفة جداً".
"لا، ليست لطيفة".
"سيُبدي الألمان مقاوَمةً شرسةً".
"نعم، لكنهم لا يعرفون المكان الذي سنحطّ فيه. لا أحد يعرفه. لذا فإننا..."
"سيكون عنصر المفاجأة لصالحكم".
"هذا هو المقصود".
"هل لديك أي خطط لما ستفعله بعد الحرب؟".
"لا".
"أظن أن التحدّث عن ذلك يبدو كأنك تتحدّى القضاء والقدر؟".
هزَّ ثورسون كتفيه بلا مبالاة واضحة.
"هذا مفهوم"، قال فلوقنت. "أتخيَّل أن... الأمر سيكون صعباً".
"إنهم يتوقعون تكبُّد خسائر كبيرة في الأرواح في الأيام القليلة الأولى، بالحد الأدنى... بينما ننشئ رأس جسرٍ".
"هل هناك أي وسيلة يمكنك أن تتجنَّب بها الذهاب؟".
"أتجنَّبه؟"، قال ثورسون وهو يرفع نظره إلى ضباب نُدَف الثلج الصغيرة جداً. "لقد طلبتُ أن أُرسَل إلى هناك".

سمِعا باب السجن يُفتح خلفهما.

"آه، توقعتُ أنكما لا تزالان هنا"، قال الحارس الذي رافَق جوناتان إلى زنزانته. "يريد أن يتكلّم معكما. هل أُعيده إلى غرفة المقابلات؟".

تبادَل فلوڤنت وثورسون النظرات.

"ماذا يريد؟"، سأل فلوڤنت.

"لا أدري"، قال الحارس. "لديه شيء يريد أن يقوله لكما، وسألني إن رحلتما".

"حسناً، اذهب وأحضره إذاً"، قال فلوڤنت.

انتظَرا في غرفة المقابلات دون أن يجلسا أو يخلعا معطفيهما، وسرعان ما أُحضِر جوناتان، وجلس إلى الطاولة.

"لا يمكنني التأقلم مع فكرة أنني مسجون"، بدأ يقول بصوتٍ متوتّرٍ، وشَعَرا بيأسه المتزايد، وراح ينظر بتوسّل من أحدهما إلى الآخر.

"أخشى أنه لا يمكننا فعل الكثير بشأن ذلك"، قال فلوڤنت. "يمكنك أن تكلِّم موقَّر السجن – أتوقع أنهم عرضوا عليك ذلك من قبل".

"ليس لديَّ شيء أقوله لموقَّر السجن. أنتما المسؤولان، وأنتما مَن يقرِّر مصيري".

"لم تكن متعاوناً معنا كثيراً"، أشار فلوڤنت.

"ماذا عليَّ أن أفعل عندما لا تصدِّقان أي كلمة أقولها؟".

"هل هكذا جرت الأمور؟"، سأل فلوڤنت.

"أنا.."، ثم سكتَ جوناتان.

"لماذا طلبتَ رؤيتنا؟"، سأل ثورسون.

لم يُجبه الطالب.

"سنتابع حديثنا غداً يا جوناتان"، قال فلوڤنت. "ليس لدينا الوقت لهذا الآن".

فتَح الباب ونادى الحارس.

"لا تذهبا!"، صاح جوناتان.

لم يُجيباه، بل أمسكه الحارس بذراعه، ورفعه عن الكرسي، وأخرجه إلى الرواق نحو الزنازين مرة أخرى. جلجَلت مفاتيحه بينما فتَح باب الزنزانة، لكن عندما حاوَل إدخال جوناتان، رفَض السجين.

"لا يمكنني تمضية ليلة أخرى هنا"، همَس بصوتٍ خافتٍ بالكاد مسموع.

"ماذا قلتَ؟".

"سأُريهما"، همَس جوناتان.

تردَّد الحارس. "ماذا قلتَ؟ لم أسمعك".

"سآخذهما إلى هناك".

استدار الحارس ونادى فلوفنت وثورسون اللذين كانا يجتازان الباب في نهاية الرواق، فتوقفا عندما رأياه يلوِّح لهما.

"ماذا الآن؟"، صاح ثورسون.

"لديه شيء يُخبركما إياه"، صاح الحارس بدوره.

أخذ جوناتان نَفَساً عميقاً. "سأريكما أين التقيتُها في... في حي الظلال".

"ماذا قلتَ؟"، سأل فلوفنت وهو يعود أدراجه وثورسون خلفه.

"سأريكما المكان"، قال جوناتان بصوتٍ عالٍ أكثر.

"في حي الظلال؟"، قال فلوفنت. "هل التقيتَ روزاموندا هناك؟".

أومأ جوناتان برأسه. "سأريكما المكان".

"الآن؟"، قال ثورسون.

"نعم، الآن. سآخذكما إلى هناك وأريكما أين التقينا".

"حسناً"، قال فلوفنت. "إذا كانت هذه مشيئتك، يمكننا الذهاب الآن. هل هذا يعني أنك مستعد لتُخبرنا ما الذي حصل؟".

"سأذهب معكما إلى حي الظلال أولاً، ثم أخبركما، لكنني سأحتاج إلى سترتي فالجو بارد في الخارج، أليس كذلك؟".

"ما الذي جَعَلك تغيِّر رأيك؟"، سأل ثورسون.

"هل تريدانني أن أفعل هذا أم لا؟"، ردّ جوناتان بغضب، ودون أن يكون

هناك أي أثر للتردّد الآن.

"طبعاً نريد"، قال فلوفنت.

"يمكنكما أن تسألاني كل الأسئلة التي تريدانها بعد ذلك".

"حسناً. هل ستعترف بقتلك روزاموندا؟".

"هل تريدانني أن آخذكما إلى هناك أم لا؟"، سأل جوناتان وهو ينظر إلى فلوفنت بسخط.

"أحضِر له معطفه"، قال فلوفنت للحارس. "سننتظر هنا".

أسرعَ الحارس في الرواق وباب الزنزانة لا يزال مفتوحاً على مصراعيه، ونظر جوناتان إلى الداخل وهو يرتجف.

"لا يمكنني تحمُّل أن أُسجن في الداخل"، همَس بصوتٍ بالكاد مسموع.

بقوا يقفون في صمتٍ بانتظار عودة الحارس ومعه السترة. شَعَر فلوفنت بالشفقة على الشابّ، وتساءل إن كان عليه أن يضع له الأصفاد، لكنها في السيارة، لذا قرّر أنه يمكنه تأجيل ذلك إلى أن يركبوا السيارة، فهو لا يتوقّع أي متاعب من جوناتان بما أنه بدا الآن مستعداً للتعاون معهما، وكان فلوفنت متحمّساً ليلاقيه في منتصف الطريق. إذا أراد جوناتان أخذهما إلى مسرح الجريمة في هذا الوقت المتأخر كطريقة منه ليؤجّل توقيت سجنه المحتوم مرة أخرى، فهذا شأنه. لقد بدا أن مزاجه تحسَّن وقرّر أن يتعاون معهما، وهذا هو المهم.

بعدما عاد الحارس أخيراً ومعه معطف جوناتان، خرجا والسجين يسير بينهما، وثورسون يُمسك ذراعه، وتوجّهوا نحو السيارة المركونة على بُعد بضعة أمتار فقط من السجن. فتَح ثورسون الباب الخلفي لجوناتان وكان على وشك أن يُدخله إلى السيارة عندما حرَّر الشابّ نفسه بلمح البرق، وبدأ يركض.

"تباً!"، صاح ثورسون وهو يهمّ بالركض خلفه. وفلوفنت الذي كان يهمّ بالجلوس خلف المِقوَد، قفز من السيارة خلفهما.

فرّ جوناتان منعطفاً عند ناصية السجن، وركض بمحاذاة الجدار نزولاً عبر ڤيغاموتستيغور نحو لوغافيغور، وثورسون يركض بتثاقل خلفه ببضعة أمتار، وفلوفنت خلفهما من بعيد حيث إن حذاءه يُبطئه. الشوارع في حالة لا يُؤمَن لها، وشَعَر أنه في خطر جدّي بالسقوط على وجهه لأن نعله ينزلق. اقترب ثورسون من

جوناتان بينما هرول الطالب بسرعة نزولاً عبر الشارع الجانبي الضيق، ودون أن ينظر حوله، انطلق نحو لوغافيغور حيث كان هناك جِيب للجيش يجتاز الشارع بسرعة خطيرة جداً، فصدمه بشكل مباشر.

شاهد ثورسون جسد جوناتان يطير في الهواء ثم يحطّ بقوة على غطاء محرّك الجِيب، ثم يرتدّ عنه، ويقع برأسه أولاً على أحجار الرصيف الجليدية. فَقَد السائق سيطرته على المركبة، وانحَرف نحو الرصيف واصطدم بجدارٍ متجاوزاً عابر سبيل نجح بتفاديه بشقّ الأنفس. قُذفَ الجنديان الجالسان داخل الجِيب نحو الزجاج الأمامي الذي تحطَّم جارحاً لهما وجهيهما، ثم خرج أحدهما من الحُطام مترنِّحاً، وانهار في الشارع، بينما راح الجندي الآخر العالق في الداخل يصرخ من الألم المبرح، فقد انكسرت أضلاعه عندما ارتطم بالمِقوَد، وانقسمت ساقه إلى قسمين، ونتأت العظمة عبر قماش سرواله.

هَرَع ثورسون إلى جوناتان وجثَم بجانبه، ووَجَد أن الدم ينزف بغزارة من رأسه وقد شكّل حوضاً كبيراً تحته، وعيناه تحدِّقان في السماء بشكلٍ خالٍ من أي تعبير، وشَعَر ثورسون أنه مات بلا شكّ لحظة ارتطامه بالأرض.

ركَع فلوفنت بجانبهما، والثلج لا يزال يتساقط بشكل خفيف، واستقرّت نُدَفٌ صغيرةٌ جداً على عينَي جوناتان، وذابت عليهما كأنها دموعٌ.

قاد كونراد سيارته عائداً إلى ريكيافيك وهو مستغرق في التفكير وقد أشرف الليل على الحلول لكنه بالكاد لاحَظ ذلك. حتى هَبَّات الرياح العنيفة التي جعلت السيارة تنحرف في البقعة السوداء السيئة السمعة عند سفح جبل هفنرفيال فشلت في إيقاظه من شرود ذهنه، كما لم يُدرِك أيضاً أن كاميرا السرعة صوَّرته في منطقة ميلاسڤايت، فباله مشغولٌ كلياً من زيارته ماغنوس في بورغارنس حيث ناقَشا مقتل روزاموندا بشكل مضنٍ، لكن ماغنوس إما لم يعرف شيئاً عنه أو يدَّعي ذلك.

"حقيقة أن الفتاة رفضت توصيل بضاعة إلى منزلنا لا يُثبت أي شيء"، جادَل ماغنوس. "لا يُثبت أي شيء على الإطلاق".

"ربما لا يُثبت أي شيء"، أقرّ كونراد، "ومع ذلك، فقد يكون على صلة بالصورة الأكبر".

"الصورة الأكبر"، ردَّد ماغنوس. "تتكلَّم مثل السياسيين". قال ذلك كما لو أنه لا يحبّذ ذلك الصنف من الناس.

"هل أنا على حق في اعتقاد أن أباك كان عضواً في البرلمان؟".

"نعم، كان يعمل في السياسة".

"وكنتَ أحد أولاده الخمسة، حيث أنجب والداك أربعة أبناء وإبنة واحدة؟".

"لستُ متأكداً أن كل هذه الأسئلة عن عائلتي تعجبني"، قال ماغنوس. "إلى ماذا تلمِّح بالتحديد؟".

"هل كان لديكم أي موظفين منزليين؟ هل عاش أي شخص آخر في المنزل؟".

"ما الذي ترمي إليه؟"، سأل ماغنوس.

"إنني أتساءل مَن كانت تلك الفتاة تحاول أن تتجنَّب. أظن أنه كان يمكن أن يكون أمك أو أختك. هل تعتقد أن هذا صحيح؟".

نظَرَ ماغنوس إلى كونراد للحظةٍ ورَدَّ أخيراً، "كانت أمي سريعة الغضب، لكن أختي إنسانة عذبة. هل هذا ما أردتَ سماعه؟".

"وماذا عنك وعن إخوتك؟".

"ماذا بشأننا؟".

"هل كان أحدكم يعرف روزاموندا؟".

"لا"، قال ماغنوس. "لا أتذكّر أن أحداً منا خالط خيّاطةً".

"لكنك تتذكّر مقتل روزاموندا؟"، أصرَّ كونراد متجاهلاً الازدراء الضمني في ردّ ماغنوس.

"بالكاد، مثلما قلتُ لك من قبل".

"هل تتذكّر التكلّم عن ذلك في المنزل؟ وإذا كان الأمر كذلك، ما كانت ردّة فعل عائلتك تجاه الخبر؟".

"لا، لكن لا شكّ أننا اعتبرناها جريمةً مروِّعةً، تماماً مثلما ستفعل أي عائلة أخرى، فنحن لسنا مختلفين عن بقية الناس. هل تحاول توريطنا بطريقة ما بوفاة الفتاة؟ أليس هذا بعيد الاحتمال بشكل سخيف، بعد أكثر من نصف قرن؟".

"إنني لا أحاول توريط أي شخص بوفاتها، بل أحاول فقط اكتشاف سبب رفضها أن تطأ قدماها منزلكم قبل وقت قصير من العثور عليها مقتولةً. آمل أنك لا تجد هذا الأمر غير معقول؟".

لم يردّ ماغنوس على هذا.

"هل من الممكن أن يكون أبوك قد مارس ضغطاً سياسياً لكي يضمن عدم ذهاب التحقيق إلى أكثر مما ذهب إليه؟".

"ضغط سياسي؟".

"لا أعرف أي طريقة أخرى للتعبير عن ذلك"، قال كونراد. "يمكنني أن أتفهَّم أن هذا قد يشكِّل صدمةً لك، لكنني لم أستطع إيجاد أي سجل للقضية. صحيح أن تلك الأوقات كانت مضطربة، والمستندات غير منظَّمة أو غير مكتملة أبداً، لكن الحقيقة تبقى أنني بالكاد أستطيع العثور على ورقة واحدة لها علاقة بالتحقيق بوفاة روزاموندا. لا تقارير للشرطة، وبالكاد أي شيء في الصحف يتخطى خبر العثور على جثتها، ولا شيء في سجلات المحكمة. يبدو كما لو أن القضية بأكملها أُخفيَت، وهذا أمر غير طبيعي أبداً، لذا خطَر ببالي أن أباك ربما استغلّ نفوذه في ذلك الوقت وضغطَ لإخفاء القضية.

بقي ماغنوس يستمع إليه، ووجهه لا يُبدي أي ردّة فعل أبداً. "لا أفهم إلى ماذا تلمِّح"، قال عندما أنهى كونراد كلامه. "على حد علمي أن أبي لم يستغل منصبه أبداً بهذه الطريقة. بالطبع، حارَب لمصلحة دائرته الانتخابية وقدَّم خدمات لمنتخبيه هنا وهناك، لكن هذا النوع من السلوك كان شائعاً جداً في تلك الأيام. وربما لم يعرف حتى عن القضية".

"لا يزال أحد إخوتك حيّاً"، قال كونراد.

أومأ ماغنوس برأسه.

"هل تعرف إن زاره ثورسون؟ الرجل الذي سألتُك عنه؟".

"لم أتكلَّم مع أخي أو عائلته منذ عدة سنوات".

"حقاً؟".

"نعم، وليست لديَّ نيّة مناقشة هذه المسألة مع غريبٍ. اسمع، لقد اكتفيتُ من هذا، وحان الوقت لكي ترحل".

"حسناً"، قال كونراد. "شكراً مرة أخرى على قبولك الدردشة معي. سؤال أخير فقط: هل تعرف، أو بالأحرى هل كنتَ تعرف، فتاةً أو شابةً خلال الحرب تدعى هروند؟".

هزَّ ماغنوس رأسه.

"من الممكن أنها مرَّت بنفس تجربة روزاموندا، لكن الحقائق ضبابية قليلاً".

"خلال الحرب؟".

"نعم".

"لا. إلا إذا..."

"ماذا؟".

"سمِعتُ مرةً عن فتاة من منطقة أوكسافيوردور يُقال إنها رمت نفسها في شلال ديتيفوس. الآن وقد ذكرتَ ذلك، أنا متأكد تماماً أنها كانت تدعى هروند".

"أين سمِعتَ عنها؟".

"أظن من أبي في البدء، فقد كان متواجداً هناك عندما حصَل الأمر".

"كان أبوك في المنطقة؟".

"نعم، وقد علِق إسمها في ذاكرتي، وأتذكَّر نهايتها الحزينة كلما زرتُ الشلال.

لدينا أنسباء هناك، وكان أبي معتاداً أن يزورهم، خاصة في فصل الصيف".

"هل تعرف ما الذي حصل؟".

"حصل ذلك منذ وقت طويل لدرجة أنني نسيتُ التفاصيل"، قال ماغنوس. "لكن البعض قالوا إنها لم تكن سليمة ذهنياً، أو ربما فعلت ذلك بسبب قلبها المجروح. يبدو أنها كانت ترى بعض الأشياء، فهي صدَّقت الظواهر الخارقة، ويظن البعض أنها اختبرت لقاءً ما مع أحد أفراد شعب الهولدو قبل وفاتها".

"ألا يمكنك الاستفاضة قليلاً؟".

"لا، آسف فالقصة مشوَّشة جداً، لكن الأوهام المماثلة غالباً ما تكون هكذا".

"ولم يُعثر عليها أبداً؟".

"ليس على حد علمي. لم تظهر جثتها أبداً".

نهض ماغنوس متلهّفاً ليُنهي الزيارة. "أحتاج أن آخذ قسطي من الراحة الآن"، قال. "هل تسمح لي؟".

"نعم، بالطبع. لم أقصد أن أُتعبك". نهض كونراد أيضاً.

"اختلفنا على الوصية"، قال ماغنوس فجأة وهما يسيران نحو الباب الأمامي. "أنا وأخي. شَعَرتُ أن هولمبرت انتزع أكثر من حصته بأسلوبه المستبِد النموذجي. لم يحصل جفاء بيننا حقاً – لم أقاضه في المحكمة – لكن الخلاصة هي أننا لم نكلِّم بعضنا منذ سنوات، لذا من الممكن تماماً أن ذاك المدعو ثورسون زاره، لكن إذا كان الأمر كذلك، فأنا لم أعرف به".

"صحيح، فهمتُ"، قال كونراد.

"عِلماً أنه لا جدوى كبيرة من الزيارة".

"لثورسون؟ لما لا؟".

"ستكون مضيعة للوقت أن تسأل أخي إن تلقى زيارةً".

"ما الذي يجعلك تقول ذلك؟".

"وقد فات الأوان لكي أحاول تسوية الخلاف بيننا". صمَت ماغنوس، ثم أضاف: "أظن أن مرضه وصل إلى مراحله الأخيرة".

"هل هو مريض؟".

"لديه ألزهايمر، وقد سمِعتُ أن حاله تسوء بسرعة كبيرة"، قال ماغنوس. "على

ما يبدو أنه في عالم خاص به هذه الأيام".

"يوسفني سماع هذا".

"نعم، إنه مصير سيئ"، قال ماغنوس وهو يفتح الباب الأمامي. "بصرف النظر عن ذلك، أظن أنه لطالما تمتّع بصحة جيدة، ولم يعرف المرض أبداً في حياته، لكن هذا غير مهم عندما تتعامل مع مرض تنكّسي مثل ألزهايمر".

"أنت محقّ"، قال كونراد. "إذاً لا جدوى من تكلّمي معه؟".

"لا، يمكنك أن تنسى ذلك"، قال ماغنوس وهو يصافحه مصافحةً قويةً.

اضطر كونراد أن يُبطئ سيره عندما واجه ازدحاماً قرب ضاحية غرافرڤوغور، وبقي ذهنه يتصارع طوال الطريق مع مضامين ما علِمه من ماغنوس عن هروند والشلال، وعن روزاموندا والمسرح، وقد أرهَق دماغه في محاولة التفكير بأي شيء يمكن أن يربط الفتاتين ببعضهما. لقد ذهَب ثورسون لزيارة ڤيغا خلال بحثه عن أجوبة عن روزاموندا. هل أخبرته عن الفتاة الأخرى التي تدعى هروند؟ أم كان يعلم قصة هروند مسبقاً من خلال عمله في الشرطة؟ راح كونراد يفكّر بأحدث قطعة من الأحجية: أن النائب في البرلمان، والد ماغنوس، تواجدَ في منطقة أوكسافيوردور في الفترة التي شاع فيها خبر اختفاء هروند على جميع الألسن. ثم رفَضت روزاموندا دخول منزله لاحقاً. هل هذا هو الرابط؟ هل يعرف ماغنوس أكثر مما يريد أن يكشفه؟

جلَس كونراد في زحمة السير يفكّر بالنائب السابق وعلاقته بالقضيتين، مهما تكن ضعيفة، وراح يتأمل حقيقة أن الفتاتين ذكرتا شعب الهولدو، وتذكّر ما تعلّمه عن الصُدَف في بداية عمله كمحقق.

إياك، في أي ظرف من الظروف، أن تصدّق وجودها.

أصبح الوقت متأخراً جداً عندما تمكّن فلوڤنت وثورسون من العودة إلى مكاتب فريكركيوفيغور، وكانت جثة جوناتان قد نُقلت وقتها إلى المَشرَحة، ونُقل الجنديان اللذان جُرحا في الحادث إلى المستشفى، وقُطِر جِيبهما إلى القاعدة في سكريافيوردور. وقد أدلى فلوڤنت وثورسون بإفادة أولية لشرطة ريكيافيك، فعلى التقرير المفصَّل أن ينتظر أكثر حتى الصباح التالي.

لم يعرفا مَن عليهما إبلاغه بوفاة جوناتان، فتحقيقهما في خلفيته لا يزال في بداياته، ولم يتعرَّفا بعد على أقرب أقربائه، وجوناتان نفسه رفض بعناد أن يكشف أي معلومات عن حياته الشخصية.

جلَسا بصمت، والإنارة الوحيدة صادرة من مصباح مكتب فلوڤنت، والثلج يتكاثف في الخارج بعد أن بدأ يتساقط بغزارة فوق البلدة. شَعَرا أن ذنبهما ثقيلٌ ومرهقٌ مثل الظلمة الدامسة، وكلاهما متكدّران من نفس الفكرة: لقد فَقَد شابٌّ في عهدتهما حياته. كان من مسؤوليتهما طالما أنه تحت وصايتهما، وقد خذلاه، لذا فإن موته ذنبهما، رغم أنهما حاولا أن يعاملاه بلطف، وفقدانهما التركيز ولو لبرهة وجيزة جداً كلّفه حياته.

"هل تعتقد أنه كان سيأخذنا إلى هناك حقاً؟"، سأل ثورسون كاسراً الصمت أخيراً. "أم كانت مجرد حيلة؟".

لم يبدُ أن فلوڤنت سمِعه، بل كان يتذكَّر حزن جوناتان الشديد من سَجنه، وتساءل إن كان عليهما أن يتوقعا ما حصل، إن تجاهَلا علامات الخطر. كان يجب تكبيل يده بيد أحدهما عند خروجهم من السجن، وكان عليهما أن يقرأا الحالة بشكل أفضل، وأن يحرساه عن كثب أكثر.

"فلوڤنت؟".

"ماذا قلتَ؟".

"هل استخدم حي الظلال كحيلةٍ؟ هل نَوَى حقاً أن يأخذنا إلى هناك؟".

"تقصد لكي يهرب؟".

"نعم".

"لستُ متأكداً"، قال فلوفنت. "من المستحيل الجزم، ولا أظن أننا سنعرف الجواب أبداً. بالله عليك، لماذا لم نضع له الأصفاد؟ لقد كنا مُهمِلين جداً".

"لم أتوقع حصول ما حصل"، قال ثورسون. "وأنت أيضاً. لم ننسَ، بل فعلنا ذلك كبادرة حسن نيّة في محاولة لإضفاء جو من الثقة. هذا ما اعتبرناه مهماً، ثم صدمته تلك السيارة. كنا سنتمكن من اللحاق به والقبض عليه قبل وقوع الحادث، فقد كنتُ خلفه ببضعة أمتار فقط عندما ركَض أمام ذلك الجِيب. كانت محاولة مجنونة منه، وانظر إلى نتيجتها".

أومأ فلوفنت برأسه بذهن مشتت.

"من المحال أننا كنا قادرَين على توقّع أنه سيحاول الهرب"، تابَع ثورسون. "فقد كان متعاوناً... حسناً، عرَفنا أنه منزعج من وجوده في السجن، لكن ألم يكن سبب ذلك هو القبض عليه؟ لأنه لم يرغب أن يعترف بذنبه؟".

"ربما"، قال فلوفنت. "لكن من الممكن أيضاً أن نكون قد قبضنا على الرجل الخطأ. هل قال لك أي شيء؟".

"لا. أظن أنه مات فوراً، ولا أعتقد أنه عرَف حتى ماذا جرى له".

حسبما يتذكَّر ثورسون فقد كان الجنديان يقودان فوق حدود السرعة المسموحة بمقدار كبير، وافترَض أنه ستكون هناك عواقب لذلك. لقد تكلَّم مع الجندي الجالس على الرصيف والمُغطى بالدم بجانب المركبة المحطَّمة، وقال له ذلك الأخير مذهولاً وقد علِم أن جوناتان مات، "لم يكن بإمكاننا أن نفعل أي شيء، ونحن لم نره حتى إلى أن حطَّ على غطاء المحرِّك".

وجَد فلوفنت صعوبة في لجم يأسه، وهمَس بصوتٍ حزينٍ، "الفتى المسكين".

"كان ذلك قراره"، قال ثورسون. "ولم يكن مضطراً أن يفعل ذلك".

لم يقل فلوفنت شيئاً، فقد عرَف أن ثورسون يحاول أن يواسيه، وربما يستطيع المرء أن يقول إن الطالب يتحمَّل مسؤولية ما حصل له، لكن فلوفنت يُدرك بشكل مؤلم أنهما أخطأا كثيراً في تقدير الحالة.

"لم نتعامل مع الوضع بشكل صحيح"، قال. "لم نتعامل مع الوضع بشكل

صحيح. كان علينا أن نتعقّب عائلته، وأن نُحضر له محامياً فوراً..."

"كنا سنفعل كل ذلك"، ذكّره ثورسون. "لقد أخبَرته أننا سنفعل ذلك هذا المساء، وربما هذا ما أزعجه. ربما لهذا السبب كان مستعداً أن يجرِّب شيئاً يائساً إلى هذا الحد. ربما أراد أن يتكلّم مع عائلته قبلنا. مَن يعرف ماذا كان يدور في ذهنه؟ لم يكن صريحاً معنا".

"كان متعنِّتاً"، أقرَّ فلوڤنت، ثم كشَّر وهو يضع يده على بطنه. "متعنِّتاً جداً".

"هل أنت بخير؟"، سأل ثورسون.

"نعم، هذا لا شيء. أُصاب بوخزاتٍ دائماً، وأظن أن هذه القضية... تسبِّب لي توتراً كبيراً".

في وقت مُبكر من صباح اليوم التالي، ذهَب فلوڤنت ليتكلّم مع مدرِّس جوناتان في الجامعة على أمل أن يكون قادراً على تزويده ببعض المعلومات عن الطالب. لم يرافقه ثورسون، فقد اتفقا على أنه لا داعي لأن تتدخّل الشرطة العسكرية في القضية أكثر من ذلك، عِلماً أن ذلك أصبح واضحاً منذ بعض الوقت في الواقع، لكن ثورسون أراد المساعدة، أما الآن وقد تلقّى أوامره بالالتحاق بسفينته، فلديه ثمانٍ وأربعون ساعة فقط ليستعدّ للرحيل.

وقع خبر وفاة جوناتان كالصاعقة على مدرِّسه، وأخبَر فلوڤنت أنه طالبٌ متحفّظ لكن مجتهدٌ، وقد دعاه المدرِّس مرتين لمناقشة دراساته، واكتشف أن لديهما شغفٌ مشتركٌ بمراقبة الطيور، وهكذا نشأت صداقة بينهما عِلم خلالها المدرِّس أن جوناتان طفل بالتبنّي وأنه لم يعرف والديه الحقيقيين أبداً، وقد ترعرع ضمن عائلةٍ لطيفةٍ في مزرعةٍ على الساحل الشمالي غير بعيدة عن هوساڤيك، وقد بشَّر بالخير في المدرسة، فأُرسلَ إلى الكلّية في أكوريري أولاً، ثم جنوباً إلى ريكيافيك ليدرس في الجامعة تحت رعاية بعض أنسباء أمه بالتبنّي: أختها سيغفريدور وزوجها، الذي كان عضواً في البرلمان.

"هل كان لديه حسب عِلمك أي اتصال بالجنس الآخر؟"، سأل فلوڤنت.

"لا"، قال المدرِّس. "ليس حسب ما ذكرَه، على الأقل ليس بالنسبة لي. ولا أعتقد بصراحة أنه كان لديه الكثير من الأصدقاء، فقد كان منعزلاً قليلاً".

بعد ذلك زار فلوفنت أنسباء جوناتان. إنهم يعيشون في لوفاسڤيغور، على مسافة غير بعيدة من مكاتب فلوفنت، في منزل كبير منفصل محاط بحديقة كبيرة تحتوي على بركة صغيرة لاحَظ فلوفنت أثناء مروره بجانبها أنها متجمِّدة تماماً. فتحت له خادمةٌ الباب، وقادته إلى الصالون، وعندما سألته عن الغاية من زيارته، قال لها إنه يفضِّل أن يشرح ذلك شخصياً، فذهَبت الفتاة لتُبلغ أصحاب البيت، وسرعان ما ظَهَرت امرأةٌ في حوالي الخمسين من عمرها عند باب الصالون، واستقبلته بشكل رسمي.

"طاب يومك. هل كنت تأمل رؤية زوجي؟".

"نعم، سيدتي، الأرجح أنه يجب أن أتكلَّم معه أيضاً. بالمناسبة، هل أنتِ سيغفريدور يا سيدتي؟".

"نعم، أنا هي"، قالت المرأة. "وأنت...؟".

"فلوفنت يا سيدتي. أنا من الشرطة، وأنا هنا بشأن طالب يدعى جوناتان".

"آه، ماذا بشأنه؟".

"يوسفني جداً أن أبلّغك أنه تُوفِّي، فقد صدمه جِيب للجيش مساء البارحة في لوغافيغور، ومات فوراً".

راحت المرأة تحدِّق به بشكلٍ خالٍ من أي تعبير. "جوناتان؟".

"نعم، للأسف يا سيدتي. كان حادثاً. لقد كان -"

"ماذا تقول؟ هل تُوفِّي؟".

دخل رجل أكبر سناً قليلاً الغرفة في تلك اللحظة، وتعرَّف عليه فلوفنت فوراً بأنه عضو البرلمان.

"هذا... الرجل أتى إلى هنا ولديه قصة منافية للعقل عن أن جوناتان تُوفِّي"، قالت المرأة وهي تستدير إلى زوجها.

"جوناتان؟"، كرَّر. "ما... كيف يُعقَل ذلك؟".

"وفقاً له فقد صدمته سيارة".

استدار الزوج إلى فلوفنت. "هل هذا صحيح؟".

"أخشى ذلك يا سيدي. أنا محقق من قسم التحقيق الجنائي. لقد صدمته سيارة في لوغافيغور مساء البارحة. وهناك مسألة أخرى..."

حصل الآن على الانتباه المُطلَق للثنائي.

"مسألة أخرى؟"، قال عضو البرلمان.

"آسف لإبلاغكما هذا لكن جوناتان كان محتجزاً لدى الشرطة وقت وقوع الحادث"، قال فلوفنت. "لم يرغب أن يعرف أي شخص، لذا رفَض إعطاءنا أسماء أي أنسباء أو أصدقاء، ورفض توكيل محامٍ. لقد تم اعتقاله على صلة بجريمة قتل فتاة تدعى روزاموندا عُثر عليها مؤخراً مخنوقة خلف المسرح الوطني. أخشى أن أقول إنه أفلت منا خارج السجن، وفرّ نزولاً إلى لوغافيغور، وركض مباشرة أمام جِيب كان ماراً من هناك".

بدا الثنائي مذهولاً من هذا، لذا أعطاهما لحظةً ليستوعبا الخبر. تبادَلا نظرة سريعة، ثم أعادا تركيز انتباههما عليه، والإنكار المُطلق بادٍ على وجهيهما.

كان فلوفنت قد استُدعي من قبل إلى اجتماعٍ مع رؤسائه، وقد زوَّدهم بالتفاصيل الدقيقة لكل ما حصل بين اكتشاف جثة روزاموندا وبين لحظة ركض جوناتان أمام الجِيب، وقد تلقّى توبيخاً صارماً لسماحه لجوناتان بالإفلات من قبضته، لكنهم أظهروا تعاطفاً كبيراً رغم ذلك، ووافَقوا على بقائه مسؤولاً عن التحقيق في الوقت الحاضر.

"لا يمكنني أن أصدِّق"، تأوهت المرأة وهي تتحسّس بحثاً عن كرسي، فسارع فلوفنت إلى مساعدتها على الجلوس.

"جريمة قتل؟"، صاح عضو البرلمان.

أومأ فلوفنت برأسه. "أخشى ذلك".

"لا شكّ أن هناك خطأً ما؟ كيف يمكن أن تتوصلوا إلى هكذا استنتاج؟".

"الدليل قاطع نوعاً ما يا سيدي"، قال فلوفنت. "وكان على وشك أن يأخذنا إلى المكان في حي الظلال حيث التقاها... أو بالأحرى، حيث اعتدى عليها. كنا في طريقنا إلى هناك عندما تملَّص منا وركَض أمام الجِيب، وعجزنا عن إيقافه. لقد حرَّر نفسه من قبضتنا وفرّ".

"ألم يكن عليكم حمايته بشكل أفضل؟"، سأل عضو البرلمان.

"نعم، بالطبع يا سيدي"، أقرَّ فلوفنت. "لكنه كان متعاوناً، لذا شعرنا برغبة قوية لنُظهر له أن لدينا بعض الثقة به، ولهذا السبب لم نستخدم الأصفاد، ولم

نتوقع أبداً أنه سيلجأ إلى هكذا تصرّف يائس. غني عن القول إنه حادث مؤسف جداً، لكنه ومع ذلك حادث".

"ماذا حصل بعدها؟ هل نُقل إلى المستشفى أو...؟".

"لا يا سيدي، فقد تُوفِّي فوراً، وجثته موجودة الآن في مَشرَحة المستشفى الوطني. يمكنكما –"

فُتح الباب في تلك اللحظة، ودخل شابّ الغرفة.

"ها أنتما هنا"، قال ثم شَعَر فوراً من التوتّر في الجو أن هناك شيئاً خطيراً. "ماذا –"

"عزيزي هولمبرت"، قالت المرأة وهي تنهض وتذهب إليه. "هذا الشرطي يقول إن جوناتان مات".

"جوناتان – مات؟"، ردَّد الشابّ.

"المسكين صدمته سيارة"، قالت المرأة. "هذا فظيع. وهناك المزيد – كان محتجزاً لدى الشرطة وقتها، وهذا الضابط يدّعي أن جوناتان قَتَل تلك الفتاة – تلك التي عُثر عليها خلف المسرح. أليس هذا جنوناً؟ أليس هذا سخيفاً تماماً؟".

"كان مشتبهاً به"، صحَّح فلوڤنت.

"جوناتان؟"، شهقَ الشابّ بارتياب.

"أليس هذا جنوناً مطلقاً؟"، قالت المرأة مرة أخرى. "لم أسمع هكذا هُراء شنيع أبداً في حياتي. أنه التقاها في حي الظلال و... وأساء معاملتها..."

نظَرَ الشابّ إلى فلوڤنت. "هل هذا صحيح؟".

أومأ فلوڤنت برأسه.

"لا... أصدِّق".

"هل كنت تعرفه جيداً يا سيدي؟"، سأل فلوڤنت.

بدا الشابّ مشتت الذهن، واضطر فلوڤنت أن يكرِّر السؤال.

"كنا... صديقين"، قال. "هل مات جوناتان حقاً؟ وتصدِّقون فعلاً أنه...؟".

"هل اعتدى على الفتاة؟ نعم، أخشى ذلك"، قال فلوڤنت. "لسوء الحظ أن الدليل قاطع. كان على وشك أخذنا إلى مسرح الجريمة عندما هَرَب وتعرَّض لذلك الحادث المأساوي".

43

وَقَفوا بصمت في الصالون بينما بدأ الخبر الذي لا يُصدَّق الذي أحضَره لهم فلوڤنت يترسَّخ في عقولهم: جوناتان، الشابّ الذي عرَفوه جيداً، لم يُتوفّ فحسب بل كان مشتبهاً به في الواقع بجريمة قتل روزاموندا، ويُزعَم أنه اعتدى عليها قبل عدة أشهر في مكان ما في حي الظلال. بدا أن الخبر أفجعَ عضو البرلمان وزوجته، بينما بدا إبنهما هولمبرت غير قادر على استيعابه. لذا وبعد إعطائهم قليلاً من الوقت ليستعيدوا رباطة جأشهم، بدأ فلوڤنت يطرح أسئلة اختبارية، وقد أجابوا عليها بسهولة، وتطوّعوا بتقديم معلومات، إلى أن أعلنت المرأة فجأة أنه لم يعد بإمكانها التحمّل، وطلبت من زوجها أن يصطحبها إلى الخارج.

"لم أر جوناتان منذ مدة لا بأس بها"، قالت. "لكنه اعتاد أن يزورنا من وقت لآخر، وهو فتى مؤدَّب، يمكنني أن أؤكِّد لك ذلك بغض النظر عن أي شيء ربما تظنّه عنه".

"تكلَّم مع هولمبرت"، قال عضو البرلمان وهو يرافق زوجته إلى خارج الغرفة. "إنه أفضل مَن عرَف جوناتان. هولمبرت، بُنيّ"، أضاف وهو ينظر إلى إبنه، "أخبِره كل شيء تعرفه في حال أمكن ذلك في مساعدة الشرطة على اكتشاف خبايا هذا الأمر المُرعِب".

أومأ هولمبرت برأسه بذهن مشتت، فقد بدا أنه لا يزال يحاول أن يستوعب الخبر. أخرجَ علبة سجائر، وأشعل واحدةً ببالٍ مشغولٍ، ثم قدَّم العلبة إلى فلوڤنت، الذي رفضها.

"أنا مذهول تماماً"، قال. "جوناتان؟ مَن يمكنه أن يصدِّق؟".

"الأمر صعب جداً عندما يتعلق بشخص اعتقَدت أنك تعرفه جيداً"، قال فلوڤنت.

نظَرَ هولمبرت إليه. "ربما من..."

"سيدي؟".

"ربما من غير الملائم أن أطرح هذا في هكذا ظروف، لكن..."

"أن تطرح ماذا يا سيدي؟".

"على الأقل، لم أرغب أن أقول أي شيء في حضرة أمي". ذهب هولمبرت إلى الباب ليتأكد أنه مُغلق. "لكنني كنتُ بصراحة على وشك الاتصال بالشرطة بشأن جوناتان".

"آه؟"، قال فلوفنت. "لماذا؟".

"سألني منذ حوالي ثلاثة أيام إن كان يمكننا الجلوس والتحدّث لأن لديه شيئاً يُشغل باله، فقد التقيتُه صُدفةً في الجامعة – إنني أدرس الحقوق هناك، لكنه اختصاص ممل في الواقع. على أي حال، بدا أن شيئاً يُرهق كاهله، لذا وافقتُ، وزرتُه في منزله تلك الليلة، وشعرتُ فوراً أنه قلِق جداً، وعندما سألتُه ما الخطب، بدأ يتكلّم عن الفتاة التي ذكرتها. روزاموندا، أليس كذلك؟ لقد قرأتُ عنها في الصحيفة، بالطبع. وجَدتُه مراوغاً بشكل غريب، كما لو أن ضميره يؤنّبه".

"ما الذي قاله بالضبط يا سيدي؟".

"ليس كثيراً. فقط أنه التقاها في حفلة للجامعة منذ بضعة أشهر، وذهبا في نزهة سيراً على الأقدام إلى سلتيارنرنس، ثم عزما أن يذهبا إلى منزلها بعد ذلك، لكنه تردَّد في الإفصاح عن المزيد. لقد تعرَّف عليها من متجر أخذ إليه بعض الملابس لإصلاحها".

"«الغرزة»؟".

"أخشى أنني لا أتذكَّر الإسم".

"ماذا حصل؟".

"حسناً، لم يكن كلامه متماسكاً جداً، لكنني فهمتُ أنه حاوَل أن... أن يستغلها. لقد بدت مستعدة في البدء، ثم... ثم توسَّلته أن يتوقف، لكنه لم يستجب لطلبها".

"وأخبَرك أن تلك الفتاة كانت روزاموندا؟".

أومأ هولمبرت برأسه. "حصل عراكٌ بينهما تركها في حالةٍ من الفوضى، لذا أخبَرها أن تقول إنها دخلت في جدال حاد مع شعب الهولدو. هذا كان ميدان جوناتان – فقد كان مهووساً بالأقزام وذلك الصنف من الأمور – وقال لها إنه

سيجعلها تندم ندماً شديداً إن لجأت إلى الشرطة".

"وقد أخبَرك كل هذا؟".

"حسناً، لقد استدرجتُه إلى البوح بذلك، فأنا لم أصدِّق أبداً أنه قادر على فعل شيء مماثل، وقد بدا مذهولاً جداً – بعد الحدث. إذا كان حقيقياً فإن سلوكه مستهجَن بالطبع".

"هل كان جوناتان يُدرك أنها حامل بولده، وأنها أجرت عملية إجهاض؟".

"أشكّ كثيراً"، قال هولمبرت. "على أي حال، لم ينطق بكلمةٍ عن ذلك".

"هل اعترف صراحةً أنه قتلها؟".

"كاد يقول ذلك بطريقة مباشرة".

"لأي سبب؟".

"أعتقد أنها هدَّدته بالتبليغ عنه. كنتُ أستعد لنقل كل ذلك إلى الشرطة، لكنني لم أستطع إجبار نفسي على فعل ذلك فوراً لأنني... عرَفتُ جوناتان جيداً. كان الأمر مؤلماً، وبالكاد يمكنني أن أصدِّق ذلك".

"هل هو من أنسباء أمك؟".

"أظن أن ذلك جزءٌ من السبب"، قال هولمبرت ببعض الخجل. "بالطبع أنني أُلقِيتُ على جوناتان أن يعترف من تلقاء نفسه لأنني بصراحة وجَدتُ الأمر بأكمله مروِّعاً جداً. ومثلما قلتُ لك فقد استطعتُ أن أشعر أنه يعاني. بالمناسبة، لم أنطق بكلمةٍ عن هذا لأي شخص آخر، حتى لعائلتي".

"ولا حتى لأبيك؟".

"لا".

"هل صدفَ وذكرَ جوناتان فتاة أخرى تدعى هروند؟".

راح هولمبرت يفكِّر، ثم هزَّ رأسه. وجهه هزيل، وشعره أشقر ومنحسِر قبل أوانه، وفمه صغير ذو شفتين نحيلتين لدرجة أنهما تشكِّلان خطاً فوق ذقنه، وأنفه ضيق ومنحوت بشكل دقيق، ومظهره الإجمالي يوحي بالحساسية.

"لقد عاشت في أوكسافيوردور"، قال فلوڤنت. "وجوناتان كان يعمل على الطرقات هناك عندما اختفت".

"لا، ذكرَ فتاة واحدة فقط".

"ما الذي برأيك جَعَله يفعل ذلك؟".

أطفأ هولمبرت سيجارته. "حسبما فهمتُ فإن مضاجعة أكثر من امرأة أثّرت عليه. إنها «الحالة». لقد بَغَضها – الطريقة التي كانت النساء والفتيات يجعلن بها أنفسهن عاهرات بمطاردتهن الجنود، والطريقة التي استغلهن بها الجنود. لقد اعتبرَ أن الأمر بأكمله مُخزٍ، وقد تفاجأتُ لأنه لطالما انتقد كم أن «الحالة» فاسقة وقذرة. لقد أثّرت عليه حقاً".

"واضطرت روزاموندا أن تدفع الثمن؟".

"حسناً، لا أدري إن كان هذا ما جرى بالضبط، لكن هذه كانت آراءه"، قال هولمبرت. "اسمع، سأكون ممنوناً لو تستطيع عدم ذكر إسمي في كل هذا، فأنا أشعر ببعض الخجل من نفسي لإخبارك كل هذا، كما لو أنني... بالطبع، كان عليَّ إبلاغكم قبل الآن، لكنني كنتُ وجوناتان صديقين عزيزين".

فُتح الباب في تلك اللحظة، وعاود عضو البرلمان الظهور، وأغلقه بعناية خلفه.

"اعذرني رجاءً"، قال لفلوڤنت. "هل استطاع هولمبرت تقديم أي مساعدة؟ الخبر الذي أحضرتَه لنا مُفجعٌ جداً، وقد أجريتُ الترتيبات للتواصل مع والدَيه. أظن أنهما يفضّلان في مثل هذه الظروف أن تبقى هذه القضية بأكملها سرية، ويجب إجراء جنازة المسكين بهدوء تام. هل هناك أي شيء يعيق ذلك؟".

"لا أظن"، قال فلوڤنت. "يمكنهما استلام جثته لدفنها متى يشاءان، رغم أن التحقيق لا يزال جارياً".

"لا يزال جارياً؟ لماذا؟".

"لأننا لا نزال بحاجة إلى استجواب والدَيه لجمع أجزاء القصة ببعضها والتحقّق من التفاصيل الغريبة هنا وهناك، وقد أفادنا إبنك كثيراً في هذا الخصوص".

"أتفهَّم أنك تؤدي عملك فحسب أيها الضابط، لكن ألا تعتقد أن والدَيه سيعانيان بما فيه الكفاية من دون استجوابكم لهما بشأن هذه القضية المشؤومة؟ مما أخبرتنا إياه، يبدو أنها قضية بيّنة لا غبار عليها. إذا أردتَ، يمكنني أن أتحدَّث مع رؤسائك بشأن خَتمها".

"مع فائق احترامي لك يا سيدي إلا أن هذا –"

"هذه المسألة تمسّ عائلتي بشكل مباشر تقريباً"، تابَع عضو البرلمان بنبرةٍ رسميةٍ. "آمل أن تتفهم وضعي، فالقضية مُحزنة ويمكنها أن تصبح مُربكة جداً إذا لم نأخذ الخطوات اللازمة للحد من أضرارها. لقد كان الفتى هنا في ريكيافيك تحت حمايتنا، بفضل كَرَم زوجتي والروابط العائلية، لكنني سأحزن إن تلطَّخت سُمعتنا بسببه لمجرد أننا قدَّمنا له يد العون. نحن طبعاً نشعر بمقدار كبير من الشفقة على الفتى المسكين وكيف ضلّ طريقه، وغني عن القول إن شعورنا مماثل تجاه الفتاة المشؤومة، لكن هذه ليست المسألة، بل المسألة هي كيفية منع انتشار الضرر أكثر مما انتشر من قبل. القضية مؤسفة بما فيه الكفاية الآن. هل تفهمني؟".

لقد استخدَم عضو البرلمان وزوجته وقتهما بشكل جيد، فكَّر فلوقنت في سرّه، وشكَّ أن هذا كان السبب الحقيقي لمغادرتهما الغرفة.

"يمكنك الاتكال عليَّ بأنني سأتصرّف بتحفّظ يا سيدي"، قال، "وعلى الرحب والسعة إن أردتَ أن تكلِّم رؤسائي. أتفهَّم أن هذه القضية ستكون محنةً لكل المتورّطين فيها، وسأتذكَّر ذلك دائماً".

"هذا كل ما أردتُ سماعه"، قال عضو البرلمان. "هذه مسألة حسّاسة جداً، ومن الأفضل إسدال ستار الصمت عليها في هذه الظروف".

جلَس كونراد في مطبخه في أوربابر يرشف شراب العنب الأحمر ويُمعن التفكير بزيارته ماغنوس في بورغارنس، واستطاع أن يشعر بهدوء كبير يغمر كل جسمه بينما راحت هيلينا أيولفسدوتير تدندِن الأغنية الناجحة القديمة "المدينة نائمة" على الستيريو. لقد أنهكته القيادة إلى هناك، وأنهكه الجهد لمحاولة فهم ما كشَفه، لكنه شَعَر بالرضى في الوقت نفسه من التقدّم الذي أحرزه، فقد شَعَر أنه على وشك أن يُحرز تقدّماً باهراً. سيزور غداً الأخ الآخر، هولبرت، في تحدٍ لتحذير ماغنوس من أن ذلك سيكون مضيعةً للوقت، فقد أصبح مقتنعاً أن ثورسون حاوَل التواصل مع هولبرت، وهو أحد آخر الأمور التي فعلها، وأراد كونراد أن يعرف إن نجَح في ذلك أم لا.

راح يراجع الأدلة التي تجمَّعت لديه حتى الآن: روزاموندا تعرّضت لاعتداءٍ، ربما في منزل عضو البرلمان، ورفضت تنفيذ أي مأموريات أخرى إلى هناك لصالح مديرتها. عضو البرلمان ذاك كان في زيارة إلى الشمال في وقت اختفاء هروند. الفتاتان في نفس العمر تقريباً، وكلاهما ألقتا، أو أُمرتا أن تلقيا، لَوْم الاعتداء على شعب الهولدو. هل من الممكن أن يكون عضو البرلمان نفسه متورّطاً؟ هل هذا هو الاستنتاج الذي توصَّل إليه ثورسون؟ إذا كان الأمر كذلك، لماذا لم تُذهله أهمية ذلك إلا مؤخراً وليس سنة 1944؟ وما الذي حثَّ تحقيقاته الحديثة بشأن القضية؟ يبدو أنه صُدم صدمةً كبيرةً عندما علِم برفض روزاموندا أن تطأ قدماها • ل عضو البرلمان، ولا شكّ أن جانباً معيّناً من التحقيق الأصلي سبَّب ردّة ا عل تلك. لا بدّ أن إلهاماً أتاه.

لم يعرف كونراد عن عضو البرلمان أكثر من تاريخ وفاته، لذا تصفَّح الانترنت مجدداً ليُنعش ذاكرته عن مسيرة الرجل، فوجد أنه تقاعد من السياسة بُعيد إعلان الجمهورية سنة 1944، واشترى شركة استيراد لا تزال تعمل حتى الآن وقد نمت لتصبح إحدى الأكبر من نوعها في آيسلندا، كما تردَّدت شائعات أنه استغَل

علاقاته السياسية على مرّ السنوات عندما كان من الصعب توفير أي تمويل مالي، وأدار عمليات الاستيراد تحت سيطرة مُحكمة. ورغم انسحابه من المشهد السياسي، إلا أنه بقي نشطاً في كواليس حزبه، وتُوفِّي في سنّ كبير في السبعينات. انتقلت الشركة إلى إبنه هولمبرت الذي يُزعَم أن عضو البرلمان فضَّله على بقية أولاده.

لقد صنعوا ثروةً واستمتعوا بجني ثمارها، فكَّر كونراد في سرّه وهو يدخل غرفة الجلوس ليضع أسطوانة أخرى لهيلينا أيولفسدوتير على القرص الدوّار. وبما أنه لا يزال مستيقظاً فقد فتَح قارورة شراب عنب ثانية، ثم جلَس مرة أخرى في بقعته الاعتيادية في المطبخ تاركاً النغمات العذبة تغمر كل أحاسيسه، ومراقباً غروب الشمس فوق المدينة، وأخذ يفكِّر بالنزاعات التي مزَّقت العائلات. المال – يا له من سبب تافه للتشاجر مع الأسرة والأقارب، وهو الذي جعل إبنَي عضو البرلمان اللذين لا يزالان حيَّين، ماغنوس وهولمبرت، لا يكلِّمان بعضهما منذ عقود. وحتى بعد أن أصبح هولمبرت مريضاً جداً، لم يستطع ماغنوس إجبار نفسه على زيارته، واختبأ خلف عذر أن الأوان فات ليفعل ذلك.

بحث كونراد عن إسم هولمبرت أيضاً، وعلِم أنه أدار الشركة ببراعة إلى جانب أبيه، فوسَّع ونوَّع أعمالها بحيث أصبحت استثماراتها تشمل الآن مسامك، وشركة طيران، وسلسلة كبيرة من متاجر بيع مواد البناء، ففي الأشهر الأخيرة للحرب، وبعد تخليه عن مواصلة دراسة الحقوق في جامعة آيسلندا، أبحَر هولمبرت إلى أميركا حيث عقد صفقات وأسَّس علاقات تجارية تبيَّن أنها لا تُقدّر بثمن للشركة. زوجته، التي لا تزال حيّة، عضوة أيضاً في مجلس الإدارة، ومشهورة بأعمالها الخيرية في المجالين الطبي والرعائي. خاضَ هولمبرت غمار السياسة مثل أبيه، وأصبح عضواً في البرلمان، ثم وزيراً في حكومتين، قبل أن يتقاعد ليكرِّس نفسه كلياً لإدارة الشركة. عُيِّن عضواً فخرياً في اتحادات تجارية متنوعة، وقلَّده الرئيس وساماً لخدماته لبلده.

تولّى إبنه إدارة الشركة في بداية الألفية، وكان هولمبرت قد أصبح وقتها كبيراً في السنّ، وبدأت أولى علامات ألزهايمر، مثلما خمَّن كونراد، تُضعف بصيرة العجوز.

عاودته الحيرة بشأن ما قاله ماغنوس عن تواجد أبيه في منطقة أوكسافيوردور في وقت انتحار هروند المزعوم، وخطر بباله فجأة سؤالٌ آخر كان عليه أن يسأله، لذا نظرَ إلى الساعة، وقال لنفسه إن الوقت ليس متأخراً على الأرجح.

بَحَث عن الرقم، وأخرجَ هاتفه الجوّال، لكنه نظرَ إلى الساعة مرة أخرى وهو ينتظر أن يرفع ماغنوس السمّاعة، وأدرك أن العجوز نائم الآن على الأرجح، لذا قرّر أن بإمكان سؤاله أن ينتظر حتى الصباح. كان على وشك أن يغلق الخط عندما ردَّ ماغنوس.

"مرحباً؟"، سمِعه يقول.

"آسف لاتصالي في هذا الوقت المتأخر يا ماغنوس. آمل أنني لم أوقظك".

"مَن معي؟".

"كونراد – لقد زرتُك سابقاً اليوم. هل كنتَ نائماً؟ يمكننا تأجيل هذا إلى الصباح".

"ما... لماذا تتصل بي؟".

"بسبب تفصيل صغير لا يزال يزعجني منذ أن تركتُك".

"ما هو؟".

"أخبَرتني أن أباك كان في زيارة إلى شمالي البلاد في فترة اختفاء الفتاة".

"نعم؟".

"هل أخبرك أنت أو أحد أفراد عائلتك أي شيء آخر عن الحادث، أي تفاصيل عرَفها محلياً عن الفتاة، مثلاً؟".

"لا... على الأرجح فقط المعلومة عن شعب الهولدو".

"هل سمِعتَ ذلك منه؟".

"نعم، أو من أخي".

"أخوك؟".

"نعم، هولمبرت".

"كيف عرَف ذلك؟".

"آه، لأنه كان يرافق أبانا إلى هناك عندما حصَل ذلك. لقد سمِعنا القصة منهما، وبالطبع سمِعتُ المزيد عنها لاحقاً عندما ذهَبتُ إلى هناك بنفسي و..."

"تقول إن هولمبرت كان هناك أيضاً وقت اختفاء الفتاة؟".

"نعم، هذا صحيح. هولمبرت هو الإبن المفضَّل لدى أبينا، لذا كان معتاداً أن يأخذه معه في رحلاته. لقد كنتَ..."

ساءت حالة الاتصال، ولم يتمكّن كونراد من سماع ما قاله ماغنوس.

"آسف، لم أسمعك جيداً. بدأت طاقة بطاريتي تنخفض. هل يمكنك – ؟".

"... وقد اتصل بي رجلٌ مؤخراً، وسألني عن الشيء نفسه بالضبط"، كان ماغنوس يقول. "عن رحلة هولمبرت وأبي إلى الشمال. لقد أخبرتني سابقاً عن رجل تعتقد أنه ربما زارني، لكنني لم أعرف عما تتكلّم. حسناً، أعتقد أنه هو بلا شك. الرجل الذي هاتَفَني. لقد نسيتُ هذا التفصيل تماماً".

"هل تقصد ثورسون؟ أي، ستيفان. هل اتصل بك هاتفياً؟".

"نعم، لا شكّ أنه كان ستيفان الذي ذكرتَه. لقد قال إنه يستذكر مع شخصٍ عن أوكسافيوردور والحوادث الغريبة غير المفسَّرة التي وقعت في المنطقة، وطُرِح موضوع الفتاة، وقد أخبَرتُه... لقد أبدى اهتماماً كبيراً بهولمبرت، ولم أستطع أن أفهم السبب".

"ماذا أخبرتَه؟".

"ما أخبَرتُك إياه، بأن هولمبرت زار المنطقة مع أبينا. اسمع، لم أكن صريحاً جداً معك عندما بدأت تسألني عن قضية روزاموندا. الحقيقة هي أننا كنا على عِلم بالحادث لأن أحد الأصدقاء، أحد أنسبائنا في الواقع، وهو شابّ يدعى جوناتان، كان متورّطاً فيه بطريقة لم تُشرَح لي بشكل صحيح أبداً، ولم يتكلّم أحدٌ عن الموضوع أبداً. أظن أن ذلك كان نقطة سوداء في تاريخ عائلتنا، إذا جاز التعبير".

"لذا قرَّرتَ التزام الصمت بشأنه؟".

"لستُ معتاداً أن أناقش المسائل الخاصة المماثلة مع الغرباء".

"مَن كان جوناتان ذاك؟".

"كان طالباً في الجامعة".

"هل قلت طالباً؟"، سأل كونراد وقد تذكَّر قول پترا إن ثورسون تمتم شيئاً عن طالبٍ وهو يغادر. ثم تذكَّر الملاحظات التي تصف مقابلةً مع طالب جامعي لم يُذكَر إسمه. *ما حصل مأساويّ*.

"نعم، يبدو أنه تُوفِّي بعد أن صدمته سيارة. لم أعرفه جيداً جداً، لكنه كان من أصدقاء أخي هولمبرت، وهذا حقاً كل ما لديَّ لأقوله عن المسألة. سأُنهي المكالمة الآن. مع السلامة".

45

شقَّ ثورسون طريقه ببطء بين القبور المعلّمة بشواهد غرقت في الأرض هنا وهناك، وقد أصبحت مائلة وبالية بفعل العوامل الجوية، ومكسوة بالطحالب، والكتابات عليها غير مقروءة تقريباً. إنها قبور قديمة تحمل تواريخ من أوائل القرن الماضي، من عصرٍ تلاشى، ومع ذلك فقد أدرَك ثورسون عندما أمعَن النظر إليها أنه أكبر سناً من العديد من ساكنيها. يحمل عدد قليل من الأحجار تاريخاً يعود إلى سنوات قريبة من الحرب العالمية الثانية، وشقَّ طريقه الآن نحو أحد تلك الأحجار. منذ عودته إلى آيسلندا وهو يزور المقبرة في أغلب الأحيان، ويشقّ طريقه إلى هذا القبر بالذات، لكن النزهة أصبحت تستغرق منه وقتاً أطول هذه الأيام، بعد أن كانت قدماه أسرع في السير فيما مضى. لقد مرَّت السنوات وكل واحدة منها تشبه التي سبقتها، لأنه وجَد في آيسلندا الحياة الهادئة التي تاق إليها بعد انتهاء الحرب، والمفاجأة الوحيدة له هي أنه عاش كل هذه المدة الطويلة. توقَّف ثورسون أمام الحجر، وشَعَر أن مزاجه مرحٌ أكثر من العادة عندما يقوم بهذه الرحلة. لديه أخيراً خبرٌ ليُفصِح عنه، رغم أنه عرَف أنه وصل متأخراً جداً.

رغم أن كل ذلك حصل منذ زمن بعيد، إلا أن ثورسون لم يتمكن أبداً من نسيان جوناتان أو روزاموندا. وأثناء جلوسه ذات يوم إلى طاولة المطبخ يتصفّح الصحيفة، وقعت عيناه على نعي لموظفةٍ في متجر الخياطة الذي عمِلت فيه روزاموندا ذات يوم. تذكَّر إسم المرأة، وتعرَّف على وجهها من الصورة المرفقة. لقد كانت صديقة روزاموندا، وقد استجوبها وفلوڤنت في ذلك الوقت، وهي الفتاة ذات الشعر الأسود الحالك التي أخبَرتهما عن تعرّض روزاموندا للاغتصاب. لا يمكن أن يكون عدد الأشخاص الذين يتذكَّرون الأحداث المحيطة بجريمة قتل الفتاة كبيراً، ولا شكّ أن أعدادهم تتناقص بسرعة، وهو نفسه يعتبر أنه يعيش أطول مما يستحق، وقريباً لن يعود هناك أحدٌ يعرف ما الذي جرى لروزاموندا أو يكترث لذلك. مطيعاً نزوةً مفاجئةً، قرَّر أن يحضر الجنازة.

وَجَد ثورسون دار العبادة مزدحمةً عندما وَصَل، فجلس في الخلف. أنشَد الموقَّر بنشازٍ، وأنشَدت الجوقة أنشودة الجنازة، ثم دُعي الحضور بعدها إلى الانتقال إلى قاعة دار العبادة، حيث صادفَ ثورسون هناك أحد معارفه المهندسين القدامى الذي كان منخرطاً مثله في بناء جسور فوق الأنهار على الرمال الجليدية الشاسعة شرقي قرية ڤيك أي ميردال، مما أدى إلى الاستكمال الذي طال انتظاره للطريق الدائري سنة 1974. تطرَّق حديثهما إلى المتوفاة التي تبيَّن أنها عمِلت في مكتب المهندس، وشرَح ثورسون أنه تعرَّف عليها لأنها عمِلت ذات يوم في متجر خياطة ورد إسمه في تحقيق في جريمة قتل قديمة. بدا المهندس منذهلاً، لذا أخبَره ثورسون كل تفاصيل قضية روزاموندا، وتبيَّن عندها أن الرجل يعرف امرأةً تدعى غيرلوغ كانت صديقة لعائلة الخيّاطة المعنية، ولا تزال على تواصل مع إبنتها، لكن المهندس لم يستطع أن يتذكَّر إسم الخيّاطة.

"حقاً؟"، قال ثورسون. "لديها إبنة؟".

"أظن أنه ليس لديها أي ولد غيرها"، قال المهندس. "ألم يكن هناك شيءٌ مُريبٌ قليلاً في قضية المسرح تلك؟ لقد تكلَّمت غيرلوغ عنها ذات مرة".

"مُريب؟ ماذا تقصد؟".

"آه، لقد نسيتُ ما كان".

"شيءٌ يتعلق بالخيّاطة؟".

"نعم، أظن ذلك".

"هل كانت غيرلوغ تلك تتكلَّم معها وقتها؟"، سأل ثورسون.

"نعم، أو أظن مع إبنتها".

بعد يومين، وَجَد ثورسون نفسه غير قادر على أن يتخلَّص من حشريته، لذا اتصل هاتفياً بغيرلوغ صديقة المهندس وسألها عن إسم الإبنة، فأبلغته بكل سرور أنها تدعى پترا، لكن عندما حان وقت أن يتصل بها فعلياً، تردَّد ثورسون قليلاً قبل أن يفعل ذلك أخيراً. لم يكن هناك داعٍ لكل قلقه فقد بدت پترا ودودة ودعته لزيارتها، وهي الشخص الذي زوَّده بالقطعة المفقودة: لقد رفَضت روزاموندا توصيل أي بضائع إلى منزل عضو البرلمان في ريكيافيك الذي ساهم مع إبنه هولمبرت في توريط جوناتان وفي إقناع فلوڤنت بإيقاف التحقيق.

لقد قضَّت قضية روزاموندا مضجع ثورسون منذ ذلك اليوم الماطر عندما ودَّع فلوثنت على أرصفة ريكيافيك، وطوال فترة المعارك التي تلت ذلك، وسنوات السلام اللاحقة. وبعد تسريحه، توجَّه ثورسون إلى وطنه كندا ليُكمل دراسته الجامعية، وقد حقَّق حلمه بنيل شهادة مهندس إنشائي، وعندما تُوفِّي أبوه بعد فترة وجيزة في المستشفى، قرَّر أنه ليس لديه شيء ليخسره، فأرسَل سيرته الذاتية إلى آيسلندا، مما أدى إلى تلقيه عرض عمل في شركة هندسة، فعقد العزم على تمضية بضع سنوات فقط هناك بينما يحاول تحقيق بعض التوازن بعد اضطراب خدمته في زمن الحرب. وقد لاحَظت أمه التغيير الذي طرأ عليه منذ عودته من المعارك في أوروبا، ولاحَظت مَيلاً نحو الكآبة والقلق والتوتّر لم يكن يشبه طبيعة إبنها أبداً. لم يتكلَّم ثورسون كثيراً عن دوره في الحرب، بل اكتفى بالتعليق أنه ليس شيئاً يفتخر به. ورغم أن الجيش الكندي منحه وساماً على شجاعته، إلا أنه أصرَّ على أنه ليس بطلاً، بل الأبطال الحقيقيون هم الرفاق الذين خسِرهم ولا يزال يفتقدهم.

"ماذا ستفعل في آيسلندا؟"، سألت أمه، فهي حاوَلت ثنيه عن الذهاب.

"العيش هناك لاءمني".

"هل تنوي العودة إلى الوطن مرة أخرى؟".

"آه، أعتقد ذلك، لكنني أحتاج إلى أن أعود، وأحاول أن أسترد راحة البال التي وجَدتُها هناك... أن أخطو خطوة إلى الوراء، وأعتقد أن ذلك قد يفيدني".

"ألن تفكِّر بالأمر قليلاً أكثر"، سألته أمه وهي تراقبه يوضِّب حقيبة سفره.

"لا أعتقد"، قال ثورسون. "بالي مشغول كثيراً على آيسلندا منذ أن رحلتُ عن هناك، وأودّ أن أراها مرة أخرى".

"هل للأمر علاقة بجريمة القتل التي أخبَرتني عنها؟ هل يخالجك شعور بأن لديك عملاً لم تُنجزه بعد؟ ألهذا السبب تريد العودة؟".

ذات مساء عندما كانت معنوياته منخفضة جداً، وأراد استراحةً من عادته العقيمة باسترجاع ذكريات الحرب، وجَد ثورسون نفسه يصارح أمه بما يقلقه بشأن قضية روزاموندا، فأخبرها أنه يتذكَّر كثيراً وقته في الشرطة العسكرية في ريكيافيك، وتعاونه مع فلوثنت والطريقة التي انتهى بها تحقيقهما الأخير، وأنه يطيل التفكير بالتحقيق ونتيجته، ويتساءل إن كان هناك أي شيء كان يمكنهما فعله بشكل

أفضل أو على الأقل بشكل مختلف، وأنه لم يستطع أن يضع المسألة جانباً ويمضي قدماً في حياته لأنه يلوم نفسه على ما حصل. كان عليه أن يراقب جوناتان عن كثب أكثر، وأن يأخذ حالته الذهنية في الحسبان، وقد عرَف أن نوبات تأنيب الضمير التي عانى منها فلوڤنت أسوأ حتى من النوبات التي عانى منها شخصياً، ولم يكن هناك داعٍ ليعبّرا عن مشاعرهما بأي كلمات.

التقيا على رصيف المرفأ بعد يومين على وفاة جوناتان المأساوية، وثورسون ينتظر أن يركب السفينة إلى إنكلترا، وقد أتى فلوڤنت لتوديعه. وصفَ له زيارته إلى أنسباء جوناتان، وعبَّر عن شكوكه بأن القضية ستتقدَّم أكثر من ذلك، ولم يستطع ثورسون أن يفكِّر بأي شيء يقوله، وبدا واضحاً أن الحادث أرهق أعصاب فلوڤنت. لقد دافع عضو البرلمان عن قضيته مع كبار الشخصيات في الشرطة، مؤكداً لهم أن عائلة جوناتان لن توجّه أي اتهامات. لن يتم تأنيب فلوڤنت لسوء تصرّفه المهني، لكن بإمكان ثورسون أن يرى أن هذا لم يُحدث أي فرق لديه.

بدأ سيلٌ من المطر الآيسلندي القارس ينهمر على رأسيهما بينما تصافحا، وتعاهدا أن يلتقيا مرة أخرى بعد انتهاء الحرب. بدا الميناء رمادياً من الزوارق البحرية، وبالكاد استطاع فلوڤنت وثورسون أن يسمعا بعضهما البعض وسط الصراخ، وهدير المحرّكات، ودويّ أحذية الجنود الذين يركبون السُفن المنتظرة.

"لا"، أخبَر ثورسون أمه وهو يغلق حقيبة سفره. "أحتاج إلى... أحتاج إلى تغيير المشهد. أشعر باضطراب هنا. من الصعب أن أشرح لكِ لكن الغريب أنه في خضمّ المعارك وبينما الرجال يموتون من حولي، ذهَبت أفكاري إلى هناك. إلى السكون. الصفاء والصمت غير معقولين في البريّة الآيسلندية، وقد وعَدتُ نفسي أنني إذا لم أمُت في الحرب، سأعود إلى هناك يوماً ما وأختبرها من جديد".

أحد أوائل الأشياء التي فعلها ثورسون عند وصوله إلى آيسلندا هو البحث عن فلوڤنت. إنه يتذكَّر الطريق إلى منزله في غرب البلدة، لذا ذهَب إلى هناك ذات يوم وقرَع على الباب، وتعرَّف فوراً على الرجل الذي فتح له بأنه والد فلوڤنت. بعد أن تبادَلا التحيات، دعاه العجوز إلى الدخول وقد تذكَّره أنه زميل إبنه. أخبره أنه لا يصلح لشيء هذه الأيام، وقد اضطر أن يتخلّى عن وظيفته على أرصفة المرفأ، وها هو يكافح ليوفّر لنفسه أقل عيشة ممكنة، وهي مهانة لا يجدها أفضل من

تلقي صدقةٍ من أحد.

"لم تكونا على تواصل أبداً؟"، سأل العجوز عندما شرَح له ثورسون سبب زيارته.

"لا، أخشى ذلك. لقد اتفقنا على أن نلتقي مرة أخرى بعد الحرب، لكن الأمر استغرق أطول مما أردتُ. وقد عزمتُ أن أراسله، لكنني أهملت فعل ذلك دوماً".

"إذاً فأنت لم تسمع الخبر؟".

"الخبر؟".

"يؤسفني أن تعرف بهذه الطريقة لكن إبني تُوفِّي منذ سنتين".

"تُوفِّي؟".

"نعم. ترَك الشرطة بُعيد آخر قضية لكما معاً، وتولّى وظيفةً مكتبيةً في الخدمة المدنية – مكتب الضرائب، في الواقع – وعمِل هناك حتى دخوله المستشفى".

"يوسفني جداً سماع هذا. كيف... ؟".

"بقي يعاني من آلام في المعدة لفترة طويلة، لكنه لم يفعل أي شيء لمداواتها، وتبيَّن أنه مُصاب بالسرطان". مرَّر العجوز يده على عينيه وأضاف، "مات المسكين ميتةً بائسةً، ميتةً تعيسةً. يمكنك إيجاده في المقبرة القريبة من هنا في سودورغاتا، بجانب أمه وأخته".

"لم أكن أعرف"، قال ثورسون. "أرجو أن تتقبَّل تعازيَّ".

"شكراً. حسناً، لا مفرّ من ذلك. الفتى المسكين".

"أنا... بصراحة، هذا آخر شيء كنتُ أتوقع سماعه".

"نعم، حسناً، لا أحد منا يعرف المدة التي لديه على هذه الأرض".

لم يعرف ثورسون كيف يردّ على هذا، وبدا أن والد فلوڤنت شردَ في ذكرياته، لذا بقيا يجلسان لبعض الوقت في صمتٍ لم يقطعه سوى الصوت الخافت جداً لقطرات حنفية المطبخ.

"هل كلَّمك يوماً عن الفتاة التي خلف المسرح؟"، سأل ثورسون أخيراً.

"لا، نادراً جداً. بدا لي أنه بقي يتجنَّب فتح موضوع القضية، فلم يرغب أن يتذكّرها، وقد شعرتُ أنها لم تنجلي بشكل صحيح أبداً، لكنه لم يعرف ماذا

يفعل بشأنها".

"ما الذي لم ينجلِ؟".

"لا أدري، لكنني شعرتُ أنه غير مسرور من الطريقة التي انتهت بها، وأظن أن ذلك بسبب الحادث مع سجينكما".

"بالطبع، لم تنته الأمور بشكل جيد".

"لا، هذا ما قاله. بدا أن إبني يهرم قبل أوانه، وأنا ألوم تلك القضية اللعينة".

"كان تحقيقاً صعباً".

"أثَّر عليه كثيراً، ولا أظن أنه اقتنع يوماً بالطريقة التي انتهت بها القضية، بل أعتقد في الواقع أنه ربما أراد أن يعيد فتح التحقيق قبل وفاته. وأنت طبعاً لم تستلم رسالته أبداً".

"رسالته؟".

"كتَبها إليك لكنها أُعيدت لنا".

"أي رسالة؟".

"لم يعرف العنوان الذي يضعه عليها، لذا حاوَل إرسالها إلى فوجك لكنهم أعادوها إلينا. يجب أن تكون في مكان ما هنا. لقد وجَدتُها بين أوراقه بعد وفاته".

دخَل العجوز غرفة نومه، وظَهَر مرة أخرى، وأعطاه مغلفاً معنوناً إلى ثورسون. فتَحه ثورسون بعناية، وقرأ الرسالة التي بداخله.

ريكيافيك، 13 ديسمبر 1947

عزيزي ثورسون،

آمل أن تصلك هذه الرسالة. لا أعرف إن خرجت من الحرب حيّاً، لكنني أردتُ محاولة معرفة ذلك.

لطالما وجدتُ نفسي خلال السنتين الأخيرتين أفكّر فيك وفي عملنا معاً، ولا أدري إن شكرتُك يوماً بشكل صحيح لكل مساعدتك وتعاونك ودعمك، لذا أردتُ أن أكفّر عن ذنبي بذلك الآن.

لا يمكنني أن أتخيَّل الأهوال التي اضطررتَ أن تتحمَّلها خلال المعارك، فقد قرأتُ الكثير عن عملية الإنزال في النورماندي، وأظن أنه تكوَّنت لديَّ

فكرة، ولو بسيطة، عن حمّام الدم الرهيب الذي لا شكّ أنك شهِدته بأمّ عينيك.

قضيتنا الأخيرة لم تبارح بالي أبداً، وأظن أننا توصّلنا إلى الاستنتاج الصحيح، ومع ذلك فإنني أشعر أحياناً بشكّ مروّع بأنه كان يمكننا أن نقوم بعمل أفضل، وربما نسلك خطاً مختلفاً من التحقيق، لكن هذا على الأرجح نابع فقط من ضميري المضطرب بسبب ما حصل للفتى. لقد وجدتُ صعوبة في تقبُّل الطريقة التي انتهت بها الأمور، وبالطبع أن أفراد عائلته في الشمال فُجعوا عندما سمِعوا الخبر، لكنهم لم يحمّلونا مسؤولية ما حصل بعدما علِموا بكل الحقائق.

شاهِدنا ومساعِدنا الرئيسي في كل هذا كان إبن عضو البرلمان، هولمبرت، الذي أكّد كل شكوكنا بشأن جوناتان، وهذا كان يجب أن يطمئنني، لكن بالي يرفض أن يرتاح لسببٍ من الأسباب.

حسناً يا صديقي العزيز، سأكون ممنوناً لو تراسلني، ولو حتى ببضعة أسطر قليلة، لتُخبرني عن أحوالك، وعندها سأطمئن كثيراً.

مع فائق الاحترام، فلوفنت

وَقَف ثورسون لبعض الوقت يتأمل قبر صديقه القديم، ثم تنهَّد وتلا دعاءً قصيراً. كان والد فلوفنت يقف على مقربة منه، وما وراء شاهد قبره يقع أحد القبور الجماعية التي حُفرت في ذروة تفشّي الإنفلونزا الإسبانية، حيث تستريح والدة فلوفنت وأخته، جنباً إلى جنب مع باقي ضحايا الوباء.

ارقد في سلام قالت الكتابة على شاهد القبر، وعرَف ثورسون أن فلوفنت هو أكثر شخص في هذا العالم تلائمه هذه الجملة.

بفضل بعض التحقيق البسيط، اكتشَف ثورسون أن هولمبرت موجود في دار للمسنّين في ريكيافيك، لذا توجَّه إلى هناك بعد زيارته المقبرة. إنه لا يعرف الرجل أبداً فهو لم يلتقِ به يوماً، رغم أن وجهه مألوف في الصحافة طوال مسيرته السياسية، وقد انطبع إسمه في ذاكرة ثورسون لأن فلوڤنت أصرّ على الإشارة إلى مقدار الفائدة الكبيرة التي قدَّمها هولمبرت.

استقلّ ثورسون الحافلة التي تتوقف لحسن حظه على مقربة من المقبرة، والتي تمرّ أيضاً أمام دار المسنّين بالضبط. لقد أقلع عن قيادة السيارات، فالطرقات السريعة، ونفاد صبر بقية السائقين، والزحمة الكثيفة هذه الأيام كلها أمور تُرهقه كثيراً، وهكذا أصبحت الحافلة طريقةً لطيفةً أكثر بكثير للتنقّل، ما عدا في الطقس السيئ عندما تكون سيارات الأجرة أسهل بكثير.

الركاب الآخرون قلّة لكي يلهونه، لذا غرق في تفكير عميق بزيارته إلى إبنة الخيّاطة، پترا، وما أخبَرته عن رفض روزاموندا أن تطأ قدماها منزل عضو البرلمان، وعن دور هولمبرت في المسألة كلها، وكذلك محادثته الهاتفية مؤخراً مع ماغنوس في بورغارنس والتي علِم خلالها للمرة الأولى عن وجود والد ماغنوس وأخيه في الشمال وقت اختفاء هروند. لقد بدأت قِطع الأحجية تسقط في مكانها شيئاً فشيئاً. قِطعٌ لم يكن يعرف شيئاً عنها حتى الآن. قِطعٌ حُجبَت عنه وعن فلوڤنت عمداً لأن البعض اعتقد أنه من الأفضل إخفاؤها. راحت كلمات رسالة فلوڤنت تصول وتجول في ذهنه بينما اجتاز أبواب دار المسنّين: *بالي يرفض أن يرتاح لسببٍ من الأسباب*.

سأل عن هولمبرت فأُعطي رقم غرفته، وتوجَّه نحو المصعد. لم يناقش تحقيقاته وشكوكه مع بيرغيتا حتى الآن خوفاً من أن يُشغل لها بالها، كما أنه أراد أن ينتظر ويرى ماذا سيكتشف قبل أن يبدأ بنشر إشاعات قد لا تكون حقيقية في الواقع.

بعد عثوره على الغرفة الصحيحة، رأى ثورسون رجلاً بنفس سنّه يرقد على

السرير مُحاطاً بصور أحباء، ورسوم أولاد، ومزهريات زهور.

"هولمبرت؟"، قال ثورسون وهو يدخل الغرفة ببطء. "هل هذا أنت؟".

لم يُجب الرجل أو يقوم بأي ردّة فعل، بل بقي ممدَّداً على ظهره بطريقة تجعل المرء يظن أنه نائم لولا حقيقة أن عينيه مفتوحتان وتحدِّقان بالسقف.

"عذراً على تطفّلي عليك هكذا، لكن –"

سكتَ ثورسون عندما دخل ممرِّضٌ حاملاً صينية أدوية وكوب ماء. ساعَد المريض على أن يستوي على سريره، ثم ساعَده على ابتلاع الحبوب.

"هل أنا في الغرفة الصحيحة؟"، سأل ثورسون. "هذا هولمبرت، صح؟".

"نعم"، قال الممرِّض. "وأنت...؟ هل يمكنني مساعدتك؟".

"لم أزره من قبل".

"هل كنتَ تحاول أن تتكلَّم معه؟ أخشى أن هولمبرت ذهَب بعيداً جداً. لديه ألزهايمر، وبالكاد يتفاعل مع الزوّار".

"آه، لم تكن لديَّ أي فكرة. قلتَ ألزهايمر؟".

"هل أنت من أنسبائه؟".

"أحد معارفه القدامى. أنا... لم نتواصل منذ سنوات عديدة. هل هذا يعني أنه لا جدوى من التكلّم معه؟".

"يمكنك أن تتكلَّم قدر ما تشاء، لكن لا تتوقع أي جواب منه"، قال الممرِّض وتابَع جولاته.

أغلَق ثورسون الباب، وجلس بجانب سرير هولمبرت. أشفَق على الرجل على مصيره البائس، ورغم عدم جدوى ذلك إلا أنه شَعَر برغبة لا تُقاوَم بأن يُطلعه على سبب زيارته.

"إسمي ثورسون"، بدأ يقول. "كنتُ ذات يوم صديقاً وزميلاً لرجلٍ يدعى فلوفنت، وقد أجرينا تحقيقاً بجريمة قتل وقعت هنا في ريكيافيك خلال الحرب. الضحية تدعى روزاموندا، وكانت تعمل في متجر خياطة تتعامل معه عائلتك، وكانت معتادة على توصيل بضائع إلى منزلكم إلى أن رفَضت ذات يوم وبشكل قاطع أن تقترب من المكان مرة أخرى. ويصدف أنها تعرَّضت للاغتصاب قبل وفاتها ببضعة أشهر، وأخبَرها المعتدي أن تُلقي اللَوْم على شعب الهولدو".

بقي هولمبرت ساكناً ويحدِّق بالسقف بعينين باهتتين شاحبتين.

"قبل ذلك بثلاث سنوات، روت فتاةٌ من أوكسافيوردور، تدعى هروند، نفس القصة عن اعتداء أحد أفراد شعب الهولدو عليها، وقد بدت مضطربةً جداً بعد محنتها لدرجة أنها اختفت كلياً بعد ذلك بوقت قصير. ربما انتحرت، أو ربما تعرَّضت لحادثٍ. على أي حال لم يُعثر على جثتها أبداً، لكن من الممكن مرة أخرى أنه جرى التخلّص منها، وأن المذنب رجلٌ مهمٌ من ريكيافيك صدفَ أنه يزور المنطقة في ذلك الوقت".

اقترب ثورسون من هولمبرت.

"هل يمكنك أن تُخبِرني أي شيء عن ذلك؟".

لم يتفاعل هولمبرت معه.

"هل غادرتَ المنطقة، أم كنتَ لا تزال في أوكسافيوردور عندما اختفت؟".

بقي الرجل جامداً على سريره.

"مسألة شعب الهولدو تنشئ رابطاً بين الفتاتين"، أكملَ ثورسون يقول بإصرار. "كانت روايتهما متماثلتين، وقد قبضتُ وفلوفنت على الرجل الذي قتل روزاموندا، ويمكن القول إنه اعترَف لنا. إسمه جوناتان، وهو أحد أنسبائك، لكن ليس نسبَ دمٍ. لقد ساعدتَنا على حل القضية، وساهمتَ في التحقيق وفي تجريم صديقك، وقد أُغلقت القضية. لم يضرّنا أنني وفلوفنت كنا متقبِّلين للفكرة من قبل، لكننا ارتكبنا خطأً، وتُوفِّي جوناتان وهو في عهدتنا. ربما شَعَرنا في أعماقنا أنه إذا كان ما أخبَرتنا إياه صحيحاً، فسيكون قد نال ما يستحقه على ما فعله لروزاموندا، ولا داعي لأن نشعر بذنب كبير. لقد تشبَّثنا بروايتك، وقد جاءت إفادتك في الواقع في أفضل توقيت ممكن".

بدأ هولمبرت يتحرَّك، وأدار رأسه نحو ثورسون فجأة.

"هل تريد أن تعرف رأيي؟"، قال ثورسون وهو ينظر إلى عينيه. "أعتقد أنك أنتَ الفاعل. لقد قتلتَ روزاموندا، ودمَّرت حياة هروند وربما حتى قتلتَها أيضاً. لا أزال أجهل إن كنتَ قد غادرتَ المنطقة أم لا حين اختفت، لكنني سأعرف. لقد حصلتَ على فكرة الأقزام من صديقك جوناتان، فهو خبير في هذه المسائل، ولهذا السبب كنا متأكدَين أنه الفاعل، لكنه لم يكن كذلك، بل أنت الفاعل.

لقد سمِعتَه يتكلّم عن التراث الشعبي، وعن المواجهات مع الأشخاص المختبئين، وهذا ما أعطاك الفكرة. حسناً، سأنشر الخبر في الإعلام، وأدع العالم يعرف سرك القذر. كان جوناتان بريئاً عندما اعتقلناه. بالله عليك، كان بريئاً!".

راح هولمبرت يحدِّق بثورسون، وارتعَشت أطراف فمه، وبدأت عيناه الشاحبتان تدمعان، وارتعَش وجهه كما لو أنه على وشك أن يتكلَّم، ثم شكَّلت شفتاه الشاحبتان كلمةً، لكن كل ما خرجَ منهما هو مجرد تنهيدة.

"ماذا؟"، قال ثورسون. "ماذا؟".

بذلَ هولمبرت كل جهدٍ لديه ليهمس الكلمة: "رو... زاموند...".

في تلك اللحظة، صدرت ضجةٌ في الرواق في الخارج، وفُتح الباب.

قاد كونراد سيارته إلى دار المسنّين بعد أن كان قد اتصل بعدة مؤسسات مماثلة في منطقة العاصمة قبل أن يكتشف أخيراً مكان تواجد هولمبرت. لحسن حظه أنه لا يوجد شخص آخر يدعى هولمبرت في مثل سنّه، وقد ادّعى كونراد خلال محادثته الهاتفية القصيرة مع إحدى الموظفات أنه صديق من الريف يرغب بزيارته. بدا أن المرأة الثرثارة جداً تعرف القليل عن ظروف هولمبرت، وشرحت له أن حالته الصحية تتدهور تدريجياً، خاصة في الأسابيع القليلة الماضية، إلى درجة أنه لم يعد يُدرك محيطه أبداً، وأصبح يحتاج الآن إلى عناية على مدار الساعة. ومع ذلك فقد شجّعت المرأة كونراد على القدوم ورؤيته بما أن الزيارات موضع تقدير دائماً، حتى ولو لم يعِها المريض بنفسه، والأنسباء مرحَّب بهم في معظم الحالات. وعندما سألها كونراد إن تلقّى هولمبرت عدة زيارات، ردَّت المرأة بالنفي، فمعظم أصدقائه متوفين ولم تكن لديه عائلة كبيرة.

دخل كونراد البهو، واقترب من مكتب الاستقبال حيث علِم أن هولمبرت موجود في الطابق الثالث، وتم إرشاده إلى المصاعد. ذكّره المكان بدار المسنّين الذي تقيم فيه ڤيغا، فكلاهما يتضمنان نفس تركيبة الموظفين الصاخبين والمرضى الذين يسيرون متثاقلين، بعضهم دون مساعدة، بينما بعضهم الآخر يتّكِل على أجهزة المساعدة على السير؛ بعضهم بكامل ملابسه، بينما البعض الآخر يرتدي ثوب النوم. داخل الغُرف، يستلقي المقيمون المسنّون على أسرّتهم، إما نائمين أو يقرأون أو يستمعون إلى الراديو؛ وقلّة منهم رفعوا رؤوسهم عند مرور كونراد.

لم يجد هولمبرت في غرفته، وعندما استفسر كونراد عنه، قيل له إن العجوز في غرفة الاستراحة التي يُدفَع إليها كل صباح، وحيث يقضي وقته يحدِّق بالتلفزيون. سأل كونراد إن كان يلازم الكرسي ذي العجلات، وقيل له نعم، طوال الوقت تقريباً هذه الأيام. ورغم هذا فقد سأل إن كان هناك احتمال أن هولمبرت غادَر دار المسنّين مؤخراً، وأُكِّدَ له أنه لم يذهب إلى أي مكان منذ شهرين على الأقل.

"أخشى أن حالة ألزهايمر لدى المسكين أصبحت متقدمة جداً"، قالت الممرِّضة.

وجَد كونراد هولمبرت يجلس مسترخياً على كرسيه ذي العجلات في غرفة الاستراحة، وعيناه ملتصقتان ببرنامج رسوم متحركة، ورغم أنه تم تخفيض مستوى صوت التلفزيون، إلا أنه بدا مسروراً بمشاهدة الشاشة المرتعشة. كان يرتدي رداء حمّام رقيقاً ذا مربعات زرقاء، وساقاه النحيلتان البيضاوان مرئيتان فوق خفّه، وهناك بعض الشعر الأبيض على رأسه، وشُعَيرات ذقن على فكّه عمرها عدة أيام، وعيناه في وجهه الهزيل صغيرتان وشاحبتان مثل شعره، وشفتاه غير مرئيتين حول فم مُجعَّد مزموم. لم يلتفت أبداً عندما وضع كونراد كرسياً بجانبه.

"هولمبرت؟"، قال كونراد.

لم يُجب الرجل أو يدع هذه المقاطعة تُلهيه عن الشاشة.

"هولمبرت؟"، كرَّر كونراد.

بقي هولمبرت يحدِّق بالشخصيات الكرتونية ببلاهة.

لا يملك كونراد سوى فهم سطحي لمرض ألزهايمر، لذا حاوَل أن يقرأ عنه قبل قدومه إلى هنا، وعرَف أنه مرض تنكّسي في الدماغ يؤثر على الذاكرة القصيرة الأجل، ويؤثر بشكل أقل على الذاكرة الطويلة الأجل، في مراحله الأولى على الأقل. إنه مرض عُضال رغم تطوير أدوية جديدة تردع تقدّمه، ويؤدّي ببطء لكن بشكل لا يرحم إلى اعتمادٍ مُطلقٍ على الغير، وإلى فقدان تام للقدرة على الكلام، ويقود في النهاية إلى خبل تام وموت في غضون عشر سنوات تقريباً. للمرض تأثير مدمِّر أيضاً على أفراد العائلة، الذين يضطرون إلى النظر عاجزين إلى محبوبهم الذي كان يتمتّع بصحة جيدة سابقاً يقع فريسة تدهور ذهني وجسدي عديم الرحمة.

"تساءلتُ إن كان يمكنني أن أسألك عن شيء حصل منذ وقت طويل"، قال كونراد، "خلال الحرب العالمية الثانية، ويتعلق بفتاتين، إحداهما تدعى روزاموندا، والأخرى هروند".

بقي هولمبرت لا يقوم بأي ردّة فعل.

"هل تتذكَّر هذين الإسمين؟".

استمر هولمبرت يحدِّق بالتلفزيون كما لو أنه لوحده في الغرفة.

"هولمبرت؟".

لم يُجب العجوز.

"هل تتذكَّر روزاموندا؟ هل تتذكَّر فتاة تدعى روزاموندا عمِلت لدى خيّاطة؟".

مع انتهاء حلقة الرسوم المتحركة وبدء حلقة أخرى، لمحَ كونراد حركةً عبر زجاج الباب، حيث بدا له أن رجلاً نحيلاً ووسيماً في بذلة داكنة، خمَّن أنه في خمسيناته، يُسرع الخطى في الرواق نحو غرفة الاستراحة. راح كونراد يراقب اقترابه، مفترضاً أنه سينعطف جانباً نحو غرفة أحد المقيمين، لكنه اقتحم غرفة الاستراحة بدلاً من ذلك وطالَب بفظاظة معرفة مَن هو كونراد.

"سمِعتُ في الأسفل أن لديه زائراً"، قال الرجل. "هل لي أن أسأل مَن أنت؟".

"إسمي كونراد"، ردَّ، ثم نهض ومدَّ يده، فصافحه الرجل مصافحةً سريعةً.

"ماذا تريد من أبي؟ كيف تعرفه؟".

"لا أعرفه في الواقع"، قال كونراد. "وأنت...؟".

"أنا إبنه. إسمي بنيامين. إذا كنتَ لا تعرفه، فماذا تفعل هنا؟".

"أتيتُ لأسأل إن زاره مؤخراً عجوزٌ يدعى ثورسون. ربما استخدم الإسم ستيفان ثورذارسون".

"ثورسون؟ ستيفان ثورذارسون؟".

"نعم، لكنني أظن أن أباك لن يتمكن من مساعدتي. أرجو أن تقبل تعاطفي معه. لا شكّ أنه مرض مروِّع".

"شكراً. هذا صحيح".

"هل تعرف إن زاره ثورسون هذا الذي ذكرتُه لك؟".

"ثورسون؟ لا، لستُ على عِلم بذلك، لكن ربما زاره دون معرفتي، فقد كان لأبي أصدقاء كُثُر... *لديه* أصدقاء كُثُر، ولم أتعرَّف عليهم كلهم".

"لا، بالطبع لا. المسألة باختصار هي أنني أحقِّق في قضية جنائية قديمة من سنوات الحرب، واعتقَدتُ أنه قد يكون قادراً على مساعدتي ببعض المعلومات، لكن أظن أن هذا الأمر غير وارد على الإطلاق".

"لا جدوى من سؤاله أي شيء. ولا جدوى حتى من التكلّم معه".

"هل لي أن أسأل إذا كنتَ قد سمِعت بالقضية؟".

"من الحرب العالمية الثانية؟".

"نعم. جريمة قتل فتاة تدعى روزاموندا".

"عائلتي على دراية بهذه القضية، لكنني لا أرى ما علاقتك بها".

"كنتُ محققاً فيما مضى، لكنني متقاعد رسمياً الآن، وقد طلبت مني الجنائية البحث عن معلومات عن ذلك الرجل ثورسون، أو ستيفان. أظن أنك شاهدتَ نشرة الأخبار فقد عُثر عليه ميتاً في شقته، وتعتقد الشرطة أنه خُنق عمداً".

أومأ بنيامين برأسه. "شاهدتُ نشرة الأخبار".

"لقد تأكدتُ أن ثورسون اتصل هاتفياً بعمّك ماغنوس في بورغارنس، ولا شك أن ما علِمه خلال حديثهما دفعه ليزور أباك. حصل ذلك منذ أسبوعين فقط، وأكاد أجزم أن ثورسون أتى إلى هنا لرؤيته. هل كنتَ تُدرك هذا؟".

"لا".

"وماذا عنك؟".

"أنا؟".

"هل التقيتَ ثورسون؟".

"لا".

"هل أنت متأكد؟".

"متأكد؟ هل تقول إنني كذّاب؟".

هزَّ كونراد كتفيه.

"هل لي أن أسأل وفق أي سلطة أنت هنا؟"، طالَب بنيامين.

"إنني أساعد الشرطة، وإذا كنت تريد تأكيداً على هذا، يمكنك أن تتصل بالجنائية وتطلب التحدّث مع مفتّشة تدعى مارتا".

"حسناً، يمكنك محاولة التحدّث مع الموظفين هنا"، قال بنيامين بنبرة استرضائية أكثر قليلاً. "هناك احتمال أنهم قد يتذكَّرون الرجل، لكنني لا أتذكَّر الالتقاء به. لم يتكلَّم ماغنوس مع أبي منذ عقود، لذا لا أعرف كم ستجده شخصاً موثوقاً. لقد انقطَعت العلاقة بينهما بالكامل، ولا أستبعد رغبة ماغنوس بتشويه سُمعة أبي".

"هل تلمِّح إلى أن ماغنوس كذَب بشأن أبيك؟".

"بصراحة، أفضِّل عدم مناقشة خصوصيات عائلتي مع شخص غريب"، قال

بنيامين. "الآن، إذا لم يكن لديك مانع، أودّ أن أبقى لوحدي مع أبي".

"بالطبع"، قال كونراد، "آسف على تطفّلي. نقطة أخيرة فقط. عرَفتَ حالاً أي قضية قصدتُ عندما ذكرتُ روزاموندا. هل لي أن أسأل لماذا؟".

"هل ستتركنا وشأننا إذا أخبرتُك؟".

"بالطبع".

"كانت عائلتنا المباشرة على دراية بمصير الفتاة، رغم أنه لم ينتشر كثيراً"، قال بنيامين دون أن يحاول إخفاء نفاد صبره. "سرعان ما تعقّبت الشرطة قاتلها. يدعى جوناتان وكان صديقاً لنا. لقد أثّر الحادث على عائلتي بشكل سيئ جداً، مثلما يمكنك أن تتخيّل، وما زاد الطين بلّة هو أن جوناتان مات خلال احتجاز الشرطة له. يبدو أنه هَرَب وصدمته سيارة. القصة بأكملها مشؤومة جداً، سواء الحقيقة الناصعة بأنه قَتَل الفتاة، أو سواء الطريقة التي فقَدَ بها حياته. كان جَدّي نائباً في البرلمان وقتها، واستخدَم نفوذه ليُكتم القضية، وقد تكلّم مع والدَي الفتاة وجَعَلهما يريان البغض الذي يمكنها إثارته. في النهاية، لم تكن الحقائق موضع شك، وقد قُبض على المذنب، وارتأى جَدّي أنه لا داعي لجرّ عائلتنا إلى الفضيحة".

بينما كان كونراد يستمع، أصبح واضحاً له سبب عدم وجود سجل للقضية في الأرشيف. لا شكّ أن رجال الشرطة كانوا واثقين جداً أنهم قبضوا على الرجل الصحيح لدرجة أنهم تواطأوا في التستّر على القضية. إما ذلك أو أن عضو البرلمان امتلك نفوذاً كافياً ليكلّم الأعلى منهم رتبةً ويقمع التحقيق.

"لديَّ سبب للاعتقاد أن ثورسون كشَف معلومات جديدة عن أبيك"، قال كونراد. "كان أحد ضباط التحقيق وقتها، ويعمل مع الشرطة العسكرية، ولم يستطع أن ينسى القضية أبداً، ربما لأنه شَعَر أنها لم تُحلّ بشكل صحيح أبداً. هل يصدف أنك على عِلم بقصة فتاة تدعى هروند عاشت في منطقة أوكسافيوردور؟".

سمِعا في تلك اللحظة جلبةً من العجوز على الكرسي ذي العجلات، واستدارا لينظرا إليه.

"... روزامو...؟".

راحا يحدّقان بهولبرت الذي بقيت عيناه ثابتتين على التلفزيون، لكن من الواضح أنه يحاول أن يقول شيئاً. لقد بدا تائهاً في عالم خاص به، وغافلاً عن

وجود إبنه تماماً، ناهيك عن كونراد.

"... روز... ام... ون...؟"، همَس بصوت أجش لشاشة التلفزيون.

"أبي، أنا بنيامين، إبنك".

لم يقم هولمبرت بأي ردّة فعل، أو يُبعد نظره عن التلفزيون.

"هولمبرت؟"، قال كونراد مجرِّباً. "هل يمكنك سماعي؟".

بقي العجوز جامداً كما لو أن لا علاقة له بالزائرين.

"ماذا يحاول أن يقول؟"، سأل كونراد.

"ليست لديَّ أي فكرة. اسمع، من الأفضل أن ترحل".

"ألم يبدو لك أنه -؟"

"يمكن أن يكون أي شيء"، قاطعه بنيامين وقد نفد صبره. "إنني أطلب منك أن تتركه وشأنه. إنه... إنني أطلب منك أن تتركنا وشأننا". ثم ذهب ووَقَف قرب الباب وأضاف، "ارحل رجاءً".

قرَّر كونراد أن يتراجع. "حسناً، لا مشكلة، آسف على إزعاجك. لم أقصد أن أتطفّل حقاً". خرَج إلى الرواق، وسمِع الباب يُغلَق خلفه، وبينما همَّ بمغادرة دار المسنّين، أخرجَ هاتفه واتصل بمارتا.

"ماذا الآن؟"، سألت.

"هل لا تزال لديك تلك التسجيلات من كاميرات المراقبة بجوار شقة ستيفان ثورذارسون؟".

"نعم، كدسة كبيرة منها، لكنها كلها عديمة الجدوى".

"لماذا عديمة الجدوى؟".

"لأنني لا أعرف عما أبحث، وهي تُظهِر فقط أشخاصاً يمرّون ويرحلون، ولا أعرف هوية أي واحد منهم".

"دعيني أُلقي نظرة عليها".

"لماذا؟ ماذا اكتشفتَ؟".

"لستُ متأكداً"، قال كونراد. "أحتاج إلى فحص تلك التسجيلات، لكنني خلافاً لك، أعرف على الأقل عما أبحث".

"أسرِع إذاً"، قالت مارتا. "كنتُ على وشك العودة إلى منزلي".

لم يكن سهلاً على كونراد إقناع بنيامين أن يلاقيه خلف المسرح الوطني، فقد رفَض بنيامين بشكل قاطع في البدء بذريعة أنه ليس لديه الوقت لهكذا هُراء، وأصرّ على كونراد أن يتركه وعائلته وشأنهما، وأضاف أن فكرة اللقاء خلف المسرح منافيةٌ للعقل، وليست لديه مصلحة في محاولات كونراد الميلودرامية لتشويه سُمعة عائلته. ما حصل في الماضي يجب أن يبقى في الماضي، وقد حلَّت الشرطة جريمة قتل روزاموندا منذ سبعين سنة، وقُبض على قاتلها، لذا لم يجد أي سبب على الإطلاق ليضيِّع وقته على تخمينات رعناء وإشاعات.

رَدَّ كونراد معترضاً أن المسألة لا تخصّ قضية روزاموندا فحسب، بل بظهور دليل جديد يتعلق بوفاة ثورسون مؤخراً، وكرَّر أنه سينتظر بنيامين خلف المسرح لكي يستعرض معه بعض التفاصيل. وأضاف أن عدم حضور بنيامين لن يؤثّر بشيء، فالمسألة ستتقدّم إلى المستوى التالي، وقد انتهى دور كونراد فيها.

"هل أبلغتَ الشرطة؟"، سأل بنيامين بعد صمت ثقيل.

"لقد شاركتُهم بعض حصيلة أبحاثي"، قال كونراد، "لكنني لم أقدِّم لهم تقريري النهائي بعد".

عندها ردّ بنيامين بحدّة أنه لم يعد يريد أي علاقة به، وأنهى المكالمة، لذا أطفأ كونراد هاتفه، وجلَس في سيارته وهو يحدِّق بالمدخَل حيث عُثر على روزاموندا وحيدةً، مرميةً، في الأيام الخوالي عندما كان العالم في حالة حرب والمسرح يُستخدَم كمستودع للجيش. لقد رَكن في ليندارغاتا، على مرمى حجر من سكوغاسوند، والشوارع هادئة، ورأى قطة سوداء تتسلَّل على الطريق وتندفع إلى حديقة قريبة، وحبيبين يسيران يداً بيد على الرصيف ويختفيان في اتجاه أرنارهول.

خرَج كونراد من سيارته، ومشى إلى المسرح، وراح يتأمل جدرانه ذات الجبس الخشن، ويدرس ميزاته الزخرفية المصمَّمة لتشبه دعائم بازلت عمودي، مع إشاراتها الضمنية إلى جيولوجيا البلاد والتراث الشعبي الذي يعود عمره إلى عدة قرون.

داخل تلك الجدران السميكة الداكنة، يجري تقديم دراما بشرية لترفيه العامة، ويتم نشر الحزن والفرح على حد سواء، تماماً مثلما يجري في الحياة نفسها، ما عدا أن الفرق هو أن التمثيل ينتهي عندما تُسدل الستارة، وتستطيع الجماهير العودة إلى منازلها، بينما الدراما في العالم الحقيقي لا تنتهي أبداً.

بعد ثلاثة أرباع الساعة، قرَّر كونراد أن يعود إلى منزله بعد أن فَقَد كل أمل بمجيء بنيامين، لذا فتَح باب السيارة، وكان على وشك أن يجلس على مقعد السائق عندما لاحَظ وقوف شكلٍ ساكنٍ عند ناصية سكوغاسوند، وقد أدار رأسه في اتجاهه.

"بنيامين؟"، نادى كونراد.

اجتاز الرجل الطريق نحوه، ورأى كونراد أنه بنيامين بالفعل. إذاً فقد نجح كونراد في إثارة حشريته على الأقل.

"لماذا طلبتَ مني القدوم إلى هنا؟"، سأل بنيامين. "ما فائدة كل هذا؟".

"شكراً لقدومك".

"لم تعطني الكثير من الخيارات".

"هل تجد نفسك مشدوداً إلى هنا أحياناً؟ بسبب ما حصل؟".

"آتي إلى المسرح أحياناً، إذا كان هذا ما تسأل عنه، لكن ما عدا ذلك فليس لديَّ أي سبب للقدوم إلى هنا".

"هل أنت متأكد من ذلك؟".

"لا يمكنني أن أتخيّل لماذا يجب أن يكون لديَّ سبب للقدوم إلى هنا، ولا أعرف ما الذي تحاول أن تلمّح إليه. ما حصل هنا لا علاقة له على الإطلاق بي أو بعائلتي".

"ومع ذلك فقد أتيتَ على أي حال".

لم يرد بنيامين على هذا.

المسرح مُضاء بأضواء غامرة صغيرة ترسم أشكالاً غريبةً على الجدران كما لو أنها تعرض مسرحية ظلال.

"لقد ترعرعتُ في هذه الأرجاء"، قال كونراد بنبرة تحادثية. "في هذه الشوارع. بين هذه المباني. وهنا كانت أول مرة سمِعتُ فيها عن روزاموندا. عن العثور عليها

عند ذلك المدخَل هناك، وقد أثّر الحادث فيَّ كثيراً، ولهذا السبب على الأرجح لا يمكنني نسيان الأمر. لقد عُقدت جلسة تحضير أرواح في منزلي لوالدَي روزاموندا، وكان نبْش القبور شائعاً وقتها، ورأى الوسطاء الروحيون الزائفون فرصةً لاستغلال الحدث، لكن هذه قصة أخرى. لا أعرف كيف أو لماذا، لكن ذلك الوسيط الروحي بالذات أخبَر أبي أنه شَعَر بالإضافة إلى روزاموندا بفتاةٍ أخرى لم تستطع روحها أن تجد أي راحةٍ. ثم علِمتُ منذ مدة من جارة قديمة لي من حي الظلال عن وجود فتاة ثانية تدعى هروند. لو أنني أصدِّق صحة جلسات تحضير الأرواح، وأنا لا أصدِّق ذلك أبداً، لظننتُ أن الفتاة التي ذكرها الوسيط الروحي يجب أن تكون هروند تلك".

"قلتَ إن لديك دليلاً جديداً"، قال بنيامين بفارغ الصبر. "هل هذا هو؟ هل هذا كل شيء؟ جلسة تحضير أرواح؟ هُراء بشأن أمور خارقة للطبيعة؟".

ابتسم كونراد. "أخبَرتني أنك لم تلتقِ ثورسون في دار المسنّين، وأظن أنه ذهَب إلى هناك بعد اكتشافه أن أباك كان في الشمال عندما اختفت هروند. لقد وجد الخبر مهماً جداً، ولا شكّ أنه ندم على عدم اكتشافه ذلك وقتها. لهذا السبب أراد أن يزور أباك بشكل عاجل ويحاول أن يُثبت الحقيقة".

"قلتَ إن شيئاً جديداً سيظهر إلى العلن. ما الجديد في أيٍ من هذا؟ لا تقل لي إنك جرجرتني إلى هنا لهذا فحسب؟".

"هل زرتَ ثورسون بعد أن ذهَب لرؤية أبيك؟".

"لا".

"هل أخبرك أنه سيُعيد فتح القضية؟ ينبِّه الصحافة؟ يُلفت انتباه العامة؟".

"لم أتكلَّم مع الرجل أبداً"، قال بنيامين.

"ماذا لو أخبرتُك أن لدينا تسجيلات من كاميرات مراقبة في مكانين قريبين من منزل ثورسون، وكلاهما تُظهرانك في المنطقة عند وفاته؟".

"كاميرات مراقبة؟ عما تتكلَّم؟"، سأل بنيامين بعد صمت وجيز.

"لقد غادرتَ على عجل عبر ملعب المدرسة بعد زيارتك ثورسون"، قال كونراد. "ومررتَ أمام مدخل المصرف في طريقك إلى منزله، لكنك بالطبع لم تكن بتلك العجلة عندها. التوقيت ملائم. لا شكّ أنك ذهبتَ لرؤيته عند

استراحة الغداء، ونجحتَ في خداعه بطريقة ما وفي تهدئة شكوكه. ربما ادّعيتَ أنك راحل، ولم تُغلق الباب جيداً، وعدتَ وتسلّلتَ إلى الداخل بعد أن استلقى على سريره ليرتاح قليلاً. لا أعرف كيف فعلتَ ذلك بالضبط، لكنك استطعتَ بطريقة ما أن تفاجئه على حين غِرّة –"

"هذا كلام فارغ تماماً"، ردَّ بنيامين محتجّاً.

"كنتَ يقظاً أن تركن سيارتك بعيداً عن مبناه. هل كنتَ قد قرَّرتَ مسبقاً ما الذي ستفعله قبل أن تقرع على بابه؟".

"طفح الكيل"، قال بنيامين غاضباً. "ليس لديَّ أي شيء آخر أقوله لك".

"جَدّك فضَّل هولمبرت، وأورثه شركة العائلة دون سواء عن كل أولاده الآخرين. هل عرَف حقيقة إبنه؟ هل عرَف أي نوع من الوحوش هو؟".

"أبي ليس وحشاً"، اعترَض بنيامين. "إنه رجل مريض جداً لديه الحق بأن يموت بسلام".

"تقصد خلافاً لثورسون؟".

راح بنيامين يحدِّق به بحنق.

"هل تعلم ماذا فعل أبوك؟"، قال كونراد. "هل تعرف قصته؟ لا شكّ أنك تعرفها، وإلا لما زرتَ ثورسون من الأصل".

"هذه مضيعة للوقت"، قال بنيامين، ثم استدار ورحَل غاضباً نحو سكوغاسوند، وبقي كونراد في مكانه يراقبه يبتعد. لقد راودته نظريةٌ أراد تجربتها على بنيامين، فلم يعرف إن كانت صحيحة أم لا، لذا أراد اختبارها على الرجل الوحيد الذي قد يكون قادراً على تأكيدها.

"لا أعتقد أن أباك هو بالضرورة الذي كان الوحش"، نادى خلف بنيامين.

لم يعدِّل الرجل الآخر سرعة خطواته.

"هل سمعتني؟ لا أعتقد أن أباك هو الوحش".

رأى بنيامين يُبطئ، ويتوقف أخيراً عند الجانب البعيد لليندارغاتا. بقي يقف ساكناً لبرهةٍ، واضعاً يديه في جيبي معطفه، وحانياً رأسه قليلاً كما لو أنه مستغرق في التفكير، وراح كونراد يتأمل شكله من الخلف، وحاوَل أن يتخيَّل الصراع الذي يعصف فيه من الداخل. ارتخى كتفا بنيامين أخيراً في إيماءة انهزام، ثم استدار ببطء

وعلى مضض.

"ماذا تقصد؟".

"أعتقد أن أباك بيدقٌ بريءٌ في كل هذا"، قال كونراد.

"ما... لماذا... ما الذي يجعلك تظن ذلك؟".

"ليس المشتبه به المحتمل الوحيد"، قال كونراد. "ربما كان شريكاً في الجريمة بما أنه عرَف ما الذي جرى، لكنني غير مُقتنِع أنه الشخص الذي رمى روزاموندا هنا".

عاد بنيامين أدراجه نحوه.

"عما تتكلَّم؟".

"أسرار عائلية عن أبيك وجَدّك. لم تعرف الشرطة أنهما سافرا معاً إلى الشمال عندما اختفت هروند، فتلك المعلومة لم تُكشَف أبداً، ولم يعرفها ثورسون إلا مؤخراً، كما لم يعرف أن روزاموندا كانت خائفة من منزلكم، ولو أن ثورسون عرَف ذلك وقتها، لتبدَّل مسار القضية بشكل كبير. أظن أنه أراد معرفة الحقيقة بشكل عاجل ولفت انتباه الشرطة إليها قبل فوات الأوان. لهذا السبب زار أباك، ولهذا السبب زرتَ ثورسون".

"لا يمكنك أن... ليس لديك أي... أي..."

"آه، لديَّ ما يكفي"، قال كونراد. "ما يكفي لتوريطك بقتل ثورسون، وما يكفي لإعادة فتح التحقيق القديم بوفاة روزاموندا".

"لا يمكنك أن..."

"بالطبع يمكنني. لقد انتهى الأمر، وأنت تعرف ذلك. ربما لم تفعل ما فعلتَه بالفطرة، لكنك ومع ذلك فعلتَه، وعليك أن تعترف من أجل مصلحتك الخاصة".

"أنا... نحن..."

راح بنيامين يحدِّق بكونراد كما لو أنه يتوسّله أن يتفهَّمه، ورأى كونراد أنه لم يعد غاضباً، وأن تحدّيه بدأ يتلاشى تحت ثقل ذنبه. لقد هدَّته ارتدادات فعلتِه – تداعيات العمل الذي حاوَل أن يبرِّره ويطمره عميقاً جداً في وعيه بحيث بدا تقريباً أنه من أفعال شخص آخر.

"أخبِرني ما حصل"، قال كونراد. "لم تكن مضطراً أن تتحمَّل هذا العبء، لكنك فعلتَ ذلك بدافع الوفاء لعائلتك، ويمكنني أن أتفهَّم هذا. يمكنني أن

أتفهَّم ما الذي دفعك إلى ذلك، لكنك بالغتَ كثيراً. بالغتَ كثيراً فحسب".

"لكن العجوز كان سيكشف الأمر بأكمله".

"أعرف".

"لم أستطع السماح بذلك. لم أستطع فحسب. لم أستطع... ربما لو كان الأمر يتعلق بجَدّي فقط... لكن أبي لم... أبي لم يكن أفضل منه... لقد قبضتُ على العجوز في غرفة أبي ورميتُه خارجاً... بدأ يتحدَّث عن روزاموندا، ويدّعي أن أبي... لم أعرف ماذا أفعل..."

لم يقدر بنيامين أن يُكمل كلامه، وبقي يقف هناك مُخفِضاً عينيه فحسب لفترة طويلة إلى أن أخرجَ أخيراً مغلفاً من جيبه وقدَّمه إلى كونراد. "وجَدتُ هذا في شقته، ولم أتجرّأ أن أتركه هناك".

أخذ كونراد الرسالة، وكانت معنونة إلى ثورسون. راح يقرأها، ووجد أنها من زميل ثورسون القديم، فلوفنت، وأنها تتضمن معلومة أن هولمبرت كان المُخبِر الرئيسي للشرطة في القضية ضد جوناتان.

"لم أتجرّأ أن أتركها هناك"، كرَّر بنيامين. "بعد أن... أن... بعد ما فعلتُه..."

49

عند سماعه قرعاً على الباب، ذهَب ثورسون وفتحه ليكتشف أن إبن هولمبرت جاء لزيارته. الوقت بُعيد الغداء، وثورسون على وشك أن يستريح قليلاً على جري عادته في مثل هذا الوقت من اليوم، لكنه كان يتوقع هذه الزيارة.

"أردتُ أن أعتذر عما حصل في دار المسنّين سابقاً"، قال الرجل بعد أن عرَّف عن نفسه بأنه بنيامين، وبدا هادئاً تماماً وهو يقف الآن عند عتبة ثورسون، ثم أضاف، "لم يكن يحقّ لي أن أكلِّمك بتلك الطريقة، ناهيك عن تهديدك. لقد تربَّيتُ على احترام الأكبر مني سناً، لذا آمل أن تسامحني. وما أخبَرتني به صدمني، لكن سلوكي... لم ينفعني بشيء، وأردتُ أن أعتذر".

"كنتُ أقول فقط ما أنا مقتنع أنه الحقيقة"، قال ثورسون.

"بالطبع، أفهم ذلك، وآمل أن تسامحني. مثالياً، أودّ الحصول على فرصة لكشف خبايا هذه المسألة بنفسي، لكن إذا شعرتَ بالحاجة إلى تدخّل الشرطة، لديك كل الحق بالطبع، وسأعطيهم كل المساعدة التي أقدر عليها".

"يسرّني سماع هذا".

"بصراحة، لقد صدمني الخبر صدمةً كبيرةً... اسمع، هل يمكنني الدخول لدقيقةٍ؟ أشعر بغرابة مناقشة هذا على منبسط الدرج".

"تفضَّل".

"شكراً"، ردَّ بنيامين وتبَع ثورسون إلى غرفة الجلوس.

"لسوء الحظ، لديَّ أسباب جيدة لاعتقاد أن ما أخبَرتُك إياه سابقاً صحيح"، قال ثورسون. "ورغم أن أحداً غيري لم يعد يتذكَّر الأحداث، إلا أنني أتذكَّرها، وإذا تبيَّن أن شكّي صحيحٌ، يجب إعادة فتح القضية".

"نعم، بالطبع، يمكنني رؤية ذلك الآن وقد تسنّى لي وقتٌ للتفكير"، قال بنيامين. "بالطبع أن الحادث بأكمله يحتاج إلى إعادة فحص، وأظن أنك تكلَّمت مع الشرطة من قبل؟".

"إنني أنوي فعل ذلك قريباً. أعرف أن هذا الأمر لن يعجبك كثيراً، وأظن أنك ستريد مناقشته مع إخوتك وأخواتك وأمك؟".

"نعم، بالطبع. أبي مريض جداً، ولن يُدرك ماذا يجري حتى ولو أصبحت القضية من اختصاص الشرطة. أشكّ كثيراً أن يُحاكم لأسباب صحية، فلم يعد لديه وقت طويل ليعيشه، وكنتُ أتساءل..."

"نعم؟".

"كنتُ أتساءل إن كان يمكنني مناشدة حسّ الشفقة لديك"، قال بنيامين. "فإذا كان ما تقوله صحيحاً، ألا تعتقد أن العدالة تحقّقت من قبل؟ لقد عانى، وأمي تعاني، ومن المؤلم جداً بالنسبة لي أن أرى شخصاً لطالما كان قوياً ونشيطاً ينكمش إلى مجرد ظل بسبب هذا المرض المروِّع".

"لا أظن أن هذا هو نوع العدالة الذي كنتُ أتكلّم عنه"، قال ثورسون. "ما تقوله صحيح جداً: أبوك مريض جداً، لكن مهما يبدو لك ذلك غريباً إلا أنه في أسفل سلّم اهتماماتي، فما يهمّني هو شابّ يدعى جوناتان ومحقق عمِلتُ معه ذات يوم يدعى فلوفنت. إنني أَدين لجوناتان أن أضمن ظهور الحقيقة، وكان فلوفنت سيريدني تبرئة إسم الفتى، فقد تخلّينا عن استكمال التحقيق عندما كان يجب أن يبدأ، وغادرتُ البلاد، وقد تأثّر فلوفنت كثيراً بوفاة جوناتان. كلانا تأثّر بذلك كثيراً. لم يفت الأوان..."

"لكي تظهر الحقيقة؟".

"نعم".

"ألا يوجد أي شيء يمكنني أن أفعله لكي تغيِّر رأيك؟".

"لا".

"حسناً، أعتقد أن ما تدّعيه شنيعٌ"، قال بنيامين. "ما زلتُ لا أستطيع أن أفهم كيف توصَّلتَ إلى هكذا استنتاج، لكن هذا شأنك، وكل ما أتمنّاه هو أن تحمي أبي، أن تحمينا نحن الذين لا نزال أحياء من عائلته..."

"لا يمكنني إلا أن أفعل الصواب"، قال ثورسون، "مهما يكن تأثيره سيئاً عليكم".

"ماذا تقصد بـ 'الصواب'؟ هل تعتقد حقاً أنه من الصواب تدمير عائلتي؟".

تردَّد بنيامين لحظةً ثم أضاف، "أنا رجل غني، وإذا كنتَ تريدني أن أتبرَّع لجمعيةٍ خيريةٍ أو منظمةٍ... أو صندوق تقاعدٍ... إما الآن أو في أي يوم قد تجد نفسك فيه بحاجة إلى..."

هزَّ ثورسون رأسه.

"على فكرة، هذا لا يعني إقراراً ضمنياً على الإطلاق"، قال بنيامين. "بل فقط لأنني أعرف أنه لحظة شيوع هذا الخبر – بافتراض أن الشرطة ستدعه يشيع – سيبدأ مصنع الإشاعات بالعمل، وسيصبح من المستحيل تقريباً عكس الأضرار. أنا أدير شركة كبيرة، ونحن شخصيات بارزة في المجتمع، وإدعاءات من هذا النوع ستشكِّل ضربةً قويةً لسُمعتنا".

لم يعرف ثورسون كيف يردّ على هذا.

"هل أنت متأكد تماماً أن أبي هو الذي فعل ذلك للفتاتين؟"، سأل بنيامين.

"أنا مُقتنِع، وأظن أن تحقيقاً مناسباً سيؤكِّد حصيلة أبحاثي، على الأقل فيما يتعلق بقضية روزاموندا، أما قضية هروند فأصعب لأنه لم يُعثر على جثتها أبداً، لذا لا توجد أي طريقة لمعرفة ما الذي حصل بالضبط".

"فهمتُ. حسناً، سأتوقع إذاً مكالمة من الشرطة عما قريب. مرة أخرى، اعذرني رجاءً على سلوكي السابق، فقد فَقَدتُ أعصابي عندما بدأتَ تطرح تلك الإدعاءات، وآمل أن تسامحني".

"شكراً لقدومك لرؤيتي"، قال ثورسون. "ولتفهّمك أيضاً. أظن أنه من الأفضل لكل المعنيين أن تنجلي هذه المسألة لمرة واحدة وإلى الأبد".

"نعم، ربما أنت محقّ".

همَّ ثورسون بالنهوض ومرافقة ضيفه إلى الباب، لكن بنيامين أخبَره أنه لا داعي لكي يُتعب نفسه، فبإمكانه أن يخرج من تلقاء نفسه، ثم ودّعه وصافحه.

"أنت مصمِّم على فعل ذلك؟"، قال بنيامين.

"نعم، أخشى ذلك".

"حسناً، وداعاً إذاً"، قال بنيامين بصوتٍ هامسٍ، وخرج من الغرفة.

سمِع ثورسون الباب يُغلق خلفه، وبقي جالساً لبرهةٍ يفكِّر بالزيارة ويتساءل إن كان من الصواب أن ينقذ القضية من غياهب النسيان، وأن يحاول إعادة فتح

التحقيق. إنه يشعر بالتعب أكثر من العادة بعد رحلته إلى دار المسنّين وبعد زيارة بنيامين، ولا شكّ أن المسألة بأكملها أثّرت عليه أكثر مما يُدرك. راح يفكّر كم أن موت جوناتان لاءم هولمبرت، وكيف أنه استغلّ الفرصة ليخدع الشرطة، ويلقي التهمة على جوناتان لهدف وحيد هو إبعاد الشُبهة عن نفسه.

محدِّقاً بالظلمة خارج النافذة التي تطلّ على الحديقة، قرّر ثورسون لمرة واحدة وإلى الأبد أن يأخذ ما اكتشفه إلى الشرطة دون مزيد من التأخير.

دخَل غرفة النوم، وفتح جارور منضدة سريره، وأخرجَ صورة حبيبه التي أبقاها بجانبه طوال هذه السنوات، وأعادت له ذكريات مؤلمة عن الجهد الذي اضطرا إلى بذله ليُبقيا علاقتهما سرية بسبب وصمة العار الاجتماعية التي تُلصَق بالأشخاص الذين مثلهما. ورغم أن الزمن تغيَّر نحو الأفضل، إلا أنه لا يزال يُخفي الصورة في جاروره بدافع العادة، وقد ذكّرته بالمِحَن التي اضطرا أن يتحمّلاها، والإجحاف الذي واجَهاه. إنه يُخرجها كل يوم تقريباً ليرى مرة أخرى تلك النظرة المباشرة، تلك الابتسامة الغامضة، ويتذكّر الوقت الذي أمضياه معاً، الحُب الذي تشاركاه، الحُب الذي فَقَده ويتحسَّر عليه منذ ذلك الحين.

غلبه الإنهاك، فأعاد ثورسون الصورة إلى الجارور، وتمطَّط على السرير، وراحت سلسلة صور تمرّ في خياله: روزاموندا؛ بنيامين يحاول رشوته بالمال؛ هولمبرت والد بنيامين، الوزير السابق وجَدّه عضو البرلمان. وكالعادة تراءت له صورة جوناتان وهو ممدَّد في بركة دم في لوغافيغور، ونُدَف الثلج الصغيرة تستقرّ على عينيه.

عضو البرلمان وإبنه... هل كان عضو البرلمان على عِلم بجرائم إبنه؟ هل حماه؟ أم هل كان الإبن يحمي أباه؟

بدأ ثورسون يغفو.

هل كان الإبن يحمي أباه؟

استيقظ ليجد نفسه يكافِح ليتنفس. وحتى في عزّ كفاحه، تشبَّث ذهنه بصورة عضو البرلمان، وعرَف فجأة أن هولمبرت لم يكن المشتبه به الوحيد في جريمة قتل روزاموندا، بل هناك أبوه عضو البرلمان الذي رفَضت روزاموندا زيارة منزله؛ الذي كان في رحلة إلى الشمال مع إبنه عندما تم الاعتداء على هروند؛ الذي كان يملك نفوذاً كافياً يجعل الفتيات لا يتجرّأن على كشف أمره.

مستيقظاً بشكل تام الآن، وجَد ثورسون أنه غير قادر على التنفّس حقاً، وأن هناك وزناً مميتاً يضغط رأسه نزولاً على السرير. كافَح ليفتح فمه ويأخذ نَفَساً، لكن إحساساً فظيعاً بالاختناق تغلَّب عليه. وبينما حارَب للأكسجين بشكل مضطرب، أدرك فجأة أن شخصاً أقوى منه يحاول أن يقتله...

telegram @soramnqraa

راح بنيامين يحدِّق صامتاً بالناصية المظلمة التي عُثر فيها على روزاموندا.

"كان أبي مساعِداً"، قال أخيراً. "لم يقتل روزاموندا، لكنه دخَل على أبيه ووجده واقفاً فوق جثتها، لذا ساعده في التخلّص منها، وهذا هو المدى الذي بلغه ذنب أبي. لقد وجد نفسه أمام مُعضلة مستحيلة عندما زارته الشرطة، فإما يعترف ويشير بإصبع الاتهام إلى أبيه، أو يكذب ويلفِّق التهمة لصديقه الميت".

"اختار أن يذكب".

"ماذا كنتَ ستفعل لو كنتَ مكانه؟".

متجنِّباً عينَي كونراد، بقي بنيامين يحدِّق بالمدخَل كما لو أنه يمكنه رؤية جثة روزاموندا الباردة والهامدة.

"لقد اكتشَف ما فعله أبوه، واضطر أن يعيش بقية حياته وهو يعرف تلك الحقيقة، وأن يتدبّر الأمر بحيث لا تظهر الحقيقة أبداً. لم يستطع أن يتحرَّر من عقدة الذنب أبداً".

"كيف عرَفتَ ذلك؟".

"بسبب مرضه".

"مرضه؟ تقصد ألزهايمر؟".

"نعم. لقد أبقى أبي الأمر سراً إلى أن أُصيب بالخبل، وقد جَعَله المرض يفقد السيطرة على الذكريات التي يُخفيها داخله، لذا راحت تخرج منه خلسةً الواحدة تلو الأخرى، بما فيها تلك الأكثر إيلاماً. بدأ يتكلّم عن وقائع من ماضيه لم يتكلّم عنها أبداً من قبل، وبالكاد بدا أنه يُدرك أنه يفعل ذلك. بالطبع عرَفتُ – كلنا عرَفنا – عن جوناتان، لكن عائلتي لم تناقش أمره أو تتطرَّق إلى ما حصل أبداً، لكن أبي بدأ بعدها يهذي عن جوناتان، وبدا دائماً مضطرباً جداً عندما يذكره. بقي يقول إن جَدّي التقط منه بعض الأفكار عن شعب الهولدو، وإنه استخدَمها ليفعل شيئاً لا يوصف. لقد بقي يبكي رغم أنه رجلٌ لم يُظهِر مشاعره

أبداً من قبل. شعرتُ بالفضول طبعاً، وحصلتُ منه على الحقيقة في النهاية، ووجَدتُ نفسي أمام مأساة عائلية – الحقيقة البشعة عن أبي وجَدّي، وبالطبع المأساة الأخرى الأبشع بكثير عن وفاة روزاموندا وهروند، ولاحقاً جوناتان. لم تكن لديَّ أي فكرة ماذا عليَّ أن أفعل بالمعلومات، وكان ذلك أكبر من طاقتي على التحمُّل بكثير، لكنني شَعَرتُ أن عليَّ أن أُخفيها مهما كان الثمن. شَعَرتُ بالمسؤولية. ووجَدتُ نفسي فجأة في نفس موقف أبي الذي بقي يصارع ضميره طوال تلك السنوات. ثم أثناء زيارتي له في دار المسنّين ذات يوم، وجَدتُ رجلاً في مثل سنّه يجلس معه في غرفته. لقد كشفَ الحقيقة، لكنه اعتقَد أن أبي هو المسؤول عما فعله جَدّي، وأخذ يتكلَّم عن الذهاب إلى الشرطة، لذا ذهَبتُ لزيارته، ليس بقصد إيذائه بل للتحدّث معه".

"وكانت الرغبة قوية جداً لديك؟ فإذا تخلَّصتَ منه، ستتخلَّص من المشكلة بأكملها؟".

"لا أعرف ما الذي أصابني"، قال بنيامين وقد اخشوشن صوته فجأة من إدراكه ما فعله، ورأى كونراد أنه يحاول أن يحبس دموعه وهو لا يزال يحدِّق بثبات بالمدخَل كما لو أنه غير قادر على أن ينظر إلى عينَي أي شخص آخر حتى لو كانت حياته على المحكّ. "اعتقَدتُ... كان عجوزاً، واعتقَدتُ أن كل ما عليَّ فعله هو أن أجعله ينام، وعندها ستنتهي مشاكلي... لكن الأمور لا تسير بهذا الشكل، فقد بدأتُ أحلم كوابيس رهيبة... ورغم أنه كان ضعيفاً، إلا أنه قاوَم بكل قوته، وكنتُ سأتوقف لكن... لكن الأوان فات. لقد انتهى الأمر بسرعة كبيرة... بسرعة كبيرة...". تنهَّد بنيامين وأكمل يقول، "أريد... أريد أن ينتهي كل هذا. لا أريد أن أعيش وهذه الأسرار تُثقلني. لا أريد أن يضطر إبني إلى إخفاء ما فعلتُه، وأن يضطر أن يعيش نفس الجحيم. أريد أن ينتهي كل هذا".

"هل قلتَ إن هولمبرت قبض على أبيه متلبّساً بالجريمة؟".

"حسبما فهمتُ فإن أبي وجده مع جثة روزاموندا، وكانت جَدّتي وقتها تزور أنسباءها في ستيكيشولمور، وجَدّي لوحده مع أبي في المنزل. وصلت روزاموندا فجأة وبدت هستيرية بالكامل، وأخذت تتّهم جَدّي بأنه جعلها حُبلى، وتقول إنها ستتخلّص من الطفل. ثم بدأت تتحدّث عن فتاة في الشمال كانت متأكدة

أنها ضحية أخرى من ضحاياه، وتهدِّده بفضح أمره لكي يعرف الجميع أي صنفٍ من الرجال هو. هكذا عرَف أبي ما فعله جَدّي بها".

"تقصد أنه اغتصَبها؟".

"نعم. لقد زارتنا قبل ذلك اليوم بشهرين لتوصيل بعض الفساتين، ودعاها جَدّي إلى الدخول، واستطاع خداعها بطريقة أو بأخرى للنزول إلى غرفة الغسيل، ثم بدأ يصفعها واغتصَبها أخيراً".

"وأصَرَّ أبوك على أنه لم يعرف مقدماً؟".

"لا، لم يعرف بشأن الاغتصاب إلا لاحقاً، وقد اعترف جَدّي بالأمر بأكمله عندما وجده أبي مع جثة روزاموندا. كان كل شيء قد انتهى حين دخَل أبي، وقال إن رؤيته الفتاة ممدَّدة على أرضية مكتب جَدّي شكَّل صدمة رهيبة له، وقد ادّعى جَدّي أنه حاول إسكاتها فحسب، لكنها اختنقت قبل أن يُدرك ما الذي يفعله، وطلب من أبي أن يساعده، أو بالأحرى أمَرَه بذلك قائلاً إن عليهما أن يتعاضدا فشرف العائلة على المحك، مضيفاً أن الفتاة كانت في حالة خارجة عن السيطرة، وأنه تصرَّف دفاعاً عن النفس، لكن أبي اشتبه فوراً أن الشيء نفسه حصل قبل ثلاث سنوات عندما كانا في الشمال، حيث بدا مزاج جَدّي غريباً ذات مساء، وهناك جروح أو خدوش واضحة على عنقه يحاول إخفاءها، وعندما سأله أبي عنها، لم يُجب جَدّي، لكن الحادث ترسَّخ في ذهن أبي، ولم يستطع إلا أن يتساءل عن قصة هروند واختفائها، ولم يعرف الحقيقة إلا عندما دخَل على جَدّي ورآه مع جثة روزاموندا. لذا طالَبه بمعرفة ما حصل لهروند، وقد اعترف جَدّي في نهاية المطاف أنه اعتدى عليها أيضاً، وأقسَمَ أنه لم يقتلها مثل روزاموندا، لكنه أقرَّ أنه اغتصَبها".

"أظن أنه أرعَبها لكي تلتزم الصمت؟".

"نعم، وقد منَع أبي من التبليغ عنه، وبدأ سلوكه تجاهه يتقلَّب بين التضرّع والحنق، فقرَّر أبي أن يتستَّر عليه، وقد التزم بقراره كرمى لجَدّتي. كرمى للعائلة".

"وما قصة كل ذلك الكلام عن شعب الهولدو؟".

"كان جَدّي على دراية بقصص الأقزام، وهي متجذّرة عميقاً جداً خاصة في الريف، وجوناتان يتكلَّم عنها دائماً. ويبدو أن جَدّي شَعَر أن هروند ساذجة

جداً، وقد استغَلّ ذلك، لكن روزاموندا قصة مختلفة".

"لذا قرَّر الاثنان رمي مسؤولية الأمر بأكمله على عاتق جوناتان؟".

"لم تخطر الفكرة ببال أبي إلا عندما أتت الشرطة لإبلاغهم عن موته، وأن جوناتان هو المشتبه به الأول، لكن أبي شَعَر أن لديهم شكوكهم، لذا كل ما كان عليه فعله ليجعلهم واثقين أنهم قبضوا على الرجل الصحيح هو تأجيج شكوكهم تجاه جوناتان، فجوناتان ميت في النهاية، وهذا لا يمكن أن يؤذيه".

"لماذا أحضراها إلى المسرح هنا؟".

"لم يوضِّح أبي هذه النقطة. ربما لأن المسرح الوطني يُفترَض أن يشبه حصن أقزام، لذا فهو يلائم الكذبة، وقد عرَف جَدّي أن الفتيات اعتدن القدوم إلى هنا مع الجنود، لذا سيكون مناسباً إن استطاعا إلقاء اللَوْم عليهم. وَقَف أبي يراقب من بعيد في سكوغاسوند بانتظار عثور جندي مع فتاته على الجثة، ثم انصرَف".

"وقد كوفئ بسخاء على صمته".

"ورِث شركة العائلة"، قال بنيامين بشكل قاطع.

"وأنت؟ ألم تواجه نفس الخيار عندما قرَّرت التخلّص من ثورسون؟".

لم يُجب الرجل.

"لا شكّ أنك فكَّرتَ بشرف العائلة – أياً تكن قيمة ذلك؟".

"لم أستطع فحسب مواجهة فكرة انكشاف الماضي، وأن يعرف الناس عنا. عن أبي. عن جَدّي. لقد كان العجوز ينوي الذهاب إلى الشرطة، لذا رأيتُ الفرصة سانحة واستغلّيتُها. لا يوجد أي عذر على الإطلاق لما فعلتُه".

"اعتقَدتَ حقاً أنه يمكنك إبقاء الأمر سراً لبقية حياتك؟".

"شَعَرتُ أنني وُضعتُ في موقف مستحيل، تماماً مثل أبي قبلي. موقف مستحيل بالكامل".

"آه، أعتقد أنه كان بإمكانكما إيجاد حلول أفضل"، قال كونراد وشَعَر أن كلماته أصابت وتراً حسّاساً لديه. ثم أمسك بنيامين بذراعه، وقاده إلى السيارة، وجَعَله يجلس على مقعد الراكب، ثم جلس خلف المِقوَد، وانطلق في ليندارغاتا ملقياً نظرة سريعة، مثلما يفعل دائماً، نحو منزله القديم وهو في طريقه إلى موعده مع مارتا التي كانت تنتظر خبراً منه في المخفر.

حضَر كونراد وبيرغيتا وعددٌ من زملاء الهندسة القدامى جنازة ثورسون التي جرت في يوم رمادي ماطر في دار العبادة الصغيرة في مقبرة فوسڤوغور التي اشترى فيها ثورسون منذ عدة سنوات قطعة أرض بجانب قبر الرجل الذي أحبَّه. انتهت المراسم بسرعة، حيث ألقى الموقَّر وعظة قصيرة، وغنّى أنشودة الجنازة القديمة "الزهرة الحقيقية الوحيدة"، ثم حَمَل الحانوتيون التابوت إلى المقبرة حيث أنزلوه إلى جوف الأرض.

أحد الأشياء الأولى التي فعلها كونراد بعد انكشاف قصة بنيامين هو إطلاع بيرغيتا عليها، حيث شرح لها كيف تُوفِّي جارها القديم على يدَي قاتل، وكيف أن موته كان مقصوداً لحماية سر عائلي مُخزي. أخبَرها عن مصير روزاموندا وعن الفتاة من أوكسافيوردور التي لم يُعثر عليها أبداً، ولن يُعثر عليها أبداً على الأرجح.

"كلهم مذنبون - ثلاثة أجيال - كلٌ على طريقته الخاصة"، علَّقت بيرغيتا وهما يقفان فوق قبر ثورسون. "الجَدّ والإبن والحفيد".

"لا أظن أن بنيامين عرَف ماذا عليه أن يفعل عندما ظهر ثورسون فجأة عاقد العزم على كشف أمر أبيه وجَدّه، وقد ادّعى أنه لم يذهب لزيارة ثورسون بنيّة قتله، بل كان قراراً مرتجَلاً. لحظة جنون. اعتقدَ أن المشكلة ستزول إذا مات العجوز".

"وماذا بشأن الجَدّ؟"، سألت بيرغيتا.

"شَعَر بنيامين أن جَدّه لم يكن يكنّ الكثير من الاحترام للنساء. لقد كان ذلك عصراً مختلفاً، ولم يجد الرجال أي خطأ في استغلالهم لهنّ، ثم حصل الاضطراب الاجتماعي بسبب الحرب. اعتقَد بنيامين أن جَدّه اعتبر على الأرجح أن الفتاة في الشمال وروزاموندا مثّلتا كل شيء يحتقره في «الحالة»، ورغم براءتهما، إلا أنه جَعَلما تدفعان ثمن سلوك النساء الأخريات، لكن من المستحيل معرفة ماذا كان يدور في رأسه وقتها. وكل ما يعرفه بنيامين هو أنه ربما توجد فتيات أخريات وقعن في براثنه، ولم يتجرّأن على قول أي كلمة أبداً".

"ستيفان لم ينسَ الفتاتين أبداً"، قالت بيرغيتا وهما يسيران ببطء عائدَين إلى بوابات المقبرة. "حتى بعد كل تلك السنوات".

"لا، لم يكن راضياً أبداً"، قال كونراد. "ولم تعجبه أبداً الطريقة التي انتهى بها التحقيق".

في وقت لاحق من تلك الليلة، زارت بيتا أخاها، وأخبَرها القصة بأكملها. جلَست في المطبخ تستمع إلى رواية كونراد دون أن تنطق أي كلمة، ثم بقيت صامتة وتتأمَّل لفترة طويلة.

"لا شكّ أنه شكَّل صدمةً بغيضةً لبنيامين ذاك عندما بدأ أبوه يهذي عن روزاموندا، وظَهَرت الحقيقة المروِّعة"، قالت أخيراً.

"لم يعرف إلى أي طريق يتّجه"، وافَقها كونراد الرأي. "ثم ظهرَ ثورسون، ثم ظهرتُ أنا، وبدأ الأمر بأكمله يتفجَّر في وجهه".

"كل الغسيل القذر لعائلته على وشك أن ينكشف".

"نعم".

"وأبوه وزير سابق وكل ذلك".

"أراد حماية سُمعته – سُمعة عائلته".

"تماماً مثلما تحاول دائماً الدفاع عن أبيك؟".

"أنا لا أحاول 'دائماً' الدفاع عنه".

"غريبٌ أنه مرتبط بكل هذا"، قالت بيتا.

"نعم، لكنه شارك في أمور كثيرة".

"لن أنسى أبداً اللحظة التي أخبَرتني فيها أمي أنه طُعن خارج المَسلَخ وأن لا أحد يعرف مَن هو الفاعل. لم أكترث إلى حد ما، بل أعتقد أنني شعرتُ بالارتياح في الواقع. لم أفتقده أبداً، فقد كان دنيئاً مع أمي – مع كثير من الناس – وقد قالت أمي إنه كان في طريقه إلى تحويلك إلى فاشل مثله".

"هذا ليس صحيحاً"، قال كونراد. "حسناً، كانت لديه عيوبه، لكن كانت لديه لحظاته الجيدة أيضاً. أعرف كيف عامَل أمي، وكيف نفَّرها منه".

"هذا يسمّى عنفاً منزلياً يا كونراد. لقد فرّت بعيداً إلى سَيدسفيوردور في

الشرق، وقد تمسَّك بك لكي ينتقم منها فحسب، وهذا تصرّف نموذجي منه، فقد كان شخصاً بغيضاً يا كونراد. كان شخصاً عنيفاً ويثمل كثيراً، وقد تورَّط في عالم الجريمة".

"أعرف كل هذا، فقد شهدتُ كل شيء، هل تتذكَّرين؟ كان الوضع بشعاً، ولم أسامحه أبداً على ما فعله لأمي".

"ومع ذلك فقد حاولتَ الدفاع عنه دائماً! وتحاول دائماً إيجاد أعذار له، مثلما فعل بنيامين ذاك، وأبوه من قبله".

"هذا ليس مشابهاً –"

"بلى"، قالت بيتا. "أيها الرجال اللعينون، كلكم متشابهون. كما أنكم ضعيفو الإرادة لكي تواجهوا الحقيقة".

"اهدأي"، قال كونراد.

"لا، اهدأ أنت!"، ردَّت بيتا ونهضت، ثم أضافت بعد لحظةٍ بحدّةٍ أقل: "هل تعتقد أننا سنعرف يوماً ما الذي حصل؟ قرب المَسلَخ؟".

هذا سؤالٌ بقيا يفكِّران فيه كثيراً في فترة من الفترات، لكن الحادث تلاشى تدريجياً مع مرور الوقت، وبالكاد أصبحا هذه الأيام يناقشان مَن يمكن أن يكون قد طعن أباهما حتى الموت ولماذا. بيتا ميّالة أكثر إلى أن تكون سريعة في إصدار الأحكام، وشَعَرت أنه سبَّب ذلك لنفسه، لكن كونراد لا يوافقها الرأي.

"لا، أشكّ بذلك"، قال.

"هل هو أمر غير محتمل في هذه المرحلة؟".

"نعم، الفرصة غير كبيرة الآن".

وَقَف فلوڤنت بالقرب من المسرح يراقب رئيس جمهورية آيسلندا المنتخَب حديثاً يلقي خطاباً أمام مواطنيه الذين احتشدوا بالآلاف تحت المطر حول المنبر في ثينغفيلير، وصولاً إلى وادي ألماناكاو، ونزولاً على ضفة نهر أوكسارا إلى سواحل البحيرة، بعد أن تدفّقوا إلى هنا من كل أرجاء البلاد ليحتفلوا بحريتهم الجديدة كمواطنين في أصغر جمهورية في أوروبا، وقد أرسل ملك الدانمرك برقية تهنئة رغم رعبه الباطني من أن يُطالَب بالتخلّي عن المستعمرة في خضمّ الحرب. لقد حصلت عملية إنزال النورماندي مؤخراً، ووصلتهم الأخبار عن خسائر الحلفاء المأساوية على الشواطئ هناك. فلوڤنت يفكّر دائماً بثورسون، وأملَ من كل قلبه أن يكون قد نجا من المذبحة.

تردَّد صدى خطاب الرئيس الجديد في كل أرجاء موقع التجمّع التاريخي تحت المطر، وشَعَر فلوڤنت بالفخر في ذلك اليوم من أنه آيسلندي، رغم قلقه من المستقبل وإحساسه بعدم الارتياح بشأنه. هذه أوقات غدّارة، والعالم في حالة من الفوضة، ولا تزال هناك قوة عسكرية غريبة تحتل البلد.

أثناء وقوفه قرب المسرح يتأمل صفوف البرلمانيين المحتشِدين خلف الرئيس، لمحَ فلوڤنت الوجه البارد لوالد هولمبرت بين الياقة المقلوبة إلى أعلى والقبعة، والتقت عيناهما للحظةٍ، وحنى له عضو البرلمان رأسه.

لقد حاوَل فلوڤنت ألا يُمعن في التفكير كثيراً بوفاة جوناتان المأساوية، وحاوَل أن يطمر الذكرى التي وجَد صعوبة كبيرة في تحمّلها، لكنه لم يفلح حقاً، لذا خبطَ قدميه بالأرض، ورفع عينيه ليحدِّق بالبحيرة في الأفق الأزرق، وعندما فعل ذلك، لاح له ظلا الفتاتين، واحدٌ من الناصية المظلمة خلف المسرح الوطني، والآخر من جروف ديتيفوس الصخرية، كما لو أنهما يتوسَّلانه عدم نسيان ذكراهما، كما لو أنهما الشيء الوحيد الذي له قيمة حقيقية في هذه الأرض المستقلة حديثاً.

عميقاً في شَقّ بعيد في الحِمم، عميقاً جداً لكي يصل إليه هدير الشلال، تكمن مملكة البرد والظلمة الأبديين. الشَقّ يضيق كلما عمُق أكثر، وجدرانه الوعرة شديدة الانحدار وخطيرة، وجوفه بعيد عن متناول حتى الغُداف والثعلب. الجدران مكسوة بسراخس وطحالب، ويتسرَّب عليها الماء نزولاً من الينابيع القريبة محوِّلاً الصَدع إلى قصرٍ من القصص الخرافية في الطقس القارس. في القعر، يسود صمتٌ باردٌ لا يستطيع أنين الرياح أو صياح الطيور كسره، مما يضمن أن الضيفة الوحيدة في القصر، بتول الأقزام المشؤومة، لن تستيقظ من نومها الطويل أبداً.

مكتبة | سُر مَن قرأ
t.me/soramnqraa

الماضي

في ريكيافيك وقت الحرب العالمية الثانية، يتم العثور على جثة شابة مخنوقة في منطقة خطرة تسمّى «حي الظلال»، فيتتبع محققٌ آيسلنديٌ يعاونه عضوٌ في الشرطة العسكرية الأميركية قاتلاً وحشياً.

الحاضر

يتم اكتشاف جثة رجل مسنّ في التسعين من عمره ميتاً على سريره مخنوقاً بوسادته، ويعثر المحقق المتقاعد كونراد الذي يشعر بالملل هذه الأيام على قصاصات صحفية قديمة في منزل الرجل تتحدّث عن جريمة قتل حي الظلال. إنها جريمة يتذكرها كونراد لأنه نشأ في نفس الحي.

الرابط المفقود

لماذا عادت جريمة قتل قديمة إلى الظهور بعد كل هذا الوقت؟ هل اعتقلت الشرطة الرجل الخطأ؟ ما هو الرابط بين تلك الجريمتين المتباعدتين زمنياً؟ هل ارتباط كونراد بالماضي سيساعده في حل القضية وإحقاق الحق أخيراً؟

telegram @soramnqraa

صدر أيضاً للمؤلف:

ISBN: 978-614-01-3328-0

جميع كتبنا متوفرة على الإنترنت
في مكتبة نيل وفرات. كوم
www.nwf.com

الدار العربية للعلوم ناشرون
Arab Scientific Publishers, Inc.
www.asp.com.lb - www.aspbooks.com